دار الثقافة

أقوال يسوع الصعبة

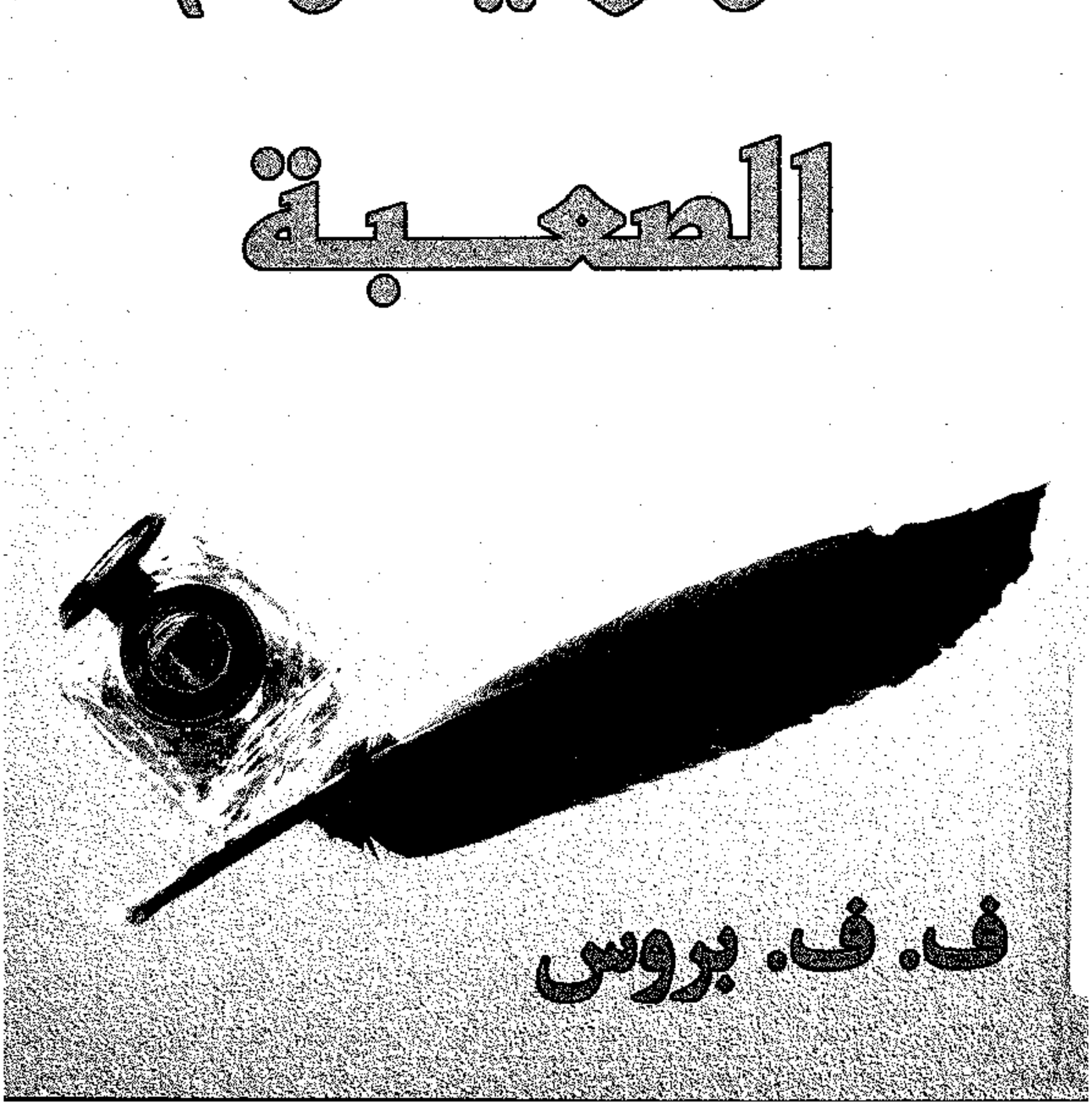

ف. ف. بروس

أقوال
يسوع الصعبة

تأليف

ف.ف.بروس

ترجمة

نجيب جرجور

دار الثقافة

THE HARD SAYINGS OF JESUS

BY: F.F. Bruce

This Book Was First Published By William Neill - Hall Ltd.

Literary Agency

Translated By Permission And Published In Arabic , 1997

طبعة أولي

صدر عن دار الثقافة – ص. ب ١٢٩٨ – القاهرة

جميع حقوق الطبع محفوظة للدار (فلا يجوز أن يستخدم اقتباس أو إعادة نشر أو طبع بالرونيو للكتاب أو أي جزء منه بدون إذن الناشر، وللناشر وحده حق إعادة الطبع)

١٠/ ٧٤٤ ط١ / ١-١/ ٩٧

رقم الإيداع بدار الكتاب : ٩٧/١٣٥٢٣

ISBN 977-213-403-9

طبع بمطبعة سيويرس

إلى طلابى فى جامعة مانشستر

١٩٥٩-١٩٧٨

مقدمة الدار

تحتوى الأناجيل أقوالاً كثيرة ليسوع، منها المباشر، ومنها غير المباشر فيبدو صعباً، كما توجد أقوال تبدو متناقضة مع أقوال أخرى قيلت فى أماكن أخرى.

وقد استراح المؤمنون لهذا الوضع على اعتبار أنها أقوال يسوع التى لا تقبل النقد أو البحث . ولكن من يدرس الكتاب المقدس بتدقيق لا يجد أى صعوبة أو تناقض فى هذه الأقوال، حيث أن المواقف المختلفة التى قال فيها يسوع هذه الأقوال، هى التى تبرز عظمة يسوع، لأنه كان يمتلك رؤية عميقة وجديدة لكل العلاقات الإنسانية، وعلاقة الإنسان بالله، لم يعتد عليها البشر منذ بدء الخليقة للآن. ولذلك عندما عبر يسوع عن هذه المواقف بالأقوال، بدت صعبة.

هذا الكتاب يوضح هذه المواقف والأقوال، وقد استعان الكاتب بتفاسير مختلفة ليقرب لنا المعنى المقصود.

ويسر دار الثقافة أن تقدم هذا الكتاب فى اللغة العربية للقارىء المصرى والعربى ليعمق الإيمان المسيحى لكل من له رؤية نقدية.

دار الثقافة

Abbreviations

AV	Authorized (King James) Version Of The English Bible
L	Material Peculiar To The Gospel Of Luke
M	Material Peculiar To The Gospal Of Matthew
NEB	New English Bible
NIV	New Internationl Version
Q	Material Common To The Gospels Of Matthew And luke But Not Found In The Gospel Of Mark
RSV	Revised Standard Version(1952-1956)
RV	Revised Version(1881-1885)

المحتــويات

- مقدمة المحرر ١١
- مقدمة المؤلف..... ١٣
- تمهيد ١٤

الفصل الأول : أكل جسد ابن الإنسان وشرب دمه ٢٠
الفصل الثاني : ابن الإنسان يغفر الخطايا ٢٥
الفصل الثالث : لا الأبرار بل الخطاة ٢٨
الفصل الرابع : السبت لأجل الإنسان ٣١
الفصل الخامس : ليست ميتة بل نائمة ٣٤
الفصل السادس : ملح بلا ملوحة ٣٦
الفصل السابع : القديم أفضل ٣٩
الفصل الثامن : لا تزول نقطة واحدة أو حرف واحد من الناموس ٤١
الفصل التاسع : "يا أحمق" يستحق نار جهنم ٤٨
الفصل العاشر : الزنى في القلب ٥٢
الفصل الحادي عشر : قلع العين اليمنى ٥٤
الفصل الثاني عشر : الطلاق والزواج ثانية ٥٦
الفصل الثالث عشر : خصيان لأجل ملكوت السموات ٦٣
الفصل الرابع عشر : لا تحلفوا البتة ٦٦
الفصل الخامس عشر : تحويل الخد الآخر ٦٨
الفصل السادس عشر : أحبوا أعداءكم ٧٣
الفصل السابع عشر : كونوا كاملين ٧٥
الفصل الثامن عشر : إذا لم تغفر لأخيك ٧٨

الفصل التاسع عشر : لا تدخلنا في تجربة ٨٢
الفصل العشرون : لآلئ قدام الخنازير ٨٧
الفصل الحادي والعشرون : الخطيئة ضد الروح القدس ٨٩
الفصل الثاني والعشرون : لا آية ٩٥
الفصل الثالث والعشرون : مبصرون ولا ينظرون ١٠٠
الفصل الرابع والعشرون : إلي طريق أمم لا تمضوا ١٠٥
الفصل الخامس والعشرون : لا تكملون مدن إسرائيل ١٠٨
الفصل السادس والعشرون : دعي البنين أولا يشبعون ١١١
الفصل السابع والعشرون : من أعظم من يوحنا المعمدان ١١٤
الفصل الثامن والعشرون : الاغتصاب والملكوت ١١٨
الفصل التاسع والعشرون : بغض المرء لوالديه ١٢٢
الفصل الثلاثون : إلقاء نار علي الأرض ١٢٥
الفصل الحادي والثلاثون : وما أشد ضيقي حتي تتم ! ١٢٨
الفصل الثاني والثلاثون : ليس سلاما بل سيفا ١٣٣
الفصل الثالث والثلاثون : سقوط الشيطان ١٣٦
الفصل الرابع والثلاثون : الآب والابن ١٣٩
الفصل الخامس والثلاثون : أنت بطرس ١٤٢
الفصل السادس والثلاثون : اذهب عني يا شيطان ! ١٥٠
الفصل السابع والثلاثون : حمل الصليب ١٥٤
الفصل الثامن والثلاثون : مجئ الملكوت بقوة ١٥٧
الفصل التاسع والثلاثون : مع او علي ١٦٠
الفصل الاربعون : ابن الانسان ليس له أين يسند رأسه ١٦٢

الفصل الحادي والاربعون : دع الموتى يدفنون موتاهم ١٦٤
الفصل الثاني والاربعون : النظر إلي الوراء ١٦٧
الفصل الثالث والاربعون : أريكم ممن تخافون ١٦٩
الفصل الرابع والاربعون : الأخ الأكبر ١٧٢
الفصل الخامس والاربعون : لماذا تدعوني صالحا ؟ ١٧٥
الفصل السادس والاربعون : بِعْ مالك ١٧٧
الفصل السابع والاربعون : اعطوا ما في الداخل صدقة ١٨١
الفصل الثامن والاربعون : الجمل وثقب الإبرة ١٨٤
الفصل التاسع والاربعون : خدمة الله ومامون (المال) ١٨٨
الفصل الخمسون : استخدام مال الظلم لكسب الأصدقاء ١٩٠
الفصل الحادي والخمسون : الهوة العظيمة ١٩٣
الفصل الثاني والخمسون : هل سيجد ابن الانسان إيمانا علي الأرض ؟١٩٦
الفصل الثالث والخمسون : الأجر والعمل ١٩٩
الفصل الرابع والخمسون : الأولون يكونون آخرين ٢٠٣
الفصل الخامس والخمسون : كثيرون يدعون لكن قليلين ينتخبون ٢٠٦
الفصل السادس والخمسون : لباس العرس ٢١٠
الفصل السابع والخمسون : لعن التينة ٢١٢
الفصل الثامن والخمسون : الإيمان الذي ينقل الجبال ٢١٤
الفصل التاسع والخمسون : وأنا لا أقول لكم ٢١٦
الفصل الستون : اعطوا لقيصر ٢١٩
الفصل الحادي والستون : لا تدعوا أحداً أباً ٢٢٣
الفصل الثاني والستون : يا أولاد الأفاعي ٢٢٦

الفصل الثالث والستون : لا يمضي هذا الجيل ٢٣٠
الفصل الرابع والستون : هناك تجتمع العقبان ٢٣٦
الفصل الخامس والستون : لا أعرفكن ٢٣٩
الفصل السادس والستون : هذا هو جسدي .. هذا هو دمي ٢٤٢
الفصل السابع والستون : من ليس له فليشتر سيفا ٢٤٦
الفصل الثامن والستون : لماذا جئت ؟ ٢٤٩
الفصل التاسع والستون : سوف تبصرون ابن الانسان ٢٥١
الفصل السبعون : لماذا تركتني ؟ ٢٥٤

مقدمة المحرر

يظل يسوع الناصري أعظم وأهم فرد على الإطلاق عاش على هذه البسيطة. فلم يكن لأحد سواه ما كان له من تأثير دام كل هذا الوقت في هذا العدد الكبير من الأمم. وما من أحد سواه أثر بهذا المقدار في الفن والأدب والموسيقا والدراما. ولا يوجد ما يضاهي أقل مضاهاة سجل أعماله في تحرير الجنس البشري وتثقيفه وتثقيفه. وما من أحد سواه اجتذب هذه الكثرة، ليس من الأتباع فحسب، بل من العابدين أيضا.

ولم يتعرض أحد سواه لهذا القدر من الدراسة النقدية المطولة كما تعرض هو. فبعد ما ينيف عن ألفي سنة يظل العديد من القضايا الانتقادية عرضة للفحص والمناقشة بصورة مدهشة. لقد تراجع مستوى التشكيك بعض الشيء. فلم يعد ممكنا الافتراض دون جدل بأن أي شيء قويمي orthodox هو غير صحيح. ولكن يعتقد على نطاق واسع بأن، بعض التوكيدات، ومناهج البحث والافتراضات، الشائعة في دراسات العهد الجديد، تضاد عول relaiability صورة يسوع التي تعرضها لنا الوثائق. ثمة شائعة على نطاق واسع مفادها أنه ليس من الملائم ولا من الضروري أن نسأل، في زمن النقد التنقيحي redaction criticism * عما حدث فعلا، وأنه ليس من الممكن تمييز يسوع التاريخ الكائن خلف مسيح الإيمان. لذا تتكب هذه السلسلة من الكتب علىمهمة إعادة فحص قضية يسوع.

* يمكن أن يفهم النقد التنقيحي باعتباره الكشف عن مساهمة البشيرين الإبداعية، بمختلف جوانبها، التي قاموا بها خلال تدوينهم لأحداث حياة المسيح وتعاليمه لكي يقدموا مادة الإنجيل بأسلوب يفهمه القارئ.

في السبعينيات من هذا القرن أصدرت دار هودر Hodder للنشر سلسلة من الكتب حول موضوعات دينية مسيحية مثيرة للجدل. نشرت هذه الكتب في بلدان شتى، وقام بتأليفها كتاب متنوعون وحُدّ بينهم الاعتقادُ بأن الدراسة العلمية الجيدة لا تتنافر مع الاعتقاد القويم. وتأمل الدار المذكورة أن تنتج خلال الثمانينيات من هذا القرن سلسلة من الكتب تركز على يسوع المسيح نفسه مركز العاصفة الذي يثير أكبر قدر من الجدل في المسيحية. وسيتم النظر إلى جوانب متنوعة من قصة يسوع: تعليمه، مثاله، موته وقيامته، وتفرده. مؤلف الكتاب الأول من هذه السلسلة، هو إف. إف. بروس F. F. Bruce الذي استقال مؤخرا من منصبه كأستاذ في كرسي Rylands لمادة التفسير والنقد الكتابيين في جامعة مانشستر، و أحد أبرز علماء العهد الجديد البريطانيين، وقد وضع الأسلوب الذي سيطمح إلى اتباعه بقية كتّاب السلسلة. يتسم كتابه بالوضوح والنزاهة، والمعرفة الواسعة وسهولة الفهم والإيمان.

إن الذين سمعوا الأستاذ بروس يجيب دون استعمال أي ملاحظات مكتوبة عن أسئلة تتعلق بأشد المشكلات عوصا في العهد الجديد، سيسرون من موافقته على أن يتناول بالبحث سبعين من أقوال يسوع الأكثر صعوبة. لا يوجد، في حدود علمي، كتاب كهذا، وأنا واثق من أنه سوف يكون في متناول حلقة واسعة جدا من القراء. إن الثمار المجتناة من بحث بروس وتأملاته ستؤمن الفهم والثقة لكثيرين، وسوف تجعل شخص يسوع في مركز أوضح لكل قارئ.

مايكل غرين

مقدمة المؤلف

عندما دعاني مايكل غرين بطريقته الودية المقنعة إلى الإسهام في هذه السلسلة وسمح لي باختيار عنوان من بين مجموعة من العناوين، أخبرته بأنني سألزم جانب السلامة وأختار *أقوال يسوع الصعبة*. وما عنيته بـ " ألزم جانب السلامة " هو على ما أظن، أن هذا الموضوع سيحصرني بصورة رئيسة في نطاق التفسير exposition ، وهو تدريب أشعر أنني في إلفة به .

وسرعان ما وجدت أن تفسير أقوال يسوع الصعبة مهمة عسيرة وذات مسؤولية؛ إلا أنني مسرور لأنني تعهدت بالقيام بها، إذ ثبت أنها مجزية على نحو خاص. إن نيره هين وحمله خفيف، لكن أقواله صعبة في كثير من الأحيان لأنها تخالف الافتراضات الشديدة الرسوخ والادعاءات التقليدية بشأن الحياة والعلاقات الانسانية. وحيث أنها صعبة لهذا السبب، أرجو ألا أكون قد جعلتها سهلة، لأن ذلك يعني أنني جعلت معناها غامضا. لكن تفسير سبعين من أقوال يسوع الصعبة في الصفحات التالية قد يساعد القراء على إدراك التأكيدات الرئيسة لتعليمه .

ف. ف. ب.

تمهيد

كثيرون ممن أصغوا إلى يسوع أثناء خدمته العلنية وجدوا بعض أقواله "صعبة"، وقالوا ذلك. وكثيرون ممن يقرأون أقواله اليوم، أو يسمعونها تقرأ في كنيسة ما، يجدونها أيضا صعبة، لكنهم لا يعتقدون دائما بأن من اللائق قول ذلك .

إن أقوال ربنا جميعها وأعماله وطريقته في الحياة عموما قُدِّمَتْ من أديم واحد. وكلما قلّت الأفكار المتصورة سابقا التي نستحضرها في أذهاننا من الخارج ونحن نقرأ الأناجيل، كلما زاد الوضوح الذي نرى يسوع به كما كان في حقيقته. يسهل كثيرا الاعتقاد بيسوع من صنع مخيلتنا إلى حد كبير ـ أي بشخص مسالم لا يود أحد حقا أن يكلف نفسه عناء صلبه. لكن يسوع الذي نلقاه في الأناجيل، وهو أبعد ما يكون عن الشخص المسالم، وجه هجومه يمينا وشمالا. حتى أن أتباعه الأوفياء وجدوه، في بعض الأوقات، مُرْبِكًا تماما. لقد قلب كل المفاهيم السائدة المتعلقة باللياقة الدينية. تحدث عن الله بلغة حميمية بدت أشبه بالتجديف. وبدا أنه يتمتع بصحبة أكثر الناس مدعاة للشك. وشرع يسير وهو مدرك كل الإدراك في طريق سيؤدي، بنظر الناس "الواعين" ، إلى الكارثة.

لكنه خلق في الذين لم ينفروا منه محبة عميقة و ولاء لم يستطع الموت أن يدمرهما. عرفوا أنهم قد وجدوا فيه طريق القبول، وسلام الضمير ، والحياة التي هي الحياة حقا. والأهم من ذلك: أنهم عرفوا فيه الله نفسه بطريقة جديدة؛ هنا كانت حياة الله تعاش في حياة انسانية حقيقية، وتتصل بهم عن طريقه. ويوجد اليوم أناس كثيرون يلقون يسوع، ليس في الجليل واليهودية بل في ما دونه الإنجيل، ويصيحون على غرار التلاميذ مدركين لجاذبيته الجبارة. ويدخلون في الخبرة نفسها التي اختبرها أولئك الذين استجابوا له عندما كان على الأرض .

أحد أسباب الشكوى من أن أقوال يسوع كانت صعبة هو أنه جعل سامعيه يفكرون. التفكير في نظر بعض الناس تدريب صعب وغير مريح، ولا سيما عندما يتضمن إعادة تقييم نقدية لقناعات وآراء سبقية جرى التمسك بها بصورة ثابتة، أوعندما يتضمن تحديا لإجماع الرأي الساند. فكل قول يدعوهم إلى الانخراط في هذا النوع من التفكير هو قول صعب. فكثير من أقوال يسوع بهذا المعنى كانت صعبة. واقترحوا بأن من الخير إعادة النظر في أمور قبلها كل إنسان عاقل. وفي عالم كان السبق فيه للسريعين والغلبة في الحرب للأقوياء، وحيث كانت جوائز الحياة من نصيب المزاحمين والطامحين يكون من المضحك أن نهنئ غير الراغبين في مزاحمة الآخرين ونخبرهم أنهم سوف يرثون الأرض، أو أن نخبرهم، بما هو أفضل، وهو أنهم سيحصلون على ملكوت السموات. ربما كانت التطويبات، وما زالت، أصعب أقوال يسوع.

إن الكثير من أقوال يسوع أشد صعوبة في نظر العالم الغربي لأن الناس يعيشون في ثقافة تختلف عن تلك التي قيلت فيها أقوال يسوع، ولأنها تتحدث بلغة تختلف عن لغة الغرب. تحدث يسوع بالآرامية معظم الوقت، على مايبدو، ولكن كلماته الآرامية لم تحفظ، باستثناء قلة منها. وصلت كلماته إلينا مترجمة، وتلك الترجمة ــ أي يونانية الأناجيل ـ ينبغي أن تترجم ثانية إلى لغتنا. ولكن بعد أن حلت المشكلات اللغوية بقدر الإمكان، وواجهتنا كلماته التي نقرؤها في ترجمة توصف بأنها "مكافئة [للأصل] على نحو دينامي" ـ أي أنها ترجمة تهدف إلى أن تحدث في نفوسنا الأثر نفسه الذي أحدثته الكلمات الأصلية في نفوس أول من سمعوها ــ فإن إزالة نوع من الصعوبات قد يؤدي إلى بروز نوع آخر .

لدينا نوعان من الأقوال الصعبة: بعضها يصعب فهمه وبعضها لا يمكن فهمه لفرط سهولته. عندما تفسر أقوال يسوع الصعبة بالمعنى الأول بتعابير مكافئة على نحو دينامي، فيحتمل عندئذ أن تصبح صعبة في معناها الأخير . لقد نطق مارك توين

بلسان كثيرين عندما قال إن الأمور التي تزعجه في الكتاب المقدس ليست تلك التي لم يفهمها بل تلك التي فهمها. وهذا ينطبق على أقوال يسوع على نحو خاص. فكلما فهمناها فهما أفضل صعب علينا قبولها. (على غرار ذلك، ربما كان هذا هو السبب الذي يجعل بعض الناس المتدينين يظهرون كل هذه العداوة تجاه ترجمات الكتاب المقدس الحديثة: فهذه الترجمات تجعل المعنى واضحا، والمعنى الواضح غير مقبول).

إذا كانت الصفحات التالية تفسر أقوال يسوع الصعبة بحيث تجعلها أكثر قبولا، وأقل تحديا، فمن المرجح أن هذا التفسير خاطئ. لم يتجول يسوع وهو يكرر من غير فهم تفاهات ورعة؛ ولو أنه فعل ذلك لما جعل كل هذا القدر من الناس أعداء له. يقال لنا إن "عامة الناس كانوا يسمعونه بسرور" ـــ يفوق سرور أعضاء المؤسسة الدينية، على أي حال ـ ولكن حتى من بين عامة الناس كثيرون تحرروا من الوهم الذي علق بأذهانهم بشأنه إذ تبين لهم أنه لم يكن القائد الذي وضعوا آمالهم فيه.

وبصرف النظر عن النموذج الطرازيبدئي archetypal لأقوال يسوع الصعبة وهو القول الذي تبدأ به المجموعة، فإن جميع الأقوال التي يتم تناولها بالبحث هنا مأخوذة من الأناجيل الإزائية. في إنجيل يوحنا الكثير من الأقوال الصعبة، ولكن لهذه الأقوال طبيعتها المميزة، ويتطلب بحثها كتابا آخر بحجم هذا الكتاب.

إن النظرة القائلة بوجود علاقة متبادلة بين الأناجيل الإزائية، وهي النظرة المتبناة في هذا العمل، لا تؤثر كثيرا في تفسير الأقوال الصعبة، وسيكون من الخير أيضا أن نبينها باختصار. مفاد تلك النظرة أن إنجيل مرقس قد زود متى ولوقا بأحد مصادرهما الرئيسة؛ وأن متى ولوقا تشاركا في مصدر آخر، وهو مجموعة أقوال ليسوع مرتبة في إطار قصصي مختصر (لا يختلف عن ترتيب الكتب النبوية في العهد القديم) ؛ وأن كلا من كتّاب الأناجيل الإزائية كان له فرصة الاطلاع على

مصادر للمعلومات لم يستخدمها الآخرون.[1] وهذا يساعدنا أحيانا لنرى كيف فهم أحد البشيرين سلفه، من طريقة إعادة صياغة عباراته أو الإسهاب فيها .

تظهر بعض الأقوال في سياقات مختلفة في مختلف الأناجيل. وكثيرا ما يقال في هذا الصدد إنه لا ينبغي أن يظن أن يسوع غير قادر على تكرار ما قاله. هذا أمر يمكن التسليم به دون تحفظ: إذ يمكن فعلا أن يكون قد استخدم قولا بليغا في مناسبات متنوعة. فليس هناك سبب يدعو إلى الافتراض بأنه قال، مرة واحدة فقط، عبارة "من له أذنان للسمع فليسمع"، أوعبارة "كثيرون يدعون، وقليلون ينتخبون". ولكن في بعض المناسبات ينسب قول ما، تشير الدراسة المقارنة إلى أنه قيل في مجموعة معينة من الظروف، إلى سياقات مختلفة من قبل مختلف البشيرين أو مختلف المصادر. وهناك مبادئ أخرى للترتيب عدا مبدأ الترتيب الزمني الصرف: فقد يجمع كاتب عددا من الأقوال معا بسبب معالجتها لنفس مادة الموضوع أو لأن لها الأسلوب الأدبي نفسه؛ ويجمعها آخر، لأن لها كلمة مفتاحية مشتركة (كالأقوال الخاصة بالنار والملح في مرقس ٩:٤٣-٥٠) .

عندما يكون هناك سبب للاعتقاد بأن كاتب أحد الأناجيل قد وضع قولا في إطار الموضوع وليس بالأحرى في إطار الترتيب الزمني، فيمكن أن يكون من المفيد أن نحاول تقرير ماذا كان على الأرجح إطار ترتيبه الزمني في خدمة يسوع. لقد اقترح مثلا بأن قول يسوع: "أنت بطرس"، الذي أورده متى (وحده من بين كتاب الأناجيل الإزائية) ضمن تقريره حول تبادل الآراء بين يسوع والتلاميذ في قيصرية فيلبس، ربما كان يعود من حيث الترتيب الزمني إلى مناسبة أخرى، كظهور يسوع بشخصه المقام لبطرس. بل إن الأمر الأكثر مدعاة للتحزر هو إقحام بعض الأقوال باعتبارها كلمات قالها يسوع ليس خلال خدمته العامة بل فيما بعد، يقم نبي في

---

[1] اتفق على أن يشار بـ .Q إلى المادة المشتركة بين متى ولوقا ولكنها غير موجودة في مرقس. أما التعليم الخاص بمتى فيشار إليه ب .M ؛ ويشار إلى الخاص بلوقا بـ . L

الكنيسة الباكرة. لقد ظننّ أنه من الأفضل أثناء إعداد هذا العمل عدم الانخراط في مثل هذا التحزر بل أن أعالج الأقوال في المقام الأول في سياقاتها التي هيأها لها البشيرون .

كذلك لا يتسع المقام هنا للتحقق مما إذا كانت الأقوال المدروسة هي أقوال يسوع الأصيلة أم لا. ولمساعدة الطلاب في الحصول على جواب عن هذا السؤال استنبط بعض العلماء "معايير الأصالة" لتطبيقها على الأقوال المدونة في الأناجيل. منذ بضع سنوات أخبرني عالم، يعلق أهمية عظيمة على هذه المعايير، أنه توصل إلى الاستنتاج بأن ستة فقط، أو ثمانية على الأكثر، من بين جميع الأقوال المنسوبة إلى يسوع في الأناجيل، يمكن قبولها باعتبارها أقواله من غير شك أو ريب. سيدرك قارئ هذا العمل أنه مكتوب من وجهة نظر أقل شكوكية من نظرة هذا العالم. مهما يكن من أمر، دعنا نقلْ هذا: إن حقيقة كون قول ما صعبا ليس أساسا للارتياب في أن يسوع لم يقله. الأمر على العكس من ذلك، فكلما كان القول صعبا، كلما زاد احتمال أن يكون أصيلا.

لقد تضمن المجلد الثاني من الموسوعة الكتابية *Encyclopaedia Biblica*، التي نشرت عام ١٩٠١ ، مدخلا هاما ومطولا إلى "الأناجيل" بقلم العالم السويسري ، ب. و. شميدل .P. W. Schmiedel . ذكر شميدل في سياق هذا المدخل أن الكنيسة سرعان ما كوّنت مفهوما عن يسوع أصبح مفهوما تقليديا لديها. إلا أن ثمة أقوالا ومقاطع تعاكس، بحسب رأي شميدل ذلك المفهوم التقليدي إلى حد أنه يستحيل على أحد [من الكنيسة] أن يكون اخترعها ونسبها إلى يسوع. لذلك اعتبرها شميدل أصيلة من غير أدنى شك واعتزم أن يبحثها باعتبارها "الأركان الأساسية لحياة يسوع الحقيقية من الوجهة العلمية". سنتفحص عددا من هذه الأقوال في الصفحات التالية لأنها، سواء من حيث المعنى الذي قصده شميدل أو خلافه، أقوال صعبة بالتأكيد.

الترجمة المستخدمة في هذا العمل في أكثر الأحيان هي Revised Standard Version .إن صياغة ترجمة الـ Authorized (King James) Version لأقوال يسوع على الغالب، هي التي أكسبتها وضعية "الأقوال الصعبة"، وصياغة RSV قريبة من AV قربا كافيا بحيث أنها احتفظت بعنصر "الصعوبة" نفسه. ولكن ترجمة كـ New English Bible تزيح الصعوبة أحيانا لتحل محلها صعوبة أخرى.

إنني، بالطبع، مدين بالفضل، في تفسير الأقوال التي أوردتها على سبيل المثال، لكثير من المفسرين الآخرين. ويرد بعض إقراري بالفضل في الصفحات التالية. إلا أن ثمة مفسر ، أشعر بأنني مدين له بالفضل على نحو خاص، هو الأستاذ الراحل ت. و. مانسون T. W. Manson ولا سيما فيما يتعلق بكتابيه، *تعليم يسوع* The Teaching of Jesus[2] و*أقوال يسوع* The sayings of Jesus[3]. أقتبس من الكتاب الأخير هذه الكلمات التي تصلح لتكون خاتمة ملائمة لهذا التمهيد :

إذا قبلنا الحقيقة منذ البداية فهذا سوف يبسط المناقشة: والحقيقة هي أن تعليم يسوع صعب وغير مقبول، لأنه يجري على نحو مضاد لتلك العناصر الكائنة في الطبيعة البشرية والتي يتشارك فيها القرن العشرون مع القرن الأول — أشياء كالكسل والطمع ومحبة اللذة، والميل الغريزي للرد بالمثل وما أشبه. يُظهر التعليم ككل أن يسوع كان مدركا تمام الإدراك لهذا وأنه أقر بأن العقبة التي يجب تجاوزها هي هنا وليس في مكان آخر.[4]

---

[2] T. W. Manson, *The Teaching of Jesus*, second edition (Cambridge, 1935).

[3] T.W. Manson , *The Sayings of Jesus* , second edition (London 1949).

[4] *The Sayings* , p. 35.

الفصل الأول

أكل جسد ابن الانسان وشرب دمه

"الحق الحق أقول لكم ، إن لم تأكلوا جسد ابن الانسان وتشربوا دمه، فليس لكم حياة فيكم" (يوحنا ٥٣:٦)

كان هذا هو القول الصعب الأصلي: كما روى يوحنا، "فقال كثيرون من تلاميذه إذ سمعوا، ' إن هذا الكلام صعب؛ من يقدر أن يقبله؟ ' " (يوحنا ٦٠:٦). والمعنى الضمني هو أنهم لم يجدوا ذلك الكلام عسرا على الفهم فحسب، لكنهم شكوا في أنهم سيكونون قادرين على قبوله، إذا ما فهموه. وتعبر ترجمة NEB عن فارق دقيق في المعنى إذ تقول: "هذا أكثرمما نستطيع أن نتحمله! لماذا تصغون لكلام كهذا ؟" وهذا يفيد ضمنا بأنهم اعتقدوا بأن يسوع كان يتكلم كلاما لا معنى له، وأن الاصغاء له كان مضيعة للوقت؛ ولكن ليس هذا على الأرجح ما عناه يوحنا.

إن إطعام الخمسة آلاف إحدى الحوادث القليلة في خدمة يسوع التي سجلها البشيرون الأربعة. دونها مرقس في ٣١:٦-٥٢ (وأتبعها بحادثة مجئ يسوع إلى تلاميذه ماشيا على الماء) وجاء ما يشبهها بصورة أساسية في متى ١٣:١٤-٣٣ وكذلك جاءت في لوقا (دون المشي على الماء) لوقا ١٠:٩-١٧ . أما يوحنا فيروي القصة بصورة مستقلة (إلى جانب المشي على الماء) في يوحنا ١:٦-٢١ .

نخرج من الأناجيل الإزائية بانطباع مفاده أنه كان في إطعام الجمع أكثر مما بدا لعين المشاهد آنئذ أو ما يبدو لعين القارئ اليوم. يوضح مرقس بخاصة أن القصد من الإطعام كان تعليم التلاميذ درسا فشلوا في تعلمه، وأن يسوع تعجب من فشلهم. بعد أن انضم يسوع إليهم في القارب ومضوا في طريق العودة إلى الجانب الآخر

من بحيرة الجليل، وهدأت الريح التي كانت قد جعلت التقدم عسيرا، عندئذ، كما يقول مرقس، "قبهتوا وتعجبوا في أنفسهم جدا إلى الغاية ، لأنهم لم يفهموا بالأرغفة إذ كانت قلوبهم غليظة" (مرقس ٦:٥١-٥٢). وتعني عبارة "كانت قلوبهم غليظة" "كانت أذهانهم مغلقة" كما ورد في NEB: لقد كانوا متبلدي الذهن إلى حد أنهم لم يفهموا الدرس، ومن الجلي أن الدرس كان يتعلق بشخص سيدهم.

لكن المعنى الأبعد الكامن تحت السطح في السجل الإزائي يبرزه يوحنا إلى السطح ويوضحه بكل جلاء وتفصيل. وهو يفعل هذا على شكل خطاب ألقاه يسوع بعد ذلك بقليل في مجمع كفر ناحوم. موضوع الحديث هو خبز الحياة. ثمة اقتراح مفاده أن أحد الدروس الكتابية التي ألقيت في المجمع في ذلك السبت كان مأخوذا من خروج ١٦:١٣-٣٦ أو عدد ١١:٤-٩، اللذَيْن يتحدثان عن المن، وهوالخبز الذي من السماء الذي أكله الإسرائيليون خلال تيهاناتهم في البرية. على أية حال، هذا هو الموضوع الذي يبدأ به الخطاب.

قال يسوع لسامعيه، أن المن الذي أكله آباؤهم في البرية لم يكن طعام الخلود: فالذين أكلوه ماتوا برغم ذلك عاجلا أو آجلا. كذلك فإن الخبز الذي كان يسوع قد أطعم الجمع إياه مؤخرا لم يكن سوى خبز مادي. لقد تمنوا أن يجعلوه قائدا لهم لأنه أعطاهم ذلك الخبز، ولكنه بالحقيقة جاء ليعطيهم خبزا أفضل منه. وكما قدم للمرأة السامرية عند بئر يعقوب ماء أفضل من الماء الذي في البئر، أي الماء الذي يروي ظمأ الحياة إلى الأبد، هكذا يقدم الآن لهؤلاء الجليليين خبزا أفضل من الأرغفة الخمسة التي أطعم الجمع إياها، بل خبزا أفضل من المن الذي كان آباؤهم قد أكلوه، "الخبز الباقي للحياة الأبدية". يمكن أن يدعى المن خبزا من السماء، بل وخبز الله؛ لكن الخبز الحقيقي هو "خبز الله النازل من السماء، الواهب حياة للعالم" (يوحنا ٦:٢٧-٣٤). وليس ذلك فحسب، بل إن الله قد فوّض وكيله وأجازه لكي يمنح هذا الخبز الواهب للحياة: هذا الوكيل هو ابن الانسان، يسوع نفسه. كل شئ حسن حتى

الآن: وكما قالت المرأة السامرية، لدى سماعها عن ماء الحياة، "ياسيد أعطني من هذا الماء، لكي لا أعطش" (يوحنا ٤:١٥)، كذلك قال سامعو يسوع الحاليون، "ياسيد أعطنا في كل حين هذا الخبز."

هذا يهيئ المسرح للقسم الثاني من الدرس. فيسوع لا **يعطي** خبز الحياة فقط؛ إنه **هو** خبز الحياة. الحياة الحقيقية، أي الحياة الأبدية، لا توجد إلا فيه وحده: "من يقبل إلي فلا يجوع ومن يؤمن بي فلا يعطش أبدا" (يوحنا ٦:٣٥). بالحقيقة إن الذين يأتون إليه بالإيمان لن يجدوا فيه ما يسد جوع نفوسهم ويروي عطشها دائما فحسب؛ لكنهم لن يموتوا أبدا. "أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء؛ إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد؛ و الخبز الذي أنا أعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم" (يوحنا ٦:٥١).

الآن تبدأ صعوبة الدرس حقا. إن كل من أفاد من قراءة هذه الكلمات في سياق إنجيل يوحنا بكامله يعرف فحواها. إن الإيمان بالمسيح لا يعني تصديقا لما يقوله فحسب: إنه يعني الاتحاد به بالإيمان، أي المشاركة في حياته. إن كلمات يسوع بشأن إعطاء جسده لحياة العالم، يماثلها، إلى حد ما، ما قاله في مرقس ١٠:٤٥، حيث يتحدث عن مجئ ابن الانسان "ليبذل نفسه فدية عن كثيرين". عندما قال يسوع "جسدي" فربما كانت هذه، في إطار اللغة التي تحدث بها، طريقة أخرى ليقول "نفسي": فهو بالذات الخبز المعطى لحياة العالم. ولكن القول الوارد في مرقس ١٠:٤٥ لا يشير إلى ابن الانسان كطعام "لنفوس كثيرة"؛ هذا تأكيد إضافي كان من شأنه أن يترك الجماعة في المجمع غير قادرة على فهم الحديث لأنه غريب عنها.

كان السؤال الطبيعي الذي تردد على شفاه الذين لم يقدروا على فهم الحديث هو، "كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لنأكل؟" (يوحنا ٦:٥٢). لكن كان من عادة يوحنا عند تدوين أحاديث يسوع أو محادثاته أن يقتبس كلمات ذات معنى روحي ثم يجعل السامعين يظهرون باستجابتهم أنهم فشلوا في إدراك ذلك المعنى؛ وهكذا تتاح ليسوع

فرصة إعادة كلماته على أكمل وجه. فيسوع هنا يعيد كلماته على أكمل وجه رداً على انذهال الجماعة: "من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية، وأنا أقيمه في اليوم الأخير. لأن جسدي مأكل حق ودمي مشرب حق. من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت في وأنا فيه" (يوحنا ٦:٥٤-٥٦).

ماذا كان المعنى المحتمل لكلامه؟ من الواضح أنه ما كان يجب أن تؤخذ اللغة حرفيا: فلم يكن يدافع عن أكل لحوم البشر. لكن كيف كان ينبغي أن تفهم؟ لقد اعتقدوا أن كلامه لم يكن غامضا فحسب: بل كان مزعجا. كان محرما على اليهود أن يشربوا أي دم، بل كان محرما عليهم أن يأكلوا لحما لم ينزف دمه تماما. أما شرب دم انسان فهو فكرة لا يجوز حتى ذكرها. كان هذا قولا صعبا بأكثر من معنى.

رد يسوع على احتجاجهم بالإشارة إلى أن كلماته يجب أن تفهم روحياً. "الروح هو الذي يحيي، أما الجسد فلا يفيد شيئا" (يو ٦:٦٣). من الواضح أن المعنى المادي أو الحرفي لكلماته أمرغير وارد. لكن ماذا كان المعنى الروحي؟

كذلك فإن قارئ هذا الإنجيل، إذ يدرس هذه الكلمات في سياق العمل الكامل، له ميزة يتفوق بها على السامعين الأولين، الذين لم يكن لديهم مثل هذا السياق التفسيري. ما نلاحظه في لغة يسوع الغريبة هو تعبير مجازي قوي يبين أن المشاركة في حياة الله، أي الحياة الأبدية، تُمنح لأولئك الذين يأتون إلى يسوع بالإيمان، ويمتلكونه، ويدخلون في اتحاد معه. لنعط الفرصة لاثنين من أساطين الكنيسة ليتكلما عن هذا الموضوع: أوغسطين أسقف هيبو Hippo (في نهاية القرن الرابع) و برنارد رئيس دير كليرفو (القرن الثاني عشر) .

يقول أغسطين، إنه من غير الممكن فهم القول الصعب حرفيا، نظرا إلى أن ذلك سيبدو و كأنه اشتراك في جريمة أو رذيلة: "فهي إذاً استعارة تأمرنا بأن نشترك في آلام ربنا، ونذخر في قلوبنا بصورة سرية ومفيدة حقيقة أن جسده قد صُلِب وطُعن

من أجلنا."[1] ويلخص المسألة في موضع آخر في حكمة معبرة عن الفكرة بطريقة بارعة: *Crede et manducasti,* "آمن، فأنت أكلت."[2]

أما برنارد فيشرح عبارة يسوع القائلة "من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية" باعتبارها تعني: "من يتأمل في موتي، ويميت أعضاءه التي على الأرض، اقتداء بي، فله حياة أبدية ــ بعبارةأخرى، " إذا كنت تتألم معي، فسوف تملك معي."[3]

من الطبيعي أن يطرح السؤال التالي: ما علاقة هذه الكلمات بخدمة الاشتراك [العشاء الرباني]، حيث يتناول المؤمنون الخبز والخمر كرمزين لجسد الرب ودمه؟ نظرا إلى أن يوحنا، خلافا لبقية البشيرين، لم يدون تأسيس الشركة المقدسة، فيمكن أن يقال إن حديث يسوع هذا هو بمثابة نظير لبياناتهم حول ما فعله يسوع وقاله في العلية عندما أعطى التلاميذ الخبز والكأس (راجع ٢٤٤–٢٤٧). لا يشير يسوع في حديثه الوارد في يوحنا ٦ إشارة مباشرة إلى الشركة المقدسة، ولكن هذا الحديث يبلّغ [القارئ] الحقيقة نفسها بالكلام كما تبلّغها الشركة المقدسة بالعمل. هذه الحقيقة تلخص بالدعوة المقدمة إلى المتقدمين إلى الشركة في *كتاب الصلاة العامة* :"خذوا كلوا هذا تذكارا لموت المسيح من أجلكم، وتغذوا به في قلوبكم بالإيمان شاكرين." إن تغذي الانسان [المؤمن] بالمسيح في قلبه بالإيمان مع الشكر هو "أكل جسد ابن الانسان وشرب دمه" وبالتالي امتلاك الحياة الأبدية.(راجع ص٢٥٣,٢٥٦ من أجل عبارة "ابن الانسان").

---

1 Augustine , *On Christian Doctrine* 3. 16.
2 Augustine , *Homilies on John* 26. 1.
3 Bernard , *The love of God* 4. 11.

الفصل الثاني

ابن الانسان يغفر الخطايا

"لابن الانسان سلطانا على الأرض أن يغفر الخطايا" (مرقس ٢:١٠)

عندما نقب أصدقاء المفلوج الأربعة سقف البيت الذي في كفر ناحوم حيث كان يسوع يعلم، ودلّوه على فراشه المصنوع من قش حتى صار عند قدمي يسوع، قدر يسوع إيمانهم وتصميمهم وشفى الرجل. ولكن قبل أن يطلب من الرجل أن يحمل سريره ويذهب إلى بيته، قال له: "يا بني مغفورة لك خطاياك" (مرقس٢:٥). لا يذكر شئ عن سبب شلل الرجل، لكن من الجلي أن يسوع عرف أن أول ما كان يحتاجه هو الحصول على اليقين بأن خطاياه قد غفرت. فإذا ما قُبل هذا اليقين، تبع ذلك الشفاءُ الجسدي.

لقد شكلت كلمات يسوع للرجل المفلوج قولا صعبا وقع في مسامع بعض الواقفين من حوله. فمن كان هذا لينطق بغفران الخطايا؟ أن يغفر المرء أذىً لحق به، فهذا واجب ديني، لكن الخطايا ترتكب ضد الله، ولذلك فإن الله وحده يستطيع أن يغفرها. قد يقول انسان ما لخاطئ "ليت الله يغفر لك"؛ ولكن بأي سلطان يستطيع أحد أن يقول له، "مغفورة لك خطاياك"؟ كان من المرجح أن يوافق نقاد يسوع على أن النطق باسم الله المفوض على الوجه الصحيح، يمكنه، بحسب كلمات الحلّ العام General Absolution أن، "يعلن ويؤكد لشعبه، النادمين، حلّهم من خطاياهم وغفرانها لهم"؛ لكنهم لم يعترفوا بيسوع ناطقا مفوضا على الوجه الصحيح، ولم تكن هناك أي بينة، بحدود علمهم، تفيد بأن الرجل كان على وشك أن يعلن توبته أو أن قربان الخطية المناسب قد قدم إلى الله. إن نبرة السلطان في صوت يسوع وهو ينطق بالغفران هي التي سببت إغضابهم بصورة رئيسة: فهو لم يفرض أي

شروط، ولم يطلب أي إصلاح للحياة، بل تكلم وكان مجرد قوله قد ضمن الغفران الإلهي. كان يسوع، في اعتقادهم، يدعي لنفسه ما هو حقّ مقصور على الله.

كيف كان باستطاعة يسوع أن يقدم الدليل على سلطانه ليغفر الخطايا؟ ما كان باستطاعتهم أن يروا الخطايا تُغفرُ، لكنه كان باستطاعتهم أن يروا مفعول كلمات يسوع التي قالها بعدئذ في استجابة الرجل. من السهل *قول* "مغفورة لك خطاياك"، لأنه ما كان بإمكان أحد في الحالة العادية أن يرى ما إذا كانت الخطايا قد غفرت أم لا. ولكن إن طلب أحد من رجل مشلول أن ينهض ويمشي، سيظهر بسرعة أن كلماته لا معنى لها إذا لم يحدث شئ. قال يسوع لناقديه، "لكن لكي تعلموا أن لابن الانسان سلطانا على الأرض أن يغفر الخطايا"، ثم التفت إلى المفلوج وقال: "قم، احمل سريرك واذهب إلى بيتك." عندما فعل المفلوج كما قال يسوع تماما، ثبتت قوة يسوع كشافٍ ـ لكن الأهم من ذلك، فإنّ تيقُّن الرجل من أن خطاياه قد غفرت هو الذي مكنه من فعل ما كان مستحيلا قبل برهة وجيزة، وهكذا ثبت سلطان يسوع ليغفر الخطايا في الوقت نفسه.

هذه أول مرة يرد فيها لقب "ابن الانسان" في إنجيل مرقس، وهي إحدى المرتين اللتين ورد فيهما ولا بد أنهما سبقتا اعتراف بطرس، في قيصرية فيلبس بأن يسوع هو المسيح (المرة الثانية هي التصريح، في مرقس ٢٨:٢ بأن ابن الانسان هو رب السبت؛ انظر ص٣٣). كان لقب ابن الانسان على ما يبدو، طريقة يسوع المفضلة في الإشارة إلى نفسه (راجع ص ١٥٨،٣٣). أحيانا يؤمّنْ "مثلْ ابن انسان"، المذكور في رؤيا دانيال ليوم الدينونة، الذي أعطي سلطانا فائقا (دا ١٣:٧-١٤)، خلفية لاستعمال يسوع لهذا التعبير (راجع ص ٢٥٣)، لكن ابن الانسان ذاك مفوض بتنفيذ الدينونة وليس بالأحرى النطق بغفران الخطايا (يستطيع المرء أن يقارن مع يوحنا٥:٢٧، حيث أعطى الآب للابن "سلطانا أن يدين، لأنه ابن الانسان"). إلا أن التعبير هنا يشير على الأرجح إلى يسوع بصفته الانسان الممثل the

رأوها" مجدوا الله الذي أعطى سلطانا مثل هذا للناس "— أي ٨). فهذا السلطان المعطى مارسه يسوع باعتباره الانسان الممثل — "، بحسب تعبير بولس فيما بعد (١كو ١٥:٤٥). إن النطق بغفران ه هو أسمى حق مقصور على الله، وقد شارك هذا الحق مع ابن

الفصل الثالث

لا الأبرار بل الخطاة

" لم آت لأدعو أبراراً ، بل خطاة " (مرقس ٢:١٧)

لقد جعلتنا كرازة الإنجيل وقراءة العهد الجديد طوال تسعة عشر قرنا نألف الفكرة التي مفادها أن خدمة يسوع كانت موجهة على نحو خاص إلى الخطاة ــ ليس الخطاة بالمعنى البسيط الذي يقصده معظم الناس عندما يقرّون بـ "أننا جميعا خطاة"، بل الخطاة بمعنى أن حياتهم انتهكت القانون الأخلاقي المقبول لدى مجتمعهم. "صادقة هي الكلمة ومستحقة كل قبول، أن المسيح يسوع جاء إلى العالم ليخلص الخطاة" (١تي ١:١٥)؛ هذا نص عظيم في الإنجيل، وإذا كان الكاتب يتابع فيتحدث عن نفسه باعتباره أول الخطاة، فهذا يساعد على تأكيد ادعائه بامتلاك نعمة المسيح المخلصة. لكن ما أساء إساءة كبيرة خلال خدمة يسوع لكثيرين من الناس المحترمين، أنه لم يُبدِ، وهو المعلم الديني، إلا أقل مراعاة لما كان ينتظر منه فيما يتعلق بمعاشرة قوم لم يكونوا من أفاضل الناس. فعندما سمح يسوع لامرأة ذات سمعة مشبوهة بأن تلمسه، قال سمعان الفريسي لنفسه: "لو كان هذا نبيا لعلم أي امرأة هي هذه التي تلمسه، إنها خاطئة"(لو ٧:٣٩). لكن يسوع عرف تماما أي امرأة كانت، ولهذا السبب عينه ما كان ليمنعها من أن توليه مثل هذا الاهتمام المربك (انظر ص ٨١).

من بين جميع الألقاب التقليدية التي أطلقت على يسوع، لا يوجد على الأرجح لقب يمس شغاف القلب أكثر مما يمسه لقب "صديق الخطاة". لكن هذا اللقب أطلق عليه أولا من باب الانتقاد، إذ قالوا: "إنه أكول وشريب خمر وصديق للعشارين والخطاة !" (لو ٧:٣٤) ــ العشارين الذين كانوا يصنفون في أدنى درجات سلم

الاحترام، ولا يجاريهم في ذلك سوى الزواني. إنه لم يتحمل هؤلاء الناس وكأنه يسدي لهم معروفا بالانتباه إليهم *من أعلى إلى أسفل*: لقد أعطى انطباعا بأنه يحب صحبتهم، بل وأنه كان يفضلها؛ لم يَدِنْهم لكنه شجعهم على الشعور نحوه و كأنه واحد من أهلهم و ذويهم. قال الكتبة متذمرين: "هذا الرجل يقبل خطاة"؛ ويفعل أكثر من ذلك، إذ أنه في الواقع "يأكل معهم" (لوقا ١٥:٢). إن قبوله الدعوات إلى الأكل في بيوت أناس كهؤلاء، والتمتع بشركة ـ المائدة معهم، كان أقوى أسلوب توكيدي يعلن بـه وحدته معهم. فلا عجب أن أساء هذا إلى أولئك الذين لازموا السبيل الأخلاقي القويم، بجهد كبير أحيانا. إذا كان المرء يُعرَف مِمَّن يعاشِر، فإن يسوع كان ببساطة يطلب أن يُعرَف بصفته صديق من ليسوا من ذوي الفعال الحسنة، أي من كانوا حثالة المجتمع. ألا يتصرف كثيرون من الناس المتدينين اليوم بنفس الطريقة تماما؟

قبل يسوع ذات مرة دعوة إلى الغداء في بيت أحد هؤلاء الناس السيئي السمعة، واقترب الكتبة من تلاميذه. كانت الدعوة قد وجهت إلى التلاميذ أيضا، ولكن بعضهم ساورتهم الشكوك. وسُئِل التلاميذ، "لماذا يأكل مع عشارين وخطاة ؟" لكن يسوع قاطعهم بالجواب، قائلا: "لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى، لم آت لأدعو أبرارا بل خطاة" (مرقس ٢:١٧). أن تدعو فهذا يعني أن تدعو إلى وليمة: كان قد قبل دعوتهم، لكنهم تلقوا دعوة منه ـ ليأخذوا رحمة الآب السماوي المتسمة بالمحبة وينعموا بها. من الجلي أن "التسعة والتسعين بارا الذين لا يحتاجون إلى توبة" (لوقا ١٥:٧) لابد من أن يكونوا قد شعروا بأن احتفاءه بالخطاة كان أكثر مما ينبغي (انظر ص ١٧٤)، ولكن نظراً إلى أن الإنجيل هو أولا وفي المقام الأول للخطاة ـ بالحقيقة، للخطاة فقط ـ فلا يمكن أن يكون بخلاف ذلك.

كلمات يسوع هذه أورد البشيران الإزائيان الآخران ما يشبهها (متى ٩:١٣؛ لوقا ٥:٣٢)، لكن لوقا يضيف شرحا تفسيريا قصيرا: "لم آت لأدعو أبرارا بل خطاة إلى

التوبة." تُعرَض التوبة في إنجيل لوقا بتكرار أكثر مما تعرض في الإنجيلين الآخرين (ولا تعرض أبدا في إنجيل يوحنا). لقد قُدِّم أحيانا اقتراح مفاده أن إضافة لوقا تكشف عن سوء فهم من جانبه، لكنها ليست كذلك حقا. إذا كانت التوبة في تعاليم يسوع تتضمن تغييرا في الخُلُق وليس بالأحرى إصلاحا في السلوك[1] فإن يسوع آمن بمعالجة جذر المرض وليس مجرد معالجة الأعراض. ولا يمكن معالجة الجذر بصورة فعالة إلا بتوكيد عملي وتبيين للمحبة المتدفقة الباذلة لذاتها.

---

1 As is pointed out by T.W. Manson in *The Teaching*, p.308.

الفصل الرابع

السبت لأجل الانسان

"السبت إنما جعل لأجل الانسان،لا الانسان لأجل السبت؛ إذاً ابن الانسان هو رب السبت أيضاً" (مرقس ٢:٢٧-٢٨)

هذه هي المرة الثانية التي يظهر فيها لقب "ابن الانسان" في إنجيل مرقس -- ويورد مرقس المناسبتين اللتين ظهراللقب فيهما قبل حادثة قيصرية فيلبس.(راجع ص٢٥ من أجل المناسبة الأولى). كانت هذه الكلمات خاتمة لجواب يسوع لأولئك الذين انتقدوا تلاميذه لأنهم، فيما كانوا يسيرون عبر الحقول في يوم السبت (بحسب لوقا ٦:١) راحوا يقطفون السنابل ويأكلون الحب بعد أن يفركوا السنابل بأيديهم لفصل الحب عن العصفات. هذه أفعال لا ضرر منها بنظرنا، كما يمكن أن يفترض اليوم (إلا إذا اشتكى صاحب المحصول من أنه قد سُرِق)، ولكن قطف السنابل كان يعد من الناحية التقنية، وفق رأي مفسري الشريعة، شكلا من الحصاد، وفركها لفصل الحب من العصفات شكلا من الطحن، وكان الحصاد والطحن نوعين من العمل المحظور يوم السبت. فبالإضافة إلى انتقاد التلاميذ المعبر عنه، كان هناك على الأرجح انتقاد ضمني ليسوع بسبب سماحه لهم بانتهاك الشريعة بهذه الطريقة.

استشهد يسوع أولا بسابقة: ففي حالة طارئة سمح لداود من قبل الكاهن المكلف بخدمة المذبح في نوب (ربما على جبل سكوبس، قرب أورشليم) بأن يأخذ بعضا من الخبز المقدس ("خبز الوجوه" أو "خبزالحضرة [الإلهية]") ليأكله هو وأتباعه، مع أنه، بموجب الشريعة، لايجوز أن يأكله أحد سوى الكهنة (١صم ٢١:١-٦). يبدو أن النقطة التي حاجَ يسوع من أجلها هنا هي أن الحاجة الانسانية تتقدم على الشريعة الطقسية؛ من الملائم أن نذكر أن الحادثة التي جرت في حياة داود صادفت بحسب

التفسير التقليدي (وإن لم يكن بحسب نص العهد القديم) يوم سبت، (وهو اليوم الذي كان يرفع فيه الخبز القديم وفقا لسفر اللاويين ٢٤:٨-٩، ويؤكل من قبل "هرون وبنيه في مكان مقدس" و"يُرتب أمام الرب" خبز جديد بدلا منه).

لكن يسوع مضى ليستشهد بسابقة أقدم وأسمى (انظر ص ٤٥). إن الله هو الذي أسس السبت؛ فماذا كان غرض الله من تأسيسه؟ إذا أمكن اكتشاف ذلك، فإن شريعة السبت ستحفظ على خير وجه عندما يتحقق قصد الله من إعطائها. يقال في تكوين ٢:٢-٣، إن الله "استراح" في اليوم السابع عندما أكمل عمل الخلق في الأيام الستة السابقة، لذلك "بارك يوم السبت وقدسه". إن الفعل العبري المترجم "استراح" هو شَبَتْ وهو يرد هنا كتفسير لكلمة "السبت" (بالعبرية *شَبَاث*). لم يعتقد يسوع ولا ناقدوه بأن الله احتاج إلى الراحة في اليوم السابع لأنه تعب بعد عمل الأسبوع الشاق. لقد "توقف" أو "كف" عن عمله. لماذا إذاً "بارك" يوم السبت و"قدسه"؟ ليس من أجل نفسه، بل من أجل خلائقه الذين عرف أنهم سيحتاجون بالتأكيد إلى راحة بعد عناء العمل طوال الأسبوع. ويشار إلى هذا الأمر ضمنا في رواية التكوين نفسها. إن الوصية الرابعة بالشكل الذي أعطيت به في خروج ٢٠:٨-١١ تأمر الإسرائيليين بأن يقدسوا يوم السبت بالإحجام عن العمل، لأن الله قدس اليوم السابع بالإحجام عن عمله بعد أيام الخلق الستة. أما الصيغة التي وردت فيها هذه الوصية في تثنية ٥:١٢-١٥ فتبين بكل وضوح أن السبت أعطي لأجل الذين يحتاجون إلى الراحة بعد عمل مجهد: "لكي يستريح عبدك وأمتك مثلك".

إذاً لقد أُسس السبت ليلبي حاجة انسانية، وعندما تلبى حاجة انسانية في يوم السبت يكون قد قُدّس على أحسن وجه. يقتبس المفسرون على نحو منتظم كلمات مشابهة قالها الرّباي سمعان بن مناسيا وحفظت في التفسير الرابيني لخروج ٣١:١٤: "لقد سُلّم لكم السبت، ولم تُسلَّموا أنتم للسبت."[1]

---

[1] *Mekhilta* (rabbinical commentary) on Exodus 14:31 .

لكن المشكلة الحقيقية في قول يسوع هي دلالة كلمة "إذاً"، التي استهل بها الكلمات التالية: "ابن الانسان هو رب السبت أيضا". كيف يمكن الاستنتاج، اعتمادا على حقيقة كون السبت جُعل لأجل الانسان، أن ابن الانسان هو رب السبت؟ يمكن القول، إن هذه الكلمات ما كانت لتشكل مشكلة كبيرة لأولئك الذين سمعوها أولا من فم يسوع. بما أن مصطلح "ابن الانسان" بالآرامية كان يستعمل على نحو منتظم للتعبير عن "الانسان"، فإن الترجمة الحرفية لقول يسوع هي: "السبت جعل لأجل ابن الانسان، لا ابن الانسان لأجل السبت؛ إذاً ابن الانسان هو رب السبت أيضا." وفي هذه الحال كان السؤال الذي سيدور في ذهن السامعين هو: "بأي معنى يكون ابن الانسان رب السبت؟ هل يعني أن الانسانية بوجه عام هي رب السبت ؟" هذا السؤال يواجهنا نحن أيضا، لكن ثمة سؤالاً إضافياً نفكر فيه أيضا: لماذا استخدم مرقس الاسم البسيط "الإنسان" (كائن بشري أوالجنس البشري) في الجملتين الأولى والثانية، لكنه استخدم تعبير "ابن الانسان" في الجملة الثالثة؟ لا بد أنه قصد أن يعني الفاعل في الجملة الثالثة شيئاً أكثر من الانسان عموماً. إذا كان الأمركذلك، فما هو هذا الأكثر الذي قصده؟ من المرجح أن ما قصده يسوع هو، أن الذي هو رب السبت، وله السلطان الفائق في تفسير شريعة السبت بما يتفق مع القصد الإلهي من تأسيسها، هو الانسان الممثل representative man ، وها هو يؤدي هذا الدور الآن. ولما كان السبت جعل لأجل الانسان، فإن الذي عينه الله ليكون ممثلَ الانسان أمام الله مفوضٌ في التصرف في السبت من دون قيد أو شرط.

الفصل الخامس

ليست ميتة بل نائمة

"لماذا تضجون وتبكون. لم تمت الصبية لكنها نائمة" (مرقس ٥:٣٩)

إن قول يسوع بشأن ابنة يايرس البالغة اثنى عشر عاما أنها "لم تمت لكنها نائمة" يظهر في روايات الأناجيل الإزائية جميعها (قا مت ٩:٢٤ ؛ لوقا ٨:٥٢). ولكن ما الذي عناه يسوع بقوله هذا؟ لقد نُقل إلى يسوع نبأ موت الصبية المؤكد: فبينما كان يسوع في طريقه إلى البيت الذي كانت تعيش فيه، استجابة لطلب والدها الممتزج بالألم، ليأتي ويضع يديه الشافيتين عليها، جاء رسول يقول له إنها ماتت؛ فـ "لماذا تتعب المعلم بعد؟" لكن يسوع شجع والدها: "لا تخف؛ آمن فقط"، ومضى معه إلى البيت. وعندئذ وبخ الجمع لأنهم كانوا يضجون. فهل عنى أنها لم تمت (كما نُقل إليه) وإنما كانت نائمة فقط بالمعنى الحرفي للكلمة؟ لقد فهم الجمع منه أنه عنى ذلك، ولكن كان من الواضح تماما لهم أنها كانت ميتة، يقول البشيرون الثلاثة: "فضحكوا عليه"، ويضيف لوقا، "عارفين أنها ماتت" (إن قول لوقا "عارفين" وليس بالأحرى "مفترضين" يوحي بأنه صدق بأنها قد ماتت). أم هل عنى يسوع أن حالة الموت التي كانت فيها، مع أنها حقيقية، لن تكون دائمة ــ وأنها كما سيتبين ليست سوى نوم مؤقت؟ بعبارة أخرى هل استخدم كلمة "نامت" مجازيا، كما فعل عندما نقل نبأ وفاة لعازر إلى تلاميذه بقوله، "حبيبنا لعازر قد نام، لكني أذهب لأوقظه" (يوحنا ١١:١١)؟ إنه لخروج عن الموضوع أن يقال إن كلمتين يونانيتين مختلفتين قد استخدمتا لتفيدا معنى "النوم" ــ واحدة في قصة ابنة يايرس والأخرى في قصة لعازر. فكلا الكلمتين يمكن أن تستخدم مجازيا في سياقين مناسبين لتفيد معنى الموت.

فكيف إذاً ينبغي أن نفهم كلمات ربنا؟ لا يمكننا أن نتأكد من فهمنا لها، في غياب الدليل الذي يمكن أن تؤمنه شهادة طيبة. إن كلمات يسوع غامضة في نظر القارئ العصري. لقد استخدم في مخاطبة الصبية نوعا من اللغة يمكن أن يستخدمه أي شخص يريد أن يوقظ صبية من نومها: *طليثا قومي* وهي العبارة الآرامية المقابلة لـ"ياصبية لك أقول قومي!" لكن مجرد ايقاظ صبية من نومها لم يكن ذلك العمل الذي سيتطلب إحياء خاصا لذكراه: إن مجرد تدوين البشيرين للحادثة، مقترنا بالطريقة التي دونت بها، يشير ضمنا إلى اعتقادهم بأنها كانت فعلا (ولوبصورة مؤقتة) ميتة.

الفصل السادس

ملح بلا ملوحة

"الملح جيد؛ ولكن إذا صار الملح بلا ملوحة فبماذا تصلحونه؟" (مرقس ٩:٥٠)

يستطيع المرء أن يستخدم الملح ليملح اللحم أو الخبز، ولكن إذا فَقَدَ الملح الذي يستخدم لهذين الغرضين ملوحته، فما الذي سيستخدم لتمليحه؟

ولكن كيف يفقد الملح ملوحته؟ إذا كان ملحا حقا فيجب، طبعا، أن يبقى ملحا ويحتفظ بملوحته. ولكن من المرجح أن الملح، بحسب ماعرفه الجليليون بخبرتهم في حياتهم العادية نادرا ما كان يوجد في حالة نقية؛ في الواقع كان الملح مختلطا بمواد أخرى، من مكونات التربة المختلفة. وطالما كانت نسبة الملح في الخليط عالية بدرجة كافية، كان الخليط يصلح للاستعمال كملح حقيقي. ولكن إذا ارتشح جميع الملح من الخليط، بسبب تعرضه للرطوبة أو لسبب آخر، فإن ما تبقى لن يصلح لشئ. وهذا ما عبرعنه لوقا، في روايته الموسعة لقول يسوع، حيث قال، "لا يصلح لأرض ولا لمزبلة"(لوقا ١٤:٣٥). ربما جرى الاعتقاد بأن المزبلة هي كل ما كان يناسبه، لكن ربما استخدم يسوع كلمة تعني "زبلا": "إنه لا يصلح للأرض حتى ولا كزبل". يقول متى، "لايصلح بعد لشئ إلا لأن يطرح ويداس من الناس" (متى ٥:١٣)؛ بعبارة أخرى، الناس يطرحون هذه المادة العديمة النفع في الشارع.

تظهر الصورة المجازية للملح الخالي من الطعم والنكهة في كلمات الرابيين، بشأن دور اسرائيل (فيما يبدو) كملح أو عامل مطهر بين أمم الأرض. تبدأ رواية متى لقول يسوع بالكلمات التي وجهها إلى تلاميذه: "أنتم ملح الأرض" (متى ٥:١٣). هذا يفيد ضمنا أن للتلاميذ وظيفة محددة يؤدونها على الأرض، وأنهم، إذا فشلوا في تأديتها، فسوف لا يكون لهم وجود أيضا، رغم كل الخير الذي سيفعلونه. لا يذكر

بالتحديد من أي ناحية يقال عنهم إنهم ملح الأرض، وهكذا يلزم الاستدلال على طبيعة وظيفتهم من السياق ومما عرف عن مفعول الملح. ربما كان المقصود أن يكون لهم مفعول حافظ ومطهر على أقرانهم، أو أن يضيفوا نكهة على الحياة في المجتمع، أو أن يكونوا قوة للسلام. إن فكرة وجود مسيحي عديم النكهة لابد أن تكون تناقضا في التعبير. إحدى الطرق التي يمكن بها تبيين صفة الملوحة هي في اللغة التي يتكلمها المرء. كتب بولس إلى الكولوسيين "ليكن كلامكم دائما بنعمة مصلحا بملح" (كو ٤:٦)، حيث يبدو أن "الملح" هو ذكاء أو حكمة المسيحي الحاضرة (المستعدة على الخصوص للإجابة عن الأسئلة التي تدور حول الإيمان) البعيدة جدا عن كلام الافتراء والكلام الذي لاطعم له والذي استنكره من قبل في الرسالة نفسها (٣:٧).

ونظرا إلى أنه قد جرى الحديث عن التلاميذ، في سياق العظة على الجبل، باعتبارهم ملح الأرض وفيها أيضا قيل بأنهم نور العالم وأنهم مدينة موضوعة على جبل (متى ٥:١٤)، فمن الجلي أن ما فكر به يسوع إنما هو حياتهم العامة. يجب أن يراهم الناس كأمثلة حية على قوة نعمة الله، أمثلة تشجع الآخرين على الاقتداء بها.

يضيف مرقس بعض الأقوال الأخرى التي تبرز الملح كموضوع ذا أهمية. إن أقوال "الملح" هذه تتبع الإنذار الذي مفاده أنه خير للمرء أن يدخل الحياة أقطع من أن يلقى في "جهنم النار" وله يدان (مرقس ٩:٤٣-٤٨). و بين هذا الإنذار وأقوال "الملح" عبارة انتقالية: "لأن كل واحد يملح بنار" (مرقس ٩:٤٩). كانت النيران التي تشتعل باستمرار في جهنم Gehenna أو مقلب قمامة البلدية جنوبي أورشليم (انظر ص ٥٠) تقلل من خطر المرض الذي كان يمكن أن ينشأ من المادة العضوية المتحللة؛ كان للنار مفعول مطهر كما كان للملح. ربما كان القصد من كلمات يسوع في هذه الجملة "الانتقالية" أن نار الاضطهاد سوف يكون لها مفعول مطهر أو منق في حياة التلاميذ (قا ١بط ١:٦-٧). بعض النصوص في مرقس يضيف هنا اقتباسا

من اللاويين ٢:١٣ (حيث يشار على نحو أكثر تحديدا إلى التقدمة): "وكل قربان يملح بملح". هذه العبارة ليست أصيلة في هذا السياق، لكن المسؤولين عن إدخالها (الذين قاموا بذلك متأثرين على الأرجح بموضوع الملح الوارد كثيراً في الأناجيل) ربما قصدوا أن تعني: "كل مسيحي، سوف يتطهر بتحمل الاضطهاد، وهكذا يصبح ذبيحة مقبولة لله أكثر من ذي قبل."

ثم بعد أن يتحدث مرقس عن الملح الذي فقد ملوحته، يختم سلسلة أقواله بالقول "ليكن لكم في أنفسكم ملح وسالموا بعضكم بعضا."من ناحية ثانية، لوعرفنا الموقف الذي قيل فيه هذا الكلام في الأصل، لفهمنا وصيته هذه بصورة أفضل. إن عبارة "ليكن لكم في أنفسكم ملح" يمكن أن تعني "ليكن بينكم ملح" وقد تشير إلى الاشتراك في أكل الملح الذي كان تعبيراً عن شركة المائدة و من ثم تعبيراً عن العلاقات السلمية. إذا كان الأمر كذلك، فإن عبارة "سالموا بعضكم بعضا" تكون تفسيرا غير مجازي لعبارة "ليكن لكم في أنفسكم ملح". لكننا لا نستطيع أن نتأكد من ذلك.

القديم أفضل

"وليس أحد إذا شرب العتيق يريد للوقت الجديد ؛ لأنه يقول، ' العتيق أطيب ' "
(لوقا ٥:٣٩)

وردت في أقدم المخطوطات الموثوقة قراءتان مختلفتان،"العتيق أطيب" و "العتيق أفضل"، ولكن حتى إذا قبلنا المخطوطات الموثوقة التي تقول "القديم أطيب [جيد]"، لا يكون هناك فرق أساسي: فكل من قال، بخصوص الخمر، "العتيق أطيب" إنما عنى أنها كانت أطيب من الخمر الجديدة.

ليس هذا قولا صعبا جدا من حيث أنه قول يساء فهمه. وكثيرا ما يعامل وكأنه يحمل سلطة يسوع ويمكن أن يطبق على مواقف متنوعة عديدة يتعرض فيها القديم للتهديد من قبل الجديد ـ ترجمة قديمة للكتاب المقدس وشكل قديم من أشكال العبادة وطريقة قديمة في التبشير وبالاختصار كل ما يلخص من قبل عامة الناس بالتعبير التقليدي "ديانة الأيام الخوالي". لكن يسوع يقتبس القول، إنه لا يصادق عليه بالضرورة. لقد حفظ لنا لوقا هذا القول؛ وهو الذي أضافه إلى روايته لكلمات يسوع بشأن الخمر الجديدة والزقاق العتيقة. ففي تلك الكلمات المأخوذة من مرقس ٢:٢٢، يقارن يسوع رسالته التي موضوعها ملكوت الله بالخمر الجديدة، التي لا يمكن أن توضع في زقاق عتيقة قد فقدت مرونتها. كانت الزقاق العتيقة هي القوانين وصيغ الديانة التقليدية التي كانت معرضة للخطر، كما اعتقد كثيرون من المتدينين، بسبب تعاليم يسوع الثورية. و إذا كانت الخمر الجديدة، في القول الذي أضافه لوقا، تعني الشئ نفسه ـ رسالة يسوع التي موضوعها الملكوت ـ فإن الذين يقولون "القديم جيد " أو "القديم أفضل " يعبرون عن تفضيلهم للطرق القديمة الراسخة المألوفة.

التعليم الجديد مزعج؛ إنه يرغم الناس على التفكير، وعلى تعديل أفكارهم ومواقفهم. المتدينون يميلون إلى أن يكونوا محافظين، وأن يشكوا في الأفكار الجديدة. كان اصدقاء أيوب هكذا: فالحكمة التي استعانوا بها كان لها قداسة القدم، واتجهت حجج أيوب إلى إبطالها. قال له أليفاز التيماني: "ماذا تعرفه ولا نعرفه نحن، وماذا تفهم وليس هو عندنا ؟ عندنا الشيخ والأشيب أكبر أياما من أبيك" (أيوب ١٥:٩-١٠).

لقد وجد يسوع أن مقاومة كثيرة لقبول رسالته، نشأت ببساطة من هذا الالتصاق بالطرق القديمة والأفكار القديمة من قبل حسني النية والأتقياء، وليس من قبل الناس المعادين له. لقد صمدت أمام امتحان الزمن؛ فما الداعي إلى تغييرها؟ كان هذا استجابة طبيعية تماما، ولم تكن بجملتها أمرا يؤسف له: إذ يمكن أن تكون وقاية من الميل إلى الإعجاب بكل شئ جديد فقط لأنه جديد ـ أي تبني الجدة لأجل الجدة. ولكن عندما يفعل الله أمرا جديدا أو يمنح إعلانا جديدا، كما فعل في خدمة يسوع، فإن هذا التفضيل الغريزي للقديم يمكن أن يكون عائقا لتقدم قضيته. وفي النهاية ليس السؤال الذي يُسأل بشأن أي تعليم هو "هل هو قديم ؟" أم "هل هو جديد؟" بل "هل هو صادق؟" للخمر العتيقة جودتها وللخمر الجديدة جودتها. قد يكون هناك تفضيل شخصي، ولكن لا مكان للجزمية dogmatism التي تقول، "لن تكون الخمر صالحة للشرب ما لم تتعتق".

إذاً فقولنا، "العتيق جيد" أو "العتيق أفضل"، وهو موقف أبعد ما يكون عن التعبير عن ذهن يسوع، يمكن أن يعبر تماما عن موقف يتأسف عليه يسوع لأنه يعيق تقدم ملكوت الله.

الفصل الثامن

لن تزول نقطة واحدة أو حرف واحد من الناموس

"لا تظنوا أني جئت لأبطل الناموس والأنبياء؛ ما جئت لأنقض بل لأكمل. فإني الحق أقول لكم، إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة حتى يكون الكل. فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا يدعى أصغر في ملكوت السموات؛ وأما من عمل وعلم فهذا يدعى عظيما في ملكوت السموات. فإني الحق أقول لكم، إن لم يزد بركم على الكتبة والفريسيين، لن تدخلوا ملكوت السموات"
(متى ٥:١٧-٢٠)

يوجد هنا توكيد لا يلين بشأن سريان مفعول ناموس موسى أبدياً. فلن يبطل جزء منه مهما صغر؛ سواء كان حرفا من الحروف الأبجدية أو نقطة.

ما هو وجه الصعوبة في هذا التوكيد الذي لا يلين؟ يتمثل ذلك لبعض القراء في صعوبة التعرف على المسيح في شخص المتكلم، المسيح الذي قال عنه بولس إنه "غاية الناموس، لكي يتبرر كل من يؤمن" (رو ١٠:٤). ولا يجد آخرون صعوبة في الافتراض بأن فكرة بولس عن يسوع اختلفت جذريا عن شخصيته وتعليمه كما عُرِضا في الأناجيل. هناك بالحقيقة وجهة نظر (لا تطرح كثيرا هذه الأيام مثلما كان يحدث في الماضي) مفادها أن بولس هو الرجل الذي "أبطل [هوّن من شأن] إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا". وهذا يشير ضمنا إلى أن القول الذي نبحثه لم يصدر عن يسوع، بل عن فريق في الكنيسة الباكرة لم يكن راضيا عن بولس. وحتى حيث لا يخطر بالبال وجود علاقة لبولس بالأمر، فإن كثيرين يعتقدون بأن هذه الكلمات صدرت عن فريق في الكنيسة الباكرة رغب في الاحتفاظ

بسلطة الناموس الكاملة على المسيحيين. ويرى رودولف بولتمان، إن القول "يسجل موقف الجماعة الفلسطينية المحافظة بالمفارقة مع موقف الجماعة الهيللينية".[1]

من المرجح أنه كانت هناك عدة مختارات من أقوال يسوع قيد التداول قبلما تم جمع و كتابة الأناجيل بالمعنى الضيق للكلمة، وأحد هذه المختارات الذي كان مفضلا لدى المسيحيين اليهود الأكثر تشددا قد استعمله متى على ما يبدو، إلى جانب مختارات أخرى. وربما رتبت هذه الأقوال المختارة وفقا لنظرة أولئك الذين جمّعوها؛ فأُدرِجت الأقوال التي بدت بحد ذاتها داعمة لتلك النظرة، بينما حذفت الأقوال الأخرى التي بدت معاكسة لها. كان تعليم يسوع شديد التنوع بدرجة أكبر بكثير مما يمكن أن تشير إليه مجموعة مختارة نصيرة من الأقوال. ونظرا إلى أن متى لم يقتصر على مجموعة مختارة من الأقوال بعينها فإنه قد أعطى صورة شاملة للتعليم. فقول كالذي اقتبس للتو كان له ثلاثة أطر حياتية * life-settings متتالية: إطاره الحياتي في خدمة يسوع التاريخية، وإطاره في المجموعة المختارة المحدودة من أقوال يسوع، وإطاره في إنجيل متى. إن إطاره في إنجيل متى هو الوحيد الذي يمكننا الحصول عليه مباشرة. (بالإضافة إلى هذه الأطر الثلاثة، ربما اكتسب بالطبع، أطراً حياتية لاحقة في تاريخ الكنيسة وسياق التفسير. لقد استخدم

---

[1] R. Bultman, *The History of the Synoptic Tradition* (Oxford, 1963) p.138.

* إن أي قول أو رواية في الأناجيل يمكن أن يكون قد اتخذ شكله في الأصل ضمن ثلاثة أطر أساسية (Sitze im leben) "settings" : أولا في تعليم يسوع التاريخي، ثم في حياة الكنيسة الباكرة، ثم في فكر البشيرين. *New Testament Interpretation,* edit. by Howard Marshall , (Exter The PATERNOSTER press 1979) p. 182 [إضافة من المترجم للإيضاح]

القول "لم آت لأنقضها بل لأكملها" مثلا، لتقديم الإنجيل بصفته تاج الإكمال للهندوسية،[2] لكن استعمالا كهذا ليس له علاقة بقصد يسوع أو بقصد البشير.)

يمكن الرد على الملاحظة، التي مفادها أننا نستطيع الحصول مباشرة على القول في إطاره في إنجيل متى فقط، بأن ثمة استثناء جزئيا. إن جزءا من القول يوجد في سياق مختلف في إنجيل لوقا. في لوقا ١٦:١٦-١٧ (بين مثل وكيل الظلم وقصة الغني ولعازر؛ انظر ص ١٢٠). يقول يسوع، "كان الناموس والأنبياء إلى يوحنا؛ ومن ذلك الوقت يبشر بملكوت الله وكل واحد يغتصب نفسه إليه. ولكن زوال السماء والأرض أيسر من أن تسقط نقطة واحدة من الناموس." العبارة الثانية من العبارتين مشابهة لـ (ولكن ليست مماثلة لـ) متى ١٨:٥، حيث يرد القول بشأن الحرف والنقطة.

إن المجموعة المختارة من الأقوال المفترض أنها صيغت في دائرة مسيحية أكثر التزاماً بالتفكير الناموسي، واعتبر على نطاق واسع أن متى استخدمها كمصدر من مصادره، تميز في كثير من الأحيان بحرف M (لأنها تعرض في إنجيل متى فقط). وهناك مجموعة مختارة أكثر شمولا، يعتبر على نطاق واسع أن متى ولوقا قد حرراها، تميز عادة بالحرف Q . فمن الممكن إذاً أن تكون صيغة قول "الحرف والنقطة" الواردة في متى ١٨:٥ هي الصيغة M ، في حين أن الموجودة في لوقا ١٧:١٦ هي الصيغة Q . كان ت. و. مانسون T. W. Manson أحد العلماء الذين اعتقدوا بأن الأمر كان كذلك، وقد دعا قراءه إلى أن يضعوا نصب أعينهم إمكانتين. الإمكانة الأولى هي أن صيغة القول كما أورده لوقا أقرب إلى التعبير الأصلي وأن الصيغة الواردة في متى "نسخة منقحة عنها لتجعلها تتفق على نحو بين مع التعليم الرابيني". الإمكانة الأخرى، التي تنتج عن هذه، هي "إن القول في صيغته الأصلية

---

[2] E. h. by J. N. Farquhar, *The Crown of Hinduism* (Oxford, 1913); cf. E. J. Sharpe, *Not to Destroy but to Fulfil* (Lund, 1965).

لا يؤكد أبدية الناموس بل محافظة conservatism الكتبة المتحفظة"، وأنه لا يقصد منه أن يكون "عقيدة رابينية صحيحة بل سخرية مُرّة". أي أن يسوع يخاطب الكتبة ويقول، "سوف يأتي العالم إلى نهايته قبل أن تتخلوا عن أصغر جزء من تفسيركم التقليدي للناموس".[3]

من الواضح أن يسوع لم يقبل التفسير الرابيني للناموس. بالحقيقة اتهم يسوع الكتبة، وهم المعترف بهم أنهم تلاميذ الناموس ومعلموه، بأنهم "يتعدون وصية الله بتقليدهم" (هكذا يرد التعبير في متى ١٥:٣، في مقطع يستند على مرقس ٧:٩). وقال إنهم بتطبيقهم الناموس "يحزمون أحمالا ثقيلة، عسرة الحمل، ويضعونها على أكتاف الناس" (متى ٢٣:٤)؛ أما هو، بالمفارقة، فقد وجه الدعوة: "احملوا نيري عليكم، وتعلموا مني ... لأن نيري هين وحملي خفيف" (متى ١١:٢٩-٣٠).

إنه لم يخفف من مطالب الناموس بحد ذاته، ولم يوص بمستوى من البر أدنى مما تطلّبه "الكتبة والفريسيون". على عكس ذلك: لقد أصر على أن الدخول إلى ملكوت السموات يتطلب برا يفوق بر الكتبة والفريسيين. هذا البيان الأخير، الموجود في متى ٥:٢٠، يصلح كمقدمة إلى الفقرات التالية، حيث يوضح يسوع الثمن الذي تتطلبه إطاعة الناموس في سلسلة متتالية من الأقوال الصعبة، التي سنفحصها بعناية واحدا فواحدا. ولكن في الوقت الحالي يمكننا أن نذكر مبدأين يمكن أن نفسر الناموس بهما ونطبقه.

أولا، لقد اعتقد أن الطريقة الصحيحة لحفظ أي وصية هي إتمام الغرض الذي أعطيت من أجله. فعل يسوع هذا بخصوص شريعة الزواج (انظر ص ٥٨)؛ وفعل ذلك أيضاً بخصوص شريعة السبت. تقول الوصية الرابعة، بخصوص يوم السبت، "لا تصنع عملاً ما". مما دعا، في نظر بعض القيمين على الشريعة، إلى تحديد دقيق لما يشكل "عملاً"، بحيث يعرف الناس بدقة ما يمكنهم عمله وما لا يمكنهم عمله

---

[3] *The Sayings*, p.135.

في ذلك اليوم. لكن للظروف أحكام: فعمل الشفاء مثلا كان مسموحا إذا كان مسألة حياة أو موت، ولكن إذا كان بالإمكان تأجيل العلاج إلى اليوم التالي دون أن يشكل ذلك خطرا على المريض او يسبب له أذى، فذلك يكون أفضل. حول هذه المسألة بالتحديد اصطدم يسوع بصورة متكررة مع الكتبة وأقرانهم. كان معياره لحفظ هذه الشريعة هو السؤال عن الغرض الذي من أجله أنشئ السبت. اعتقد يسوع أن السبت أنشيء ليومن الراحة والاسترخاء للبشر: فهم لم يُجعلوا لأجل السبت بل جُعِل السبت لأجلهم (انظر ص ٣٢). من ثم فإن أي عمل يزيد من راحتهم وفرجهم وخيرهم كان مسموحا يوم السبت. ولم يكن مسموحا به فقط يوم السبت: كان السبتُ اليومَ الأكثر ملاءمة لأدائه، لأن أداءه يعزز على نحو رائع قصد الله من انشاء السبت. يبدو أن يسوع كان يفضل أن يشفي الناس يوم السبت، لأن عملا كهذا كان يكرِم يوم السبت.

إنه لم يبطل الوصية الرابعة: لقد فسرها بطريقة تختلف عن طريقة التفسير الشائعة. وهل مبدوه في التفسير "زاد على بر الكتبة والفريسيين"؟ ربما. بعض الناس يرون من الأسهل أن تكون لديهم مجموعة من القواعد: فعندما تَعرِض لهم مشكلة عملية، يراعون القواعد ويعرفون ما ينبغي عمله. لكن إذا كان عليهم أن يقرروا نوع الفعل الذي يتمم غرض الناموس أحسن إتمام، فهذا يقتضي إعمال الفكر، وفكر من هذا النوع مع ما يرافقه من مسؤولية شخصية، تدريب شاق يصعب عليهم القيام به.

ثانيا، اعتقد يسوع أن إطاعة الناموس أو عدم إطاعته بدأت باطنيا في القلب البشري. فلم يكن كافيا أن يجعل المرء أفعاله الخارجية وكلماته مطابقة لما يطلبه الناموس؛ يجب عليه أن يجعل حياته الفكرية مطابقة له أولا. أحد كتاب المزامير في العهد القديم عبر عن مشاعره هكذا: "أسر أن أفعل مشيئتك يا إلهي؛ شريعتك في وسط أحشائي" (مز ٤٠:٨). لم يقتبس يسوع هذا المزمور في الأناجيل، لكن

مضمون المزمور يطبق على يسوع في موضع آخر في العهد الجديد (عبرانيين ١٠:٧،٩). إنه يعبر بالحقيقة خير تعبير عن موقف يسوع نفسه وعن الموقف الذي أوصى به سامعيه. عندما يصمم الفكر والإرادة على فعل مشيئة الله، فإن الكلام والتصرف لن ينحرفا عنها.

بالإضافة إلى ذلك، وحيث يكون الأمر كذلك، لن يكون هناك تشديد على الجانبين الظاهري والمادي في الأخلاق والدين، بل بالأحرى على الجانبين الباطني والروحي. إن الفكرة القائلة، إنه يمكن أن تعطى لالتزام ديني تصدرية precedence على واجب المرء نحو والديه، لم تلق أي عطف من يسوع (قارن مرقس ١٠:٧-١٣). هذه الفكرة أيدها بعض مفسري الناموس في أيامه، ولكن التعليم اليهودي بعامة اتفق معه هنا. كذلك علق يسوع أهمية قليلة على تفاصيل التطهير الطقسي أو قواعد الطعام، لأنها لم تكن ذات مضمون أخلاقي. ويمضي مرقس إلى حد القول إن يسوع، ببياناته بخصوص هذه المسائل الأخيرة، "جعل الأطعمة كلها طاهرة" (مرقس ١٩:٧، ت ع ج). وإذا كان متى لا ينسخ كلمات مرقس هذه، فإنه ينسخ بيانات يسوع التي فسرها مرقس هكذا (متى ١٧:١٥-٢٠).

ولكن ألم تنتمي الغسولات الطقسية وقيود الطعام إلى نقط وحروف الناموس؟ ألا ينبغي أن تحسب، على أقل تقدير، في عداد "أصغر هذه الوصايا" ؟ ربما ينبغي ذلك، ولكن "العدل والرحمة والإيمان" كانت بنظر يسوع على درجة أعظم من الأهمية (متى ٢٣:٢٣). وماذا بشأن احتفالات تقديم الذبائح؟ صحيح إنها كانت من ضمن الناموس، لكن موقف يسوع من هذه الأمور ملخص في اقتباسه من نبي عظيم من العهد القديم: "أريد رحمة لا ذبيحة "(هوشع ٦:٦). متى، ومتى وحده من بين البشيرين، هو الذي سجل اقتباس يسوع لهذه الكلمات، وسجل استخدامه لها مرتين (مت ١٣:٩ ؛ ٧:١٢). إن إتمام الناموس لن يكون طقسيا بل بالأحرى أخلاقيا. لقد أكد يسوع إصرار الأنبياء العظام على أن الحرص على الشكليات في الطقوس

الاحتفالية عديم الجدوى بل أسوأ من ذلك إذا ما أهمل الناس "فعل العدل ومحبة الرحمة والسلوك بتواضع مع الله.." (مي ٦:٨). فما يهم ليس الأمور الجامدة بل البشر.

كان الناموس في نظر المسيح هو التعبير عن إرادة الله. إن إرادة الله أزلية ولا تتغير. لم يأت يسوع ليعدل إرادة الله؛ فهو تممها. إن مستوى الطاعة الذي وضعه، بمثاله وكلامه على السواء، يتطلب براعة أكثر مما يتطلبه مستوى الناموس المكتوب. لقد أصر على وجوب فعل إرادة الله من القلب. لكنه، في إصراره هذا، أمّن الوسيلة التي يغدو معها فعل إرادة الله من القلب غاية مثالية ليست متعذرة التحقيق. ولو استدعي بولس ليفسر تعليم يسوع الوارد هنا، لتبين أن الرسول الذي اعتقد، بأن الرجال والنساء يُبَرَّرون قدام الله بالإيمان بيسوع وليس بحفظ الناموس، اعتقد أيضا أن الذين يؤمنون بيسوع يتالون روحه لكي "تتم مطالب الناموس فينا، نحن السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح" (رو ٨:٤). الإنجيل يطلب أكثر مما يطلبه الناموس، ولكنه يؤمّن القوة لفعل ذلك. عبر أحدهم عن ذلك بهذه الأسطر المضحكة ولكن المعبرة:

يأمرني الناموس بأن أركض وأعمل،
لكنه لا يعطيني قدمين ولا يدين؛
لكن الإنجيل يحمل إلي أخبارا أفضل:
يأمرني بالطيران، ويعطيني جناحين.

"ياأحمق!" يستحق نار جهنم

"إن كل من يغضب على أخيه باطلا يكون مستوجب الحكم. ومن قال لأخيه رقا يكون مستوجب المجمع، ومن قال : 'يا أحمق!' يكون مستوجب نار جهنم" (متى ٥:٢٢)

هذا أول بيان من سلسلة بيانات أدلى بها يسوع. وفي هذه البيانات جعل يسوع مطالب الناموس جوهرية أكثر مما يمكن أن يشير إليه المعنى الحرفي الضيق للناموس. يقول يسوع، مقتبسا الوصية السادسة، "سمعتم أنه قيل للقدماء، 'لا تقتل؛ ومن قتل يكون مستوجب الحكم'". ويتابع قائلا، "أما *أنا* فأقول لكم"، ثم يأتي المقطع أعلاه، الذي ينتهي بالقول الصعب المتعلق بالعقوبة التي يتعرض لها من يقول لآخر، "يا أحمق!"

كان القتل بحسب الشريعة اليهودية جريمة عقوبتها الموت؛ ولم يكن ممكنا أن تبدل بعقوبة الموت غرامةً مالية، كتلك التي كانت تدفع في حال قتل حيوان داجن يخص شخصا آخر. وحين يثبت أن القتل كان عرضيا ــ كما هو الحال إذا أفلت حديد الفأس من الخشب من شخص ما وأصاب رأس صاحبه الذي يعمل بجانبه ــ فلا يحسب ذلك جريمة قتل، ولكن حتى في هذه الحال كان على صاحب الفأس أن يتخذ تدابير احترازية لينجو من انتقام ولي الميت. فيما عدا ذلك، كان القاتل يُحضَرُ أمام شيوخ القرية ويحكم عليه بالموت بشهادة شاهدين أو ثلاثة. كانت عقوبة الموت تنفذ بالرجم: فالشهود يرجمونه أولا ثم تنضم إليهم الجماعة، وهكذا ينفصلون أنفسهم عن جرم سفك الدم ويكفرون عن التدنيس الذي أصاب المكان.

أشار يسوع إلى أن فعل القتل ينشأ من فكرة الغضب. فالمرء يرتكب الجريمة ويجلب الدينونة على نفسه في ذهنه أولا. ولا تستطيع المحكمة الأرضية أن تقوم

بأي إجراء ضد فكر غاضب، ولكن محكمة السماء تستطيع ـ وتفعل ذلك. هذا بحد ذاته قول صعب. إن كلمة "باطلا" إضافة ألحقت بالنص اليوناني، بقصد جعل كلمات يسوع أسهل قبولا. إن غضب الشخص الآخر قد يكون مجرد مزاج سيئ، أما غضبي أنا فهو سخط محق ـ غضب له سبب يبرره. هكذا قال النبي يونان، "اغتظتُ بالصواب" [يحق لي أن أغضب، ت ع ج] (يونان ٤:٩). لكن كلمات يسوع كما وردت في الصيغة الأصلية للنص، لا تميز بين الغضب المحق والغضب غير المحق: فكل من يغضب على أخيه يعرض نفسه للحكم. وليس ثمة قول بشأن ما يمكن أن ينتهي إليه الغضب غير المكبوح. يأمرنا الكتاب في أفسس ٤:٢٦ "اغضبوا، ولا تخطئوا"؛ أي، "إذا غضبتم، فلا تدعوا غضبكم يقودكم إلى الخطية؛ دعوا غروب الشمس يضع نهاية لغضبكم، وإلا فإنه سوف يوفر لإبليس فرصة لن يتباطأ في الإمساك بها."

تبدو في لهجة يسوع نبرة جادة تزداد حدة بينما يتابع حديثه: "مستوجب الحكم ... مستوجب المجمع ... مستوجب نار جهنم". المجمع المقصود هنا هو مجمع السنهدرين* ، وهو على ما يبدو المحكمة العليا للأمة التي تختلف اختلافا بينا عن محكمة محلية. من الجلي إذاً، أن شتْم المرء لأخيه هو أكثر خطورة من الغضب عليه. وهذا الأمر واضح: فالفكرة الغاضبة يمكن كبحها، ولكن الشتيمة متى قيلت لا يمكن استعادتها ويمكنها أن تؤدي إلى غيظ عنيف. فيمكن أن يرد الشخص المشتوم بضربة قاتلة، يلام عليها الضحية الذي ضُرِب، بحكم الواقع إن لم يكن بحكم القانون، بقدر ما يلام الشخص الذي سدد الضربة. الشتيمة الفعلية التي يذكرها يسوع هي كلمة "رقا". إن المعنى الدقيق لكلمة "رقا" هو موضع خلاف؛ ومن

---

* السنهدرين Sanhadrin كلمة عبرية وآرامية تشير إلى مجلس أورشليم الذي كان يتكون من أعلى سلطة يهودية في فلسطين قبل ٧٠ م. أما كلمة سنهدريم فهي نتيجة افتراض خاطيء بأنها كانت اسما بصيغة جمع المذكر السالم بالعبرية.(موسوعة زوندرفان Zondervan ، مجلد٥ ص ٢١٥) . (المترجم)

المرجح أنها كلمة آرامية معناها أشبه بمعنى كلمة "أيله" ولكن من الواضح أنها كانت تعد شتيمة منكَرَة. (على من يتكلمون لغة أجنبية أن يتجنبوا كلمات الشتم أكثر مما يتجنبون أي كلمات أخرى؛ فيمكن أن يكون لها وقع لا يمكن تصوره على من يتكلم تلك اللغة باعتبارها لغته الأم).

ولكن "من قال، 'يا أحمق ! ' يكون مستوجب نار جهنم". نستنتج من هذا أن عبارة "يا أحمق!" شتيمة أفظع من "رقا" مهما عنت "رقا". إن جهنم النار"أو نار جهنم" هي العقوبة الأقسى من بين كل العقوبات. إن "جهنم النار" هي جهنم المُحرِقة. وجهنم هي الوادي الواقع جنوبي أورشليم الذي استخدم، بعد العودة من السبي البابلي، كمقلب للنفايات ومرمدة عامة. وكان في الأيام الغابرة موقعا لعبادة الإله مولك، ولذلك اعتقد بأن من الملائم أن يُحقَّر بهذه الطريقة. وبعد برهة وجيزة أصبح يستخدم كرمز لدمار الأشرار بعد الموت، مثلما أصبحت جنة عدن رمزا للفردوس السعيد الذي سينعم به الأبرار.

ولكن هل كانت "يا أحمق!" تعد بالفعل شتيمة منكرة بهذا القدر؟ في إنجيل متى نفسه يستخدم النعت القريب لوصف الرجل الذي يبني بيته على الرمل (٢٦:٧) والعذارى الخمس اللواتي نسين أن يأخذن مؤونة من الزيت لإبقاء مصابيحهن مشتعلة (٢:٢٥-٣)، ويروي متى عن يسوع نفسه أنه خاطب بعض المعلمين الدينيين بـ "الجهال العميان" (١٧:٢٣). فكلمة مور التي استخدمها يسوع هنا هي، نظير "رقا"، كلمة غير يونانية، وهذا هو المرجح. إذا كان الأمر كذلك، فإنها كلمة كانت تعني لدى السامع اليهودي "متمردا (على الله)" أو "مرتدا"؛ وهي الكلمة نفسها التي استخدمها موسى في الإسخاط مخاطبا الإسرائيليين المتمردين في برية صين: "اسمعوا أيها المردة؛ أمن هذه الصخرة نخرج لكم ماء؟" (عد ١٠:٢٠). لقد حُرِم موسى من دخول أرض الموعد بسبب هذه الكلمات المتهورة، التي قالها نتيجة لتعرضه إلى إغضاب شديد.

وسواء أكانت هذه هي الكلمة التي فكر فيها يسوع أم لا، فمن المؤكد أنه كان يفكر في ذلك النوع من اللغة التي كان من شأنها أن تؤدي إلى خصام قاتل: أكد يسوع أن المسؤولية الرئيسة في سفك الدم الذي ينشأ بوصفه نتيجة للكلام الذي قيل إنما تقع على عاتق من تفوه بالكلمة المُغْضِبة. ولكن وراء الكلمة المغضبة تكمن الفكرة العدائية. فهناك تبدأ عملية الإجرام؛ و إذا لم يُقْضَ على الفكرة العدائية حالما يدركها المفكر فإنها، وإن لم تكن هناك محكمة أرضية قادرة على أن تأخذ علما بها، ستكون أول فقرة في قرار الاتهام أمام محكمة الله.

الفصل العاشر

الزنى في القلب

"وكل من نظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه" (متى ٥:٢٨)

مرة أخرى يجعل يسوعُ الناموسَ أكثر صرامة بالعودة بتطبيقه من الفعل الظاهر إلى الفكر والرغبة الباطنيين. تقول الوصية السابعة، "لا تزن" (خر ٢٠:١٤). هذه الوصية، بحسب السياق الثقافي للوصايا العشر، حظرت على الرجل أن تكون له علاقات جنسية مع زوجة رجل آخر. وكان انتهاك هذه الوصية جريمة عقوبتها الرجم حتى الموت (كما تطبق في بعض أجزاء الشرقين الأدنى والأوسط). ثمة وصية أخرى يبدو أنها تعود بالنهي إلى ما وراء الفعل العلني: تقول العبارة الثانية من الوصية العاشرة، "لا تشتهِ امرأة قريبك" (خر ٢٠:١٧)، حيث تذكر الزوجة في جملة ممتلكات القريب. وفي إطار الملكية يمكن أن "يشتهي" المرء زوجة رجل آخر لا بقصد الدافع الجنسي بل بسبب الامتيازات الاجتماعية أو المالية المقترنة بعائلتها.

أيا كان الاشتهاء، فإن يسوع يرد فعل الزنى إلى نظرة الاشتهاء أو فكرة الاشتهاء، ويقول إن الفساد يبدأ من هناك: فهناك يجب أن يطبق الكبح فورا. أما إذا عُززت الفكرة أو غُذيت بالخيال الجامح بدلا من أن تُكبح، فهذا يعني أن الوصية قد كسرت. و مما قد تكون له دلالته هو أن يسوع لا يتكلم عن زوجة رجل آخر بل عن "امرأة" بوجه عام. ويمكن العثور على نظائر هذا القول في الأدب الرابيني rabbinical.

لقد أثار البابا بولس الثاني في عام ١٩٨١ بعض التعليق بقوله إن الرجل يمكن أن يرتكب الزنى بهذا المعنى مع زوجته نفسها. بالحقيقة كان إميل برونر قد قال

ما أثار رد الفعل نفسه قبل ذلك بأربعين عاما.[1] ولكن ليس في اقتراح كهذا أي خيال مفرط. إن معاملة أي امرأة كشئ جنسي، وليس كشخص بحكم حقها الشخصي، هي معاملة آثمة؛ ويزداد إثم الرجل أكثر فأكثر عندما تكون تلك المرأة زوجته.

---

[1] E. Brunner , *The Divine Imperative* (London, 1937), p. 350.

الفصل العاشر عشر

قلع العين اليمنى

"فإذا جعلتك عينك تخطأ ، فاقلعها والقها عنك، لأنه خير لك أن تفقد عضوا من أعضائك ولا يلقى جسدك كله في جهنم" (متى ٥:٢٩، ت ع ج)

ليس هذا القول صعبا في صيغته التي وردت في ت ع ج (الترجمة العربية الجديدة)* بقدر ما هو صعب في صيغته التي وردت في ترجمة البستاني/سميث/ فاندايك، التي تعود إلى عام ١٨٦٠، وتقول؛ "فإن كانت عينك اليمنى تعثرك ...".

أما صيغة الترجمة العربية الجديدة فتبدو أسهل فهما. إنها تعني، بالحقيقة: "لا تدع عينك تقودك إلى الخطية." فكيف تستطيع العين أن تفعل ذلك؟ بالتحديق طويلا في موضوع الإغواء. يورد متى هذا القول مباشرة بعد كلمات يسوع حول الزنى في القلب، وهذا على الأرجح هو السياق الأصلي، لأنه يؤمن مثالا جاهزا عن الطريقة التي يمكن بها لعين المرء أن تقوده إلى الخطية. إن أشهر حالة زنى في العهد القديم هي زنى الملك داود مع امرأة أوريا الحثي. بدأت المشكلة في تلك الحالة بعد ظهر أحد الأيام، عندما *رأى* داود من فوق سطح قصره امرأة تستحم (٢صم ١١:٢). يقول يسوع، "خير لك أن تقلع عينك ــ وحتى عينك اليمنى (المفترض أنها أغلى العينين) ــ من أن تسمح لها بأن تقودك إلى ارتكاب الخطية؛ خير لك أنْ تدخل الحياة الأبدية بعين واحدة من أن تلقى في جهنم (نتيجة لتلك الخطية) ولك عينان."

---

* أشار المؤلف ، في الأصل ، إلى أنه اقتبس هذه الآية من R S V مفضلا إياها على A V ، التي تعود إلى ١٦١١ ، تقول A V : " ... If thy right eye offend thee " ، وهي عبارة لا معنى لها بالنسبة لقراء اليوم عامة .

يُتبِعُ متى هذا القول بشأن العين اليمنى بقول مشابه بشأن اليد اليمنى. ويبدو أن هذا التشديد القوي قد استقر في أذهان السامعين؛ وهو يُكرَّر في متى ١٨:٨-٩ (اعتمادا على مرقس ٩:٤٣-٤٨)، حيث تُذكَر الرِّجْلُ بالإضافة إلى العين واليد.

بعد وقت قصير من نشر الترجمة الانكليزية للعهد الجديد التي قام بها ويليام تندال اعتمد الدفاع عن محاولة وضع قيود على تداولها على أساس أن القارئ البسيط ربما يفهم هذه اللغة حرفيا بطريق الخطأ و "يقلع عينيه، وهكذا ستمتلئ المملكة كلها بالعميان مما يؤدي إلى وهن الأمة وخسارة واضحة لنعمة المَلِك؛ وهكذا بسبب قراءة الكتاب المقدس سوف تصاب المملكة كلها بالارتباك". هذا ما قيل إن راهبا صرح به في عظة ألقاها في كامبردج؛ لكنه لاقى ندا له في شخص هيو لاتيمر Hugh Latimer الذي قال، في عظة ألقاها في الأحد التالي، إن الناس البسطاء قادرون تماما على التمييز بين التعابير الحرفية والتعابير المجازية. ومضى لاتيمر يقول: "مثال ذلك، إذا رسمنا ثعلبا يعظ مرتديا قلنسوة راهب، فلن يتصور أحد ما أن الثعلب هو المقصود وإنما المقصود وصف المكر والرياء اللذين يصادفان في كثير من الأحيان متنكرين في ذلك اللباس."[1]

بالحقيقة ليس هناك ما يدل على أن أحدا ما على الإطلاق قد جدع نفسه بسبب هذه الكلمات في الأناجيل. هناك بالحقيقة حالة أوريجانوس، ولكن إذا صدقت القصة التي مفادها أنه خصى نفسه "لأجل ملكوت السموات"، فقد كان هذا استجابة لقول آخر، سوف يبحث فيما بعد (ص ٦٣).

---

[1] H. Latimer, Sermon preached in St. Edward's Church, Cambridge, in 1529, quoted in J. P. Smyth, *How we Got Our Bible* (London, [1885] 1938), p. 102.

الفصل الثاني عشر

الطلاق والزواج ثانية

"من طلق امرأته وتزوج بأخرى تزني عليها؛ وإن طلقت امرأة زوجها وتزوجت بآخر تزني" (مرقس ١٠:١١-١٢)

إن التلاميذ الذين سمعوا هذا القول أولا شعروا بأنه قول صعب؛ وهو ليس أقل صعوبة لكثيرين من خلفائهم اليوم.

لقد طُلب من يسوع أن يعطي حكما في نقطة من الناموس كانت تتناقش في المدارس اليهودية. توجد في تثنية ٢٤:١-٤ شريعة تقول في الواقع، "إذا طلق رجل امرأته لأنه وجد فيها 'عيبَ شيءٍ' ، ... وصارت لرجل آخر طلقها بدوره، لا يقدر زوجها الأول أن يعود يأخذها لتصير له زوجة." هذه الشريعة، التي تحظر على رجل كان قد طلق امرأته أن يتزوجها ثانية بعدما عاشت مع زوج آخر، لا ترسم إجراءات الطلاق؛ إنها تفترض أن هذه الإجراءات قائمة. لا يوجد في أي موضع من شريعة العهد القديم أمر صريح بشأن إجراءات الطلاق، ولكن في هذا السياق إشارة ضمنية إلى أن على الرجل، الذي يطلق امرأته، أن يكتب لها تصريحا خطيا يفيد أنها لم تعد زوجة له: "يكتب لها كتاب طلاق ويدفعه إلى يدها ويطلقها من بيته" (تثنية ٢٤:١). يُنظر إلى الطلاق، في موضع آخر من العهد القديم، كشيء مخزٍ، حسبما جاء في كتاب النبي ملاخي: "قال الرب إله اسرائيل، إني أكره الطلاق" (ملاخي ٢:١٦).

ولكن بحسب تثنية ٢٤ يفترض أن بإمكان الرجل أن يطلق زوجته، وأن بإمكانه أن ي "عيب ما" أو "شيء معيب" وجده فيها. في الحقبة التي شملت الفترة التي قضاها ربنا على الأرض، أولى مفسرو الشريعة هذه العبارة اهتماما خاصا، لأن اهتمامهم لم يقتصر على تقرير ماذا كانت تعني فحسب، بل تناول أيضا تطبيقها في

الحياة المعاصرة. لقد سألوه، ما الذي يمكن أن يشير إليه هذا "العيب" أو عدم الاحتشام الذي يبرر لرجل أن يطلق زوجته؟

كانت هناك مدرستان فكريتان رئيستان: إحداهما تفسره على نحو متشدد والأخرى تفسره على نحو أكثر تحررا. المدرسة الأولى، سارت بتوجيهات شمعي Shammai، وهو راباي كبير عاش قبل يسوع بجيل واحد أو نحوه، وتقول إنه يؤذن للرجل أن يطلق زوجه إذا تزوجها معتقدا بأنها عذراء ثم اكتشف أنها ليست كذلك. هناك، بالحقيقة، تشريع يعالج هذا الاحتمال ورد في شريعة التثنية (٢٢:١٣-٢١)، وقد تكون النتائج التي تواجهها العروس خطيرة جدا إذا فُسِّر الدليل على أنه يعني أنها كانت لها قبل الزواج علاقات جنسية محظورة. كان هذا، إذاً، ما فهمته إحدى المدرستين من "عيب ما".

أما المدرسة الأخرى، بقيادة هليل Hillel المعاصر لشمعي، فاعتقدت أن معنى "عيب ما" يمكن أن يشمل تقريبا أي شئ يستاء منه زوجها. ويمكن ألا تعود "تجد حظوة في عينيه" لأسباب متنوعة، إذا قدمت له طعاما ردئ الطهو، مثلا، أو حتى (حسب قول أحد الرابيين) إذا رآها أقل جمالا من امرأة أخرى. من الواجب التأكيد على أن الرابيين الذين قدموا هذه التفسيرات "التحررية" لم يكن دافعهم الرغبة في تسهيل الطلاق: كانوا مهتمين ببيان ما اعتقدوا أنه معنى نص كتابي.

ضمن هذا الإطار دعي يسوع ليعبر عن رأيه. كان الفريسيون الذين طرحوا السؤال عليه منقسمين فيما بينهم بشأن المسألة. لقد سألوه، بحسب رواية متى للحادثة، "هل يحل للرجل أن يطلق امرأته لأي سبب؟" (١٩:٣). لو أجاب بـ "نعم" لأرادوا أن يعرفوا السبب أو الأسباب التي، بحسب حكمه، تجيز الطلاق. قدم لهم جوابه، ولما انفرد بتلاميذه الذين كانوا قد سمعوه، توسع في الجواب توخيا لفائدتهم.

تجاهل يسوع التفسير التقليدي للمدارس الرابيّة rabbinical ، كعادته، واحتكم إلى الكتب. سألهم: "بماذا أوصاكم موسى؟". أجابوا (مشيرين إلى تثنية ٢٤:١-٤)،

"موسى أذن للرجل أن يكتب كتاب طلاق، فتطلق". لقد أجابوا بالصواب إذ قالوا "موسى أذن" ولم يقولوا "موسى أوصى"؛ إن القانون الذي أشاروا إليه، كما رأينا، اعتبر إجراءات الطلاق القائمة أمرا مسلما به، وأدرجها في وصية تتعلق باحتمال إضافي. لكن يسوع قال لهم "من أجل قساوة قلوبكم كتب لكم موسى هذه الوصية". وبعدئذ، وكما عاد بقانون السبت إلى المبادئ الأولى، عاد بقانون الزواج أيضا. قال لهم: "من بدء الخليقة 'ذكرا وأنثى خلقهما الله.' 'من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته، ويكون الاثنان واحدا'. إذا ليسا بعد اثنين بل واحد. فما جمعه الله لا يفرقه انسان" (مرقس ١٠:٢-٩).

لقد ذكرهم يسوع بما أورده الكتاب عن تأسيس الزواج. ينبغي أن ينسجم قانون الزواج مع غرض الله من إنشاء الزواج. أنشئ الزواج ليخلق وحدة بين شخصين ولم يتخذ أي تدبير احتياطي لحل تلك الوحدة. لم ينسب يسوع إلى الزواج صفات مثالية. فهو لم يقل إن كل زواج يصنع في السماء؛ بل قال إن الزواج نفسه صُنِع في السماء ـ أي أن الله أنشأه. وجواب يسوع، على السؤال "هل يحل للرجل أن يطلق زوجته؟"، هو بالحقيقة "لا؛ مهما كان السبب."

ثمة ميزة بارزة في جواب يسوع للفريسيين يمكن أن تهمل بسهولة. إن تفسير مدرسة شمعي المتشدد وتفسير هليل "التحرري" كليهما يأخذان بوجهة نظر الزوج. فالأمر المهم في التفسير المتشدد كان عذراوية العروس التي يجب أن تكون فوق الشبهة؛ لكن عفة العريس قبل الزواج ليس لها مكان في الصورة. وكان التفسير "التحرري" تحرريا لمصلحة الزوج، حيث أنه سمح له بأن يطلق زوجته لأسباب متنوعة؛ أما من حيث مصلحة الزوجة فقد كان التفسير بعيدا عن التحررية، لأنه كانت لديها فرصة ضئيلة لكي تُنْصَفَ إذا ما قرر زوجها أن يطلقها على أساس ما تعنيه الشريعة بحسب التفسير "التحرري". وما يصدق على هذين التفسيرين يصدق على السبب الأصلي للتشريع الذي توليا تفسيره: لقد تم التسليم بالطلاق بسبب قساوة

قلوب *الرجال*. كانت كفة الناموس تميل بصورة غير منصفة نحو ضرر النساء، وكان حكم يسوع، الذي احتكم إلى تصميم الخالق، بقصد إصلاح هذا الخلل في الميزان. فليس من المدهش أن النساء بصورة منتظمة تعرفن بيسوع صديقهن وبطلهن.

يمكننا أن نلاحظ بصورة عابرة أن يسوع، بإشارته إلى رسم الخَلْق، جمع نصا من رواية الخلق الواردة في تكوين١ مع نص من رواية الخلق الواردة في تكوين ٢. ففي تكوين ١:٢٧، عندما "خلق الله الانسان على صورته"، كان الانسان الذي خلقه هكذا هو الانسانية، المؤلفة من الجنسين: "ذكرا وأنثى خلقهم". وفي تكوين ٢:٢٤ بعد قصة تشكيل حواء من جنب آدم، يمضي الراوية فيضيف: "لهذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته، ويصيران جسدا واحدا." ربما كان هذا تعليق الراوية على القصة، لكن يسوع يقتبسه باعتباره كلمة الله. فأمر الله هو الذي قضى أن يكون الاثنان واحدا؛ ولم تعط للرجال أي سلطة لتعديل ذلك الأمر.

عندما طلب التلاميذ من يسوع أن يوضح لهم حكمه، أعاد صياغة هذا الحكم في البيانين اللذين اُقتبسا في مطلع هذا المقطع. يشير البيان الثاني إلى موقف لم يفكر به ناموس العهد القديم الذي لم يضع تدبيرا احتياطيا للزوجة لكي تطلق زوجها وتتزوج بآخر. لذلك جرى اعتقاد بأن هذا البيان الثاني نتيجة طبيعية أضيفت إلى حكم يسوع الأصلي عندما شقت المسيحية طريقها إلى العالم الأممي. كان بوسع الزوجة، بموجب عدد من لوائح الشريعة الأممية أن تبدأ إجراءات الطلاق، وهذا لم يكن ممكنا بمقتضى الناموس اليهودي. لكن في الوقت الذي تكلم يسوع فيه كانت هناك *قضية مشهورة* حديثة العهد في بلده بالذات، وكان لديه إمكانية قوية ليشير إليها.

قبل أقل من عشر سنين، كانت هيروديا، حفيدة هيرودس الكبير، قد تزوجت من عمها هيرودس فيليب وعاشت معه في روما، ولكنها لم تلبث أن أحبت عمها، هيرودس أنتيباس، رئيس ربع الجليل وبيرية، عندما زار روما. ولكي تتزوج أنتيباس

(وهذه أيضا كانت رغبته)، طلقت زوجها الأول. وفعلت ذلك بموجب القانون الروماني، بالنظر إلى أنها كانت مواطنة رومانية (ككل أفراد عائلة هيرودس). لم يكن زواج المرأة من عمها انتهاكا للناموس اليهودي، كما كان يفسر عادة في ذلك الوقت، ولكنه كان بالتأكيد خرقا للناموس أن تتزوج من أخ زوجها. وبسبب إلحاح هيروديا زج بيوحنا في السجن من قبل هيرودس أنتيباس لأنه أصر على أن هيرودس أنتيباس لا يستطيع أن يتزوج امرأة أخيه. لم يسمّ يسوع أي أسماء، ولكن أي إشارة في ذلك الوقت، في الجليل أو في بيرية، إلى امرأة تطلق زوجها وتتزوج شخصا آخر ستجعل السامعين بصورة مؤكدة يفكرون في هيروديا. و لو بلغ مسامعها الاقتراح القائل بأنها كانت تعيش في حالة الزنى، لجلب يسوع على نفسه دون ريب، كيوحنا المعمدان، سخطها المميت.

لكن كلمات يسوع عن الطلاق والزواج ثانية من جانب الرجل هي ما استصعب التلاميذ قبوله. ألن يستطيع الرجل أن يتخلص من زوجه *لأي* سبب؟ إذا فهم ما قاله يسوع على نحو صحيح، فالجواب بالنفي. فلا عجبَ ، أنْ حوّرت قساوة قلوب الرجال، بمرور الزمن، حكم يسوع، مثلما كانت قد حوّرت قبل ذلك، التصميم الأصلي الذي صممه الخالق.

تبين صيغة هذه المحادثة كما أوردها متى أن حكم يسوع جاء في عبارة أطول بسبب إضافة بضع كلمات: "من طلق امرأته، *إلا بسبب الزنى*، وتزوج بأخرى، يزني" (متى ٩:١٩). يظهر الاستثناء نفسه في مناسبة أخرى ورد فيها هذا الحكم في إنجيل متى وهي العظة على الجبل: "كل من طلق امرأته *إلا لعلة* الزنى، يجعلها تزني؛ وكل من تزوج بمطلقة يزني" (متى ٣٢:٥). و يظهر الحكم بهذه الصيغة الأخيرة في لوقا١٨:١٦ أيضا، لكن بدون الجملة الاستثنائية؛ فالجملة الاستثنائية توجد في إنجيل متى فقط، وتوجد مرتين مرة بعد مرة.

ماذا يجب أن يُفعل بشأن الجملة الاستثنائية؟ هل هي إضافة تعكس قساوة قلوب الرجال؟ أم أنها توسع يبين الواضح ــ أي أنه إذا عمل شئ بحكم طبيعته يحل رباط الزواج، فالرباط محلول؟ هل هذه محاولة لجعل حكم يسوع يطابق تفسير شمعي ـ أي إذا اكتشف أنه إذا كان للعروس قبل الزواج علاقة جنسية محرمة كان زوجها مخولا بأن يطلقها؟ جميع هذه الاقتراحات نوقشت. الرأي الأكثر ترجيحا هو أن الجملة الاستثنائية صممت لتجعل الحكم متكيفا مع ظروف البعثة إلى الأمم. إذا كان الأمر كذلك، فإن تعبير "عيب" له معنى تقني، يشير إلى الاتحادات الجنسية التي حرمها قانون الزواج الإسرائيلي، في حين أنها ربما كانت مقبولة بحكم العادة والاستعمال في بعض أنحاء العالم الوثني. من الناحية التاريخية، إن قانون الزواج الكنسي التقليدي، بما في ذلك قائمة القرابات التي لا يمكن أن يجرى الزواج ضمنها، كان مبنيا على قانون الزواج الإسرائيلي. فماذا يُعمَل، إذا كان هناك زوجان بينهما قرابة لا تجيز زواجهما، واهتديا من الوثنية إلى المسيحية؟ في هذا الموقف يمكن أن يُحَل الزواج.

من المؤكد أن البعثة إلى الأمم جاءت بمشكلات لم تكن موجودة في إطار خدمة يسوع. إحدى هذه المشكلات برزت على نحو غير متوقع في الحقل الذي خدم فيه بولس خلال إرساليته، وقدم بولس "جملته الاستثنائية" لمعالجتها، مع أنه بصورة عامة تبنى تحريم يسوع للطلاق بين أتباعه. بعض المهتدين على يد بولس عرضوا عليه حالة رجل أو امرأة، ارتد(أو ارتدت) عن الوثنية إلى المسيحية، وفارقته زوجته (أو فارقها زوجها) بسبب اهتداء الشريك ورفضه الاستمرار في العلاقة الزوجية. فكان جواب بولس لهم، في هذه الحال فليفارق الشريك غير المسيحي؛ لا تلتمس العون من القانون أو أي وسيلة أخرى لإرغامه أو إرغامها على العودة. ولن يكون الزوج (أوالزوجة) المهجور مقيدا بعد الآن برباط الزوجية الذي فُصِمَ بهذه الطريقة (راجع ص ١٣٦) في ما عدا ذلك من الحالات، دعا إلى احترام الزواج، فقال: "أما

المتزوجون فأوصيهم، لا أنا بل الرب، أن لا تفارق المرأة رجلها (و إن فارقته فلتلبث غير متزوجة أو لتصالح رجلها) ـ ولا يترك [يطلق] الرجل امرأته" (١كو ٧: ١٠-١٦).

من الواضح أن بولس عرف، قبل كتابة إنجيل مرقس بزمن لا يستهان به، ما رسمه يسوع بشأن موضوع الزواج والطلاق وأدركه كما فهمه مرقس. لقد عامل بولس النساء، كما عاملهن سيده، كأشخاص وليس كجزء من ممتلكات الزوج. ولكن التلاميذ الذين سمعوا حكم يسوع في الموضوع رأوه ثوريا في أول الأمر، ولا يمكن قبوله جملة. وتطلب الأمر بعض الوقت لكي يروضوا أنفسهم على قبوله.

فهل من الحكمة تبني أحكام يسوع حول هذه المسألة أو حول بقية المسائل العملية وإعطائها قوة تشريعية؟ ربما لا يكون ذلك من الحكمة. تتمثل المشكلة في أنه إذا أعطيت لها قوة التشريع، فسوف تضاف جمل استثنائية لتشمل حالات خاصة، وسوف تطول المناقشات بشأن المواقف المتنوعة التي تشملها شروط هذه الجمل الاستثنائية، أو لا تشملها. من الأفضل، على الأرجح، أن نبقي لكلماته دقتها البالغة البعيدة عن اللين باعتبارها المثل الأعلى الذي يجب على أتباعه أن يسعوا إليه. على التشريع أن يحتاط لقساوة قلوب الرجال، لكن يسوع يبّن طريقا أفضل من طريق التشريع وهو أيضا يوفر القوة اللازمة لتغيير القلب البشري وجعل مثَله الأعلى إمكانة عملية.

الفصل الثالث عشر

خصيان لأجل ملكوت السموات

"لأنه يوجد خصيان ولدوا هكذا من بطون أمهاتهم . ويوجد خصيان خصاهم الناس . ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات . من استطاع أن يقبل فليقبل"
(متى ١٩:١٢)

يرد هذا القول في إنجيل متى فقط: وهو يأتي مباشرة بعد روايته للقول المتعلق بالزواج والطلاق الذي تأملناه في الفصل السابق. وعندما أبطل معلمهم إمكانية تخلصهم من زوجاتهم بالطلاق اقترح التلاميذ أنه خير للرجل، في هذه الحال، ألا يتزوج. كان رد يسوع على هذا الاقتراح، "ليس الجميع يقبلون هذا، بل الذين أُعِدَّ لهم" (متى ١٩:١١) . هذا يعني أن الرجال الذين نالوا موهبة العزوبة هم فقط الذين يستطيعون أن يحيوا حياة العزوبة بنجاح. هذه القرينة تظهر كيف يجب أن تفهم الإشارة التالية إلى الخصيان؛ وهي تظهر بالتأكيد كيف فهمها متى.

يتألف القول كما أورده متى من ثلاثة أجزاء. الجزءان الأول والثاني لا يمثلان مشكلة. بعض الرجال ولدوا خصيانا، وأما من جهة "الذين خصاهم الناس"، فلم تكن هذه الممارسة غير مألوفة في الشرق الأدنى القديم. القول الصعب هو الجزء الثالث: فماذا يعني أن يخصي المرء نفسه "لأجل ملكوت السموات" ؟

يروى أن أوريجانوس الاسكندري (١٨٥–٢٥٤ م)، أحد علماء الكنيسة الباكرة البارزين، عندما كان في سن الشباب، اندفع بتهور فحمل هذا الأمر على محمل الجدية الحرفية، وقام بنفسه باجراء العملية اللازمة لذلك.[1] في مرحلة لاحقة من حياته صارت معرفته أفضل: ففي تفسيره لإنجيل متى رفض التفسير الحرفي

---

[1] 1. Esebius, *Ecclesiastical History* 6. 8. 2.

للكلمات، مقرا بأنه قبله ذات مرة، وقال إنه ينبغي أن تفهم هذه الكلمات روحيا وليس "بحسب الجسد والحرف".

فما الذي عناه يسوع؟ لا يجوز أن تفهم هذه الكلمات حرفيا مثلما لايجوز ذلك فيما يتعلق بقطع اليد أو الرجل أو قلع العين إذا جعلت المرء يخطئ. كان الزواج، في المجتمع اليهودي الذي عاش يسوع فيه وعلم، هو النموذج، ولم يكن ينظر إلى العزوبة نظرة إكبار كما صار ينظر إليها فيما بعد في أجزاء كثيرة من الكنيسة. فإقدام رجالٍ نظير يوحنا المعمدان ويسوع نفسه على حرمان أنفسهم، من أسباب الراحة التي يوفرها الزواج ومن الحياة العائلية، يجوز كل الجواز أن يكون قد أثار الملاحظة أو الانتقاد؛ فكلام يسوع هنا هو بمثابة جواب على أسئلة لم تطرح. لقد امتنع بعض الرجال والنساء عن الزواج لكي يكرسوا أنفسهم لقضية ملكوت السموات بإخلاص أكثر. إن الرجل الذي يتزوج و يربي عائلة يتعرض لمسؤوليات خاصة نحو زوجته وأولاده: فلهم حق المطالبة بالنصيب الأوفر من اهتمامه. لقد أشار يسوع إلى موقفه من الروابط التي تربطه بالعائلة التي ولد فيها عندما قال إن من يفعل إرادة الله هو أخوه وأخته وأمه (مرقس ٣:٣٥). إن أناسا مثل هؤلاء ــ أخذوا على أعناقهم نير الملكوت الذي نادى به ــ هم الذين كانوا يؤلفون عائلته الحقيقية. و لو جلب على نفسه الواجبات الأكثر تقييدا التي يستلزمها الزواج وتربية الأولاد لَحَدَّ من تكريسه للخدمة التي عرف أنه مدعو إليها.

أوضح يسوع في الوقت نفسه أن قلة من تابعيه كان بوسعهم أن "يقبلوا" هذا السلوك: أما لمعظمهم فسيكون الزواج والحياة العائلية هو القاعدة norm.

بعد خمس وعشرين سنة كرر بولس التعليم نفسه بلغة مختلفة. لقد وجد بولس نفسه أن طريق الحياة العازبة ملائم لطبيعته، لكنه عرف أن النتائج ستكون مفجعة إذا حاول غير المدعوين اتباعها. من ثم كانت نصيحته لغالبية المهتدين على يده "ليكن لكل واحد امرأته وليكن لكل واحدة رجلُها"، وتابع معللا سبب هذه النصيحة،

"كل واحد له موهبته الخاصة من الله. الواحد هكذا والآخر هكذا" (١كو ٧:٢،٧). فالذين دعوا من الله إلى حياة العزوبة سينالون منه "موهبة" العزوبة – وهي "أن يخصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات".

الفصل الرابع عشر

لا تحلفوا البتة

"أما أنا فأقول لكم، 'لاتحلفوا البتة'" (متى ٥:٣٤)

الحلف كذبا جريمة خطيرة بموجب أي شريعة. وكان كذلك في ناموس موسى. الحلف الكاذب محظور في الوصية الثالثة: "لاتنطق باسم الرب إلهك باطلا؛ لأن الرب لا يبرئ من تطق باسمه باطلا" (خر ٢٠:٧). كان الحلف كذبا باسم الله خطية ليس ضد اسم الله فقط بل ضد شخصه بالذات. لاحقا وُسِّع مجالُ الوصية لتشمل أي استخفاف أو استخدام طائش للاسم الإلهي، إلى حد اعتبار أنه أسلم للمرء ألا يستخدمه أبدا. لهذا السبب فإن اسم إله اسرائيل، الذي كان يكتبه الناس عادة يهوه، صار يدعى الاسم الذي هو أقدس من أن ينطق به، نظرا إلى أن النطق به كان أمرا محظورا. وعندما كان القارئ في اجتماع المجمع يصل إلى هذا الاسم في الأمثولة الكتابية، كان يضع صيغة أخرى عوضا عنه، لئلا "ينطق باسم الرب إلهه باطلا"، بذكره اسم "يهوه" جهارا. ولكن الوصية بالأصل كانت معنية بالحلف كذبا، وهذا ما قصدته أيضا أوامر أخرى من خروج إلى التثنية. وقد لخص يسوع هذه الأوامر بقوله، "سمعتم أنه قيل للقدماء،' لا تحنث بل أوف للرب أقسامك' " (متى ٥:٣٣).

وإذ أدرك الناس خطورة الحلف بالله إذا لم يكن قولهم صادقا بصورة مطلقة، مالوا إلى أن يُحِلوا محلَّ اسم الله شيئا آخر ــ كالسماء، مثلا ــ اعتقادا منهم بأن انحرافا ضئيلا عن الحق سيكون عندئذ أهون من ألا يغتفر. ويمكن أن نستنتج من مقطع آخر في هذا الإنجيل (متى ٢٣:١٦-٢٢) بأنه كان هناك بعض المفتين الذين حكموا بأن النذور تكون أكثر أو أقل إلزاما تبعا للصياغة الدقيقة للقسَم الذي رافق النذر. كان هذا الأمر، بالطبع، عبثا أخلاقيا.

كان من الضروري منع الناس من الحلف كذبا، سواء باسم الله أو بأي صيغة أخرى من الكلمات. قال الواعظ الذي تغني حِكَمُه العمليةُ أدبَ الحكمة في العهد القديم؛ "أوفِ بما نذرته. أن لا تنذر خير من أن تنذر ولا تفي" (جا٥:٤-٥). لكن يسوع نصح تلاميذه بمبدأ أسمى. فقال، "لا تحلفوا البتة، ليكن كلامكم ' نعم' أو' لا'؛ وما زاد على ذلك فهو من الشرير" (مت ٥:٣٧). يُسمع صدى هذه الكلمات في كتاب لاحق من العهد الجديد: "ولكن قبل كل شئ يا إخوتي، لا تحلفوا، لا بالسماء ولا بالأرض ولا بقسم آخر، بل لتكن نعمكم نعم ولاكم لا، لئلا تقعوا تحت دينونة" (يعقوب ٥:١٢).

يجب أن يُعرَف أتباع يسوع بأنهم رجال صادقو الوعد ونساء صادقات الوعد. فإذا عرف عنهم أنهم مدققون في الحق، فسيكون ما يقولونه مقبولا دون أن يحتاج إلى قسَم يدعمه. ليس هذا مجرد أمر نظري؛ بل هو أمر مُثْبَت تماما بالخبرة. هناك جماعة من أتباع يسوع، هي جمعية الأصدقاء Society of Friends ، ثابرت على تطبيق كلمات يسوع هذه تطبيقا حرفيا. وقد اشتهر أفرادها باستقامتهم بحيث أن معظم الناس يثقون بسهولة بمجرد كلمة يقولها أحد أفراد جمعية الأصدقاء أكثر مما يثقون بقسَم يحلفه أشخاص كثيرون آخرون. قال يسوع "وما زاد على ذلك فهو من الشرير"؛ أي أنه، حتى وإن أقسم المرء، فإن الفكرة، القائلة بأنه يمكن الوثوق بأن المرء، رجلا أو امرأة، يقول الحق فقط عندما يقسم على ما يقوله، إنما هي فكرة تنشأ عن عدم الاستقامة والشك، وكثيرا ما تُضعِف الثقةَ المتبادلة في تبادلات الحياة اليومية. لن يطلب أحد قسَما من أولئك الذين يُعرف عنهم التزامهم بكلمتهم؛ أما الآخرون فحتى القسَم المعظّم الذي تنطق به شفاههم، كثيرا ما ينظر إليه بارتياب.

الفصل الخامس عشر

تحويل الخد الآخر

"إن لطمك أحد على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضا " (متى ٥:٣٩)

هذا قول صعب من حيث أنه يفرض طريقة في التصرف لا تخطر ببالنا في الحالة الطبيعية. إن التهجم على امرىء من غير سبب يحضه على الغيظ والرد بالمثل. وإذا أراد المرء أن يكون حرفيا إلى درجة مزعجة، فمن الواضح أن هذا هجوم قاس على وجه الخصوص، لأنه إذا كان اللاطم شخصا أيمن، فإنه سيضرب الشخص الآخر على خده الأيمن بظاهر يده.

هذا واحد من عدة أمثلة استخدمها يسوع ليوضح أن طراز الحياة في ملكوت الله يتطلب أكثر مما وضعه ناموس موسى. "سمعتم أنه قيل للقدماء ' عين بعين وسن بسن ' " (متى ٥:٣٨). كان هذا بالحقيقة مدرجا في شريعة اسرائيل الباكرة (خروج ٢١:٢٤)، وعندما قيل أول مرة كان خطوة مميزة كبيرة إلى الأمام لأنه فرض قيداً صارما على الانتقام. لقد حل محل نظام للعدالة سبق ذلك، بمقتضاه كان على القبيلة [ع] أن تنتقم من القبيلة [س]، إذا ما آذى أحد أفراد القبيلة [س] فرداً من القبيلة [ع]. وكان هذا سرعان ما يؤدي إلى ضغينة دموية بين القبيلتين وينتج عنه ألم يفوق بكثير الأذى الذي حدث بالأصل. ولكن أدخل في قانون اسرائيل مبدأ الرد بالقدر الصحيح: عين بعين، وليس أكثر من ذلك، حياة بحياة وليس أكثر. فعندما يعوَّض المُشرفُ الجريح بهذه التعويضات المناسبة بدقة تصبح الحياة محفوفة بمخاطر أقل. وقبول هذا المبدأ جعل من الأسهل النظر إلى التعويض النقدي باعتباره، في كثير من الحالات، بديلا معقولا يحل محل إنزال أذى معادل بالطرف المعتدي.

لكن يسوع الآن يمضي خطوة أخرى. فيقول لتلاميذه، "لا تردوا بالمثل أبدا". "لا تؤووا روح السخط في قلوبكم؛ فإذا آذاك أحدهم أوسبب لك إزعاجاً، أظهر أنك سيد الموقف بفعل شئ لفائدته. فإذا وجد أحدهم بعض السرور بضربك، فدعه يضربك." (ليس من الضروري القول بأنه لا ينبغي الأخذ حرفيا بهذا القول أكثر مما ينبغي الأخذ حرفيا بالقول الخاص بقلع المرء لعينه اليمنى وإلقائها - راجع ص ٥٤؛ ليس من الصعب أن نتخيل أن يدير الشخص الآخر خده بطريقة استفزازية.) إذا سخرك جندي أو موظف حكومي فطلب منك أن تحمل له حملا ما مسافة ما، فأنت ملزم بذلك؛ أنت مجبر على حمله. ولكن بعد أن تكون قد وصلت إلى نهاية المسافة المشروطة، تصبح حرا من جديد؛ يمكنك عندئذ أن تقول له، "إذا كنت تريد نقله إلى مسافة أبعد، فإنني سأحمله لك بسرور." المبادرة لك الآن، وتستطيع أن تأخذ بزمامها، ليس بالتفوه بكلمات تعبر عن الإحساس بالضيم لأنك ألفيت نفسك في هذا الموقف المزعج، بل بالقيام بالعمل إنعاما منك و بنفس راضية. هذه الطريقة في الرد على العنف والإلزام هي طريق المسيح.

ليس مما يقع في نطاق الخبرة اليومية في العالم الغربي أن يُسَخَّر المرء من قبل جندي فيطلب منه أن يحمل له متاعه. فكيف يمكن أن تطبق هذه الوصية الخاصة التي أوصى بها يسوع في موقفنا ؟ ربما عندما يطلب شرطي من مواطن عادي أن يساعده في تأدية واجبه. ولكن لنفرض أن الشرطي يطلب منه أن يساعده في اعتقال عدد من الأشخاص المشبوهين أكبر مما يستطيع أن يقوم به رجل بمفرده لا معين له، فهل يدخل ذلك في نطاق واجب المرء تجاه قريبه؟ هذا يذكرنا ببساطة بأن تعليمات يسوع ليست عادة من ذلك النوع من التعليمات التي يمكن للمرء أن ينفذها بصورة آلية؛ إنها في كثير من الأحيان تتطلب فكرا يقظا لتنفيذها. فمهما كانت التضحيات التي يتوقع يسوع من أتباعه أن يقوموا بها، فهو لا يطلب منهم أن يضحوا بعقولهم. ما يطالبون بإلحاح بأن يقوموا به هو أن يكون فكرهم مطابقا

لفكره، وعندما يستخدم الفكر اليقظ وفقا لفكر المسيح، فالفعل الذي سيقومون به سيكون موافقا لطريق المسيح.

قد يكون هناك فعل مشابه وهو رد فعل المسيحي على المطالبة بدفع ضريبة الدخل. (بعض أتباع المسيح حملوا تعليمه بشأن الملكية على محمل الجد بحيث أنه ليس لديهم دخل يدفعون ضريبة عنه ــ راجع ص ١٧٨) يجب دفع الضريبة المطلوبة؛ وليس هناك أي خيار في هذا المجال. لكن افرض أن مسيحيا دافعا للضريبة، قام بدفع ضعف المبلغ المطلوب، إنعاما منه، أو على أقل تقدير أضاف إليه مبلغا كبيرا: فما الذي سيحدث؟ المرجح أن الحاسب computer سيسجل هذا المبلغ كدفعة زائدة عن الضريبة، وسيرد له المبلغ الزائد كدفعة مردودة. ربما يكون أكثر حكمة لو أنه أرسل المبلغ مباشرة إلى وزير الخزانة، وأرسله غفلا من الاسم ــ ليس فقط لكي لا يدع يده اليسرى تعرف ما تعمله يده اليمنى، بل ليحتاط للشبهات والاستفسارات التافهة. ومرة أخرى ليس من السهل تنفيذ أوامر يسوع البسيطة في مجتمع معقد كمجتمعنا. لكن حيث توجد الروح التي أوصى بها، لن يبتعد الأداء كثيرا عن جادة الصواب.

ولكن يسوع هو الذي يوصي تلاميذه بأن يديروا الخد الآخر. هذه الوصية تقع في دائرة السلوك الشخصي. مهما يكن من أمر، فهناك كثيرون من المسيحيين يعتقدون بأن هذا التعليم ينبغي أن يوضع موضع التطبيق من قبل الجماعات والدول أسوة بالأفراد. ويمكن أن نوافق كل الموافقة فيما يتعلق بالجماعات المسيحية. إن مشهد الكنيسة وهي تستعين بـ: "ذراع علمانية" لتعزيز مصالحها نادرا ما تكون مشهدا بنّاء. قال أحدهم، " ليس من واجب كنيسة الله أن تسدد الضربات بل بالأحرى أن

نتلقاها"، ثم أضاف، "لكنها السندان الذي تبلى عليه كل المطارق"[1] ولكن ماذا بشأن المجتمع السياسي؟

لم يبرز هذا الموقف في أزمنة العهد الجديد. فتلاميذ يسوع الأولون لم يشغلوا مراكز السلطة. وربما كان يوسف الذي من الرامة استثناء للقاعدة: فقد كان عضوا في السنهدرين، وهو المحكمة العليا للأمة اليهودية، وبحسب لوقا (٢٣:٥٠-٥١) لم يوافق على حكم زملائه المعادي الذي أصدروه بحق يسوع. وبينما انتشر الإنجيل في العالم الأممي [غير اليهودي]، ضمت بعض الكنائس المحلية في عضويتها رجالا شغلوا مناصب في البلدية، من أمثال إراستوس، خازن مدينة كورنثوس (رو ١٦:٢٣)؛ ولكن لم ير بولس أو كاتب آخر من كتبة العهد الجديد ضرورة لإعطاء تعليمات خاصة للحكام المسيحيين تقابل تلك التي أعطيت للرعايا المسيحيين. ولكن ما الذي كان سيحدث عندما يصبح المسيحيون حكاما، كما صار بعضهم بعد برهة وجيزة ؟ هل يستطيع الحاكم المسيحي أن يمارس عدم الرد بالمثل نحو مجرم يَمْثُل أمامه للمحاكمة؟ هل يستطيع الملك المسيحي أن يمارس عدم الرد بالمثل نحو ملك مجاور أعلن الحرب عليه؟

إن بولس، الذي يعيد ويكرر مبدأ عدم الرد بالمثل الذي علمه يسوع، يعتبر عدم الرد بالمثل جزءا من واجب الحاكم المدني. لقد تساءل بولس، "أفتريد ألا تخاف السلطان؟" "إذا افعل الصلاح، فيكون لك مدح منه، لأنه خادم الله لأجل خيرك. ولكن إذا فعلت الخطأ فخف، لأنه لا يحمل السيف عبثا؛ إنه خادم الله لينفذ غضبه على فاعل الشر" (رو ١٣:٣-٤). الحاكم الذي كان يقصده بولس هو الامبراطور الروماني أو من كانت له سلطة تنفيذية أو قضائية خاضعة له. ولكن كلماته كانت مناسبة لإطارها الزمني. لم يكن قد أتى الوقت (مع أنه أتى في أقل من عشر

---

[1] هذا ما قاله تيودور دي بيز (بيزا) Theodore de Beze (Beza) في عام ١٥٦١ للملك شارل التاسع ملك فرنسا في كنيسة بواسي Poissy .

سنوات بعدما كتبت هذه الكلمات) الذي ستصبح فيه الامبراطورية معادية للكنيسة بصورة علنية. وأبعد من ذلك كان الوقت الذي أذعنت فيه الامبراطورية للكنيسة وبدأ الأباطرة يعترفون رسميا بالمسيحية ويدعون أنفسهم مسيحيين. وعندما ورثوا "السيف" الذي لم يحمله أسلافهم الوثنيون "عبثا"، فكيف كانوا سيستخدمونه؟ لا يمكن قراءة جواب هذا السؤال بسهولة على صفحات العهد الجديد. وما زال هذا السؤال يسأل، ومن الحق أن يسأل؛ ولكن ما من جواب يمكن الادعاء بأنه هو الجواب المسيحي حقا.

الفصل السادس عشر

أحبوا أعداءكم

" أما أنا فأقول لكم ، 'أحبوا أعداءكم وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ' "
(متى ٥:٤٤)

اتفقنا إذاً ينبغي علينا أن نقاوم الدافع الذي يدفعنا إلى الرد على من آذانا بأن نكيل لـه بنفس الكيل، ولكن هل يتضمن هذا محبة له؟ هل نستطيع أن نحب عند الطلب؟

يأتي أمر يسوع لتلاميذه بأن يحبوا أعداءهم مباشرة بعد كلماته: "سمعتم أنـه قيل، 'تحب قريبك وتبغض عدوك' " (مت ٥:٤٣). إن عبارة 'تحـب قريبك' اقتباس من شريعة العهد القديم؛ إنها جزء مما أشار إليه يسوع في مكان آخر على اعتبار أنـه ثاني الوصيتين العظميين: "تحب قريبك كنفسك" (لا ١٩:١٨). قال يسوع (مت ٢٢:٣٦-٤٠) إن كل الناموس والأنبياء يتعلق بهذه الوصية وقرينتها، "تحب الرب إلهك من كل قلبك .." (تث ٦:٥)، التي دعاها "الوصية الأولى والعظمى" . ولكن الوصية بالحقيقة لا تتابع فتقول "تبغض عدوك." غير أنه إذا كان علينا أن نحب أقرباءنا فقط، وحُدّدت كلمة "أقرباء" بمعنى ضيق نوعاً ما، فربما يأتي من يجادل بالقول إننا أحرار في أن نبغض من هم ليسوا أقرباءنا. لكن يسوع قال "لا تفعلوا هذا؛ أحبوا أعداءكم كما تحبون أقرباءكم."

ثمة صعوبة تكمن في الجوانب العاطفية التي تقترن بها كلمة "محبة" بالنسبة لكثيرين منا. إن المحبة التي يتحدث عنها الناموس والإنجيل على السواء هي موقف عملي جدا: "لا نحب بالكلام ولا باللسان [فقط] بل بالعمل والحق"(١يوحنا ٣:١٨). إن المرء يعبر عن محبته للقريب بمد يد العون إليه عندما يكون في حاجة إليها:

يقول يسوع، "هذا هو الصواب، قدم لعدوك يد العون عندما يكون هو في حاجة إليها. إن مشاعرك تجاهه ليست بالأمر المهم".

لكن إذا اعتقدنا أنه ينبغي علينا أن نطور مشاعر أكثر مسيحية نحو عدو، يدلنا يسوع على الطريق حين يقول "صلوا لأجل الذين يضطهدونكم" (أو كما جاءت في لوقا ٦:٢٨، "صلوا لأجل الذين يسيئون إليكم"). أولئك الذين وضعوا هذه الوصية موضع التطبيق يؤكدون لنا أن الاستمرار في الصلاة لأجل شخص لا تحبه، مهما كان البدء بذلك ضد ميلك الفطري، فإنه سيحدث تغييرا في الموقف جديرا بالملاحظة.

يقتبس ألكسندر هوايت من مفكرة قديمة اعترافات رجل كان يتشارك في البيت نفسه والمائدة نفسها مع شخص كان يرى أنه لايطاق. فراح يصلي لأجله، إلى أن تمكن من أن يكتب: "في الصباح التالي وجدت من السهل أن أكون مهذبا بل كريما مع جاري. وشعرت أمام مائدة الرب اليوم أنه سيأتي بالتأكيد اليوم الذي فيه أحبه."[١]

إن خير طريقة لتدمير عدو هي تحويله إلى صديق. يقوم بولس، الذي ينقل تعليم يسوع في هذا المجال (كما في مجالات أخرى عديدة)، بتلخيص المسألة فيقول، "لا يغلبنك الشر، بل اغلب الشر بالخير" (رو ١٢:٢١). ويؤكد هذه النقطة باقتباس من أمثال ٢٥:٢١-٢٢: "إن جاع عدوك فأطعمه؛ وإن عطش فاسقه؛ لأنك إن فعلت هذا تجمع جمر نار على رأسه". مهما كان معنى هذا المثل بالأصل، فإن بولس يكيفه لغرضه بحذف العبارة المتعلقة بالذات والتي تتبع ما اقتبسه: "والرب يجازيك". جمرُ النار بحسب هذه القرينة الجديدة قد يعني الإحساس بالخجل الذي سيحدث لدى العدو، ويؤدي إلى تغيير في القلب من جانبه أيضا. لكن أولا جازه خيرا؛ ودع المشاعر فستأتي في وقتها.

---

[١] A.Whyte,*Lord, teach us to pray*, second edition (London,1948), pp.33-35.

الفصل السابع عشر

كونوا كاملين

"فكونوا كاملين ، كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل" (مت ٥:٤٨)

بعض دارسي الأخلاق المسيحية يميزون بين المبادئ العامة في السلوك المسيحي وما يسمى "خطط سلوك الكمال"، وكأن الأولى أوامر لعامة المسيحيين بينما الأخيرة يمكن بلوغها من قبل القديسين الحقيقيين (راجع ص ١٧٨).

لم يقم يسوع نفسه بإجراء هذا التمييز. لقد ميّز بين مبادئ الأخلاق العادية التي تراعى في العالم وبين المستوى الذي ينبغي على تلاميذه أن يطمحوا إليه؛ لكن هذا المستوى ينبغي أن يتميز به كل تلاميذه وليس قلة مختارة. فمبدأ مقابلة المعروف بالمعروف، مثلا، كان يلتزم به أناس غير متدينين مطلقا بل وأناس وثنيون أيضا. أما مقابلة المعروف بالإساءة فمن شأنها أن تعد أمرا شائنا. ولكن تابعي يسوع يجب ألا يبقوا مكتفين بالمبادئ التقليدية للسلوك المهذب. بمقتضى المبادئ التقليدية يستحق المعروف معروفا، ولكن بمقتضى المبادئ التي وضعها يسوع لتلاميذه تستحق الإساءة معروفا ـ إلا أن كلمة "تستحق" ليست الكلمة المناسبة. الإساءة قد تستحق إساءة على سبيل الانتقام، ولكن إساءة توجه إلى تلاميذه ينبغي أن تقابل بمعروف. ينبغي عليهم أن "يسيروا الميل الثاني"؛ ينبغي عليهم أن يفعلوا أكثر مما يفعله الآخرون إذا شاءوا أن يُعرَفوا باعتبارهم أتباع يسوع. قال لهم يسوع، إذا قصرتم أعمالكم الحسنة على أنسبائكم، "فماذا عملتم أكثر من غيركم؟ أما يعمل الوثنيون هذا؟" (مت ٥:٤٧ ت ع ج). بعد هذه الكلمات مباشرة جاء قوله: "فكونوا أنتم كاملين، كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل."

قد يبدو هذا بمعناه الحرفي جدا كـ "خطة لسلوك الكمال". "كونوا كاملين كاللـه". ومن الذي يستطيع بلوغ كمـال كهذا؟ وهل يستحق الأمر مجرد البدء بالمحاولة؟ ولكن القرينة تساعدنا لنفهم قوة هذه الكلمات. لماذا يجب على تلاميذ يسوع، ورثة ملكوت اللـه، أن يقابلوا الشر بالخير؟ ربما قالت الشريعة القديمة، "تحب قريبك كنفسك" (لا ١٩:١٨)، ولكن إتمام تلك الوصية يعتمد على الجواب المعطى للسؤال: "من هو قريبي؟" (لوقا ١٠:٢٩). ولما سئل يسوع هذا السؤال روى قصة السامري الصالح ليبين بأن "قريبي" بموجب المعنى الذي قصدته الوصية هو من يحتاج إلى معونتي أيا كان، هو من أستطيع أن أقدم له الخدمة "التي تقدم للقريب". ولكن الإسرائيليين الذين أعطيت لهم الوصية بادئ ذي بدء ربما لم ينظروا إلى الكنعاني على اعتبار أنه "قريب" تنطبق عليه شرعة محبة القريب، وربما لم ينظر أنسالهم في أزمنة العهد الجديد إلى روماني بهذه الطريقة.

تؤكد معظم نظم الأخلاق واجب المرء نحو قريبه، ولكن التقدم في الأخلاق يتميز بالمجال المتسع الذي أشار إليه الجواب عن سؤال "من هو قريبي؟" لماذا يجب أن أكون كريم الخلق نحو شخص غير كريم الخلق نحوي؟ إذا أساء إلي شخص، فلماذا لا أرد له بنفس الكيل؟ قال يسوع، لأن الله نفسه وضع لنا مثالا في هذه الناحية. "أبوكم السماوي ... يشرق شمسه على الأشرار والصالحين، ويمطر على الأبرار والظالمين" (مت ٥:٤٥). ويسكب بركاته من دون تمييز. إن تابعي يسوع أولادُ الله، وينبغي أن يبينوا الشبه العائلي بفعل المعروف مع الجميع، حتى أولئك الذين يستحقون العكس. قال يسوع، وهكذا سِرْ و اعمل خيراً حتى نهاية الطريق كما يفعل الله تماماً.

تظهر الوصية نفسها في سياق مشابه، ولكن بكلمات مختلفة قليلا ، في لوقا ٦:٣٦ "فكونوا رحماء، كما أن أباكم أيضا رحيم." عندما نجد قولا محفوظا بشكلين مختلفين من قبل بشيرين، كما نرى هنا، فالسبب في كثير من الأحيان يعود إلى أن

كلمات يسوع الآرامية قد ترجمت إلى اليونانية بطريقتين مختلفتين. لسنا نعلم على وجه الدقة الكلمات الآرامية التي استخدمها يسوع في هذه المناسبة، ولكن المرجح أنها عنت، "يجب أن تكونوا كاملين (أي، في كل مجال، و دون أي قيد) في أعمال الرحمة أو المعروف، لأن الله هكذا."

عندما كانت كتب الشريعة تقرأ في المجمع من العبرية الأصلية، كانت تقرأ إلى جانبها ترجمة تفسيرية شفهية (تدعى *ترغوما targum*) بالآرامية، وهي اللغة العامية الشعبية. هناك مقطع في الشريعة (لا ٢٢:٢٦-٢٨) يأمر بالرفق بالحيوانات. وفي إحدى الترجمات التفسيرية الآرامية، يُختتم هذا المقطع بالكلمات التالية: "وكما أن أبانا السماوي رحيم في السماء هكذا كونوا أنتم رحماء على الأرض". فربما عرف بعض من سمعوا يسوع تحولا مشابها للجملة عندما نطقت شفتا يسوع بهذا "القول الصعب". في المقام الأول هو ليس صعبا على الفهم؛ إنه في بعض الأحيان صعب التطبيق.

الفصل الثامن عشر

إذا لم تغفر لأخيك

" فهكذا أبي السموي يفعل بكم إن لم تتركوا من قلوبكم كل واحد لأخيه زلاته "
(متى ١٨:٣٥)

هذا قول صعب للغاية. إن كلمة "هكذا" في مطلعه تشير إلى القصاص الشديد الذي فرضه الملك في المثل على عبده غير المسامح. وقد ضرب يسوع المثل نتيجة محادثة بينه وبين بطرس. لقد طبع يسوع في ذهن تلاميذه بصورة متكررة ضرورة الغفران: فلا يجوز لهم أن يضمروا السخط، بل أن يغفروا بسخاء لأولئك الذين آذوهم. سأله بطرس: "[نعم]، ولكن كم مرة؟ هل إلى سبع مرات؟ـ والأرجح أنه ظن أن ذلك تقريبا منتهى التحمل المعقول. قال له يسوع: "لا أقول لك إلى سبع مرات بل إلى سبعين مرة سبع مرات" (مت ١٨:٢١-٢٢). فبعد أن يكون المرء قد غفر سبعين مرة سبع مرات، ربما يكون الغفران قد صار طبعا ثانيا لديه.

بعض المفسرين رأوا هنا إشارة إلى نشيد الحرب الذي أنشده لامك في تكوين ٤:٢٤ . كان لامك من سلالة قايين، الذي وُضع (و يتوقع أن يكون هذا باعثا على الدهشة) تحت حماية الله. قال الله، "إذا قتل أحد قايين، فسوف يُنتقَم له سبعة أضعاف." لقد تباهى لامك في نشيده بأن أحدا لن يستطيع أن يؤذيه وينجو: "إذا كان يُنتقَم لقايين سبعة أضعاف، فسوف يُنتقَم للامك سبعين ـ سبعة أضعاف" (أو ربما "سبعين مرة سبعة أضعاف"). أما يسوع فقد وضع لتلاميذه هدفا معارضا للانتقام سبعين مرة سبع مرات وهو الغفران سبعين مرة سبع مرات.

الإنجيل رسالة الغفران: ولا يمكن أن يكون خلاف ذلك، لأنه إنجيل الله، والله إله غفور. قال نبي عبراني، "من هو إله مثلك، غافر الإثم؟" (مي٧:١٨). وقال آخر (محتجا على ميل الله إلى أن يغفر لمن، بحسب اعتقاده، لا يستحقون الغفران)،

"عرفت أنك إله رؤوف ورحيم، بطئ الغضب، وكثير الرحمة" (يونان ٤:٢). يلزم إذاً، أن يتوقع من أولئك الذين ينالون الغفران الذي يقدمه الله في الإنجيل، والذين يدعونه أباهم، أن يعرضوا شيئا من طبعه ويظهروا موقف الغفران تجاه الآخرين. وإذا لم يفعلوا، فماذا سيكون بعد ذلك؟

ماذا سيكون بعد ذلك؟ أجاب يسوع عن هذا السؤال في مثل العبد غير المسامح، الذي ضربه ليؤكد كلماته لبطرس بشأن الغفران المتكرر "حتى إلى سبعين مرة سبع مرات". قال يسوع، قرر ملك أن يسوّي حساباته مع عبيده، و وجد أن أحدهم (ولا بد أنه كان يشغل مركزا رفيعا في الدولة) كان مدينا للخزينة الملكية بمبالغ تصل إلى الملايين. وعندما هَمَّ الملك بأن يعامله كما يتوقع من عاهل شرقي، خرّ الرجل عند قدمي الملك وتوسل إليه طالبا الرحمة، وتعهد له، إذا ما أمهله، بأن يدفع له كل ما عليه. عرف الملك حق المعرفة أنه لن يستطيع أن يرد مثل هذا الدين، ولكنه أشفق عليه وألغى الدين. ثم التقى الرجل بشخص آخر يعمل في خدمة الملك كان مدينا له شخصيا (وليس للملك): وكان دينه يبلغ بضعة دراهم. فطالب زميله بالدفع الفوري، وعندما طالبه المدين بأن يمهله رفض وأودعه سجن المدينين. سمع الملك بالأمر، واستدعى الرجل الذي كان قد سامحه ليمثل أمامه، وألغى الإعفاء، وعامله كما عامل هو زميله: "غضب سيده وسلمه إلى المعذبين حتى يوفي كل ما كان له عليه". وتابع يسوع: "فهكذا أبي السموي يفعل بكم إن لم تتركوا من قلوبكم كل واحد لأخيه (أو أخته) زلاته". أيلغي الله عفوا منحه؟ لن يفعل الله شيئا كهذا، بكل تأكيد؟ يقول يسوع إنه سيفعل ذلك. وهذا قول صعب بالحقيقة!

هذا التأكيد على ضرورة امتلاك روح مسامحة يشغل مكانة مركزية في تعليم يسوع كما هو جلي من حقيقة الاحتفاظ به كشئ مقدس في صيغتي الصلاة الربانية. في لوقا ١١:٤ يؤمر التلاميذ بأن يصلوا، "واغفر لنا ذنوبنا لأننا نحن أيضا نغفر لكل من يذنب إلينا [نسامح كل من لنا عليه]". من الصعب أن نؤمن بأن بوسع أحد أن

يتلو هذه الصلاة بتروٍ، وهو يعلم في الوقت نفسه أنه يعزز روحا غير مسامحة تجاه شخص آخر. إن كلمة "خطية" بالأرامية التي تكلم بها يسوع هي نفس كلمة "حَيْن"؛ لذا فإن عبارة "كل من لنا عليه" تعني "كل من أذنب إلينا". وفي الطلبة المشابهة الواردة في متى ٦:١٢ يرد استخدام كلمة دين "بمعنى خطية" مرتين: "واترك لنا ديوننا، كما نترك ديون من لنا عليهم: يعني اغفر لنا خطايانا كما غفرنا نحن بدورنا لمن أخطأ إلينا." هذا التعبير يفيد ضمنا أن الشخص الذي يصلي كان قد غفر أي إساءة تلقاها؛ وإلا كان من المستحيل أن يطلب بنزاهة من الله أن يغفر له خطاياه. وفي صيغة متى يأتي مباشرة بعد الصلاة الربانية تأكيد هذا الأمر: "فإنه إن غفرتم للناس زلاتهم، يغفر لكم أيضا أبوكم السموي؛ وإن لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم أبوكم أيضا زلاتكم" (متى ٦:١٤-١٥).

المعنى غير غامض، وليس من الحكمة محاولة تجنب تحديه غير المريح. إحدى طبعات الكتاب المقدس ذات الحواشي، وهي معروفة جيدا، أوردت تفسيرا لعبارة "كما نغفر للمذنبين إلينا [المدينين]" و هي ترد كالآتي: "هذا أساس قانوني للغفران. أما في أف ٤:٣٢، فالأساس هو النعمة. بموجب الناموس الغفران مشروط بوجود روح مماثلة لدينا؛ بموجب النعمة غُفِر لنا لأجل المسيح، وتحثنا الآية على الغفران لأنه غفر لنا."[1] ولكن الغفران لا يمنح ولا ينال على "أساس قانوني"؛ إنه دوما مسألة نعمة. ما يقوله بولس في أفسس ٤:٣٢ هو هذا: "كونوا لطفاء بعضكم نحو بعض شفوقين متسامحين، كما سامحكم الله أيضا في المسيح." ولكن إذا ظل في قلوب بعض الذين وجه إليهم هذا النصح (وهو موجه إلى كل المسيحيين في كل زمان) موقف غير مسامح تجاه الآخرين، فهل يمكن مع ذلك أن ينعموا باليقين بأن الله غفر لهم؟ إذا كان تعليم يسوع يعني ما قاله، فلن ينعموا باليقين.

---

[1] *The Scofield Reference Bible,* second edition (Oxfjord 1917). The sharpness of the antithesis is modified in *The New Scofield Reference Edition* (Oxford, 1967), p.1,000 .

ضرب يسوع مثلا آخر عن دائنَيْن ليوضح جانبا آخر من الغفران. حدث هذا في بيت سمعان الفريسي، الذي أهمل القيام بواجب الضيافة المعتاد، في حين أن المرأة، التي أتت من الشارع و تجرأت على الدخول، سخت في التعبير عن شعورها بالامتنان ليسوع وذلك بتبليل قدميه بدموعها (لو ٧:٣٦-٥٠؛ راجع ص ٢٨) غرض المثل أن يبين أن من سومح بدين كثير سيستجيب بحب كثير، في حين أن من يشعر بأنه قد سومح بالقليل لن يبدي استجابة عظيمة. (ربما يقدم اعتراض بأن الرجل الذي سومح بالدين الضخم في المثل الوارد في متى ١٨:٢٣-٣٥ قد أظهر القليل من الحب جوابا على ما قدم له، ولكن المثلَيْن ضربا في موقفين مختلفين، والغفران والمحبة ليسا خاضغين لقواعد الضرورة الحتمية الصلبة). حيث توجد استجابة أصيلة بالمحبة ستكون هناك روح مسامحة، وحيث توجد الروح المسامحة سيكون هناك مزيد من التقدير لرحمة الله الغافرة، و بالتالي مزيد من المحبة. بعض المفسرين يجدون صعوبة في ما قاله يسوع عن المرأة، "غفرت خطاياها الكثيرة، لأنها أحبت كثيرا": إن منطق المثل يوحي، "إنها تحب كثيرا لأن خطاياها قد غفرت". ولكن لو كان هذا هوالمعنى، لقيل ذلك. المحبة والغفران يعدان تفاعلا متسلسلا: مزيد من الغفران يؤدي إلى مزيد من المحبة؛ ومزيد من المحبة، يؤدي إلى مزيد من الغفران.

الفصل التاسع عشر

لا تدخلنا في تجربة

"ولا تدخلنا *في تجربة* " (متى ٦:١٣؛ لوقا ١١:٤)

الطلبة قبل الأخيرة من الصلاة الربانية بحسب الترجمة الانكليزية التقليدية هي: "ولا تدخلنا في تجربة ". إنها طلبة حيرت الأجيال المتعاقبة من المسيحيين، الذين تعني كلمة "تجربة" ، في نظرهم عادة ، تجربةً [إغواءً] لارتكاب الخطية. لماذا يجب أن نطلب من الله ألا يدخلنا في هذا ؟ كأن الله سيفعل شيئا كهذا ! "إن الله غير مجرّب بالشرور وهو لايجرب أحدا" (يعقوب ١:١٣).

ربما كانت هذه قطعًا الطلبةَ الأخيرة في الصيغة الأصلية للصلاة الربانية، كما هو الحال حتى اليوم في النص الذي أورده لوقا وهو نص أصيل. أما الطلبة التالية في الترجمة التقليدية K J V ، "لكن نجنا من الشر"، كما أوردها متى، فربما أضيفت لتساعد في تفسير الطلبة السابقة ـ سواء عنت الطلبة المضافة "نجنا مما هو شر"، أم عنت "نجنا من الشرير." فهل يُطلَب من الله أن ينجي أولاده *من* الشر *بحفظهم من* التجربة أم بحفظهم *في* التجربة ؟ الأرجح أن المقصود هو أن يحفظهم في التجربة. من الملائم التذكير بطلبة مشابهة جدا ترد في صلاة الصباح و المساء التي تؤدى أثناء خدمة العبادة اليهودية: "ولا تُخضِعنا لـ: *سلطان* التجربة." يبدو أن هذا يعني، "عندما نجد أنفسنا محاطين بالتجربة، ليتنا لا نُغلَب منها."

إن كلمة التجربة، عندما ترد في الترجمات الأقدم للكتاب المقدس، تعني أكثر من التجربة [الاغواء] لارتكاب الخطية: فلها معنى الامتحان وهو أوسع. إن الله "لا يجرب أحدا "، بحسب يعقوب ١:١٣؛ ومع ذلك يقول نفس الكاتب، "احسبوه كل فرح

---

* كلمة بونيرو اليونانية تعني : الشر أو الشرير

يا إخوتي عندما تقعون في تجارب متنوعة" و "طوبى للرجل الذي يحتمل التجربة" (يعقوب ١:٢،١٢). ما يعنيه يوضح ببساطة في ت.ع.ج.* "افرحوا كل الفرح ... حينما تقعون في مختلف أنواع المحن، فأنتم تعرفون أن امتحان إيمانكم فيها يلد الصبر" و "هنيئا لمن يصبر على المحنة، لأنه إذا احتمل الاختبار [إذا تزكى] ينال إكليل الحياة الذي وعد الرب به من يحبونه" وبنفس المعنى يؤكد ١بطرس ١:٦-٧ لمسيحيين آخرين أن الغرض من دعوتهم لاجتياز محن متنوعة، هو "لكي تكون أصالة إيمانكم أهلا للمدح والمجد والإكرام عند استعلان يسوع المسيح". بعبارة أخرى، عندما يُمتحَن الإيمان يتقوى ويؤدي إلى ثبات معزِّز للخلق.

هكذا كان الحال أيضا في أزمنة العهد القديم. نقرأ في تكوين ٢٢:١ أن "الله *امتحن ابراهيم*"، أي امتحن إيمانه. الإيمان غير الممتحَن إيمان ضعيف بالمقارنة مع إيمان اجتاز في امتحان دقيق وخرج منتصرا.

لقد أُدخِل يسوع نفسه في "التجربة". وهذا ما يشير إليه متى ضمنا عندما يقول (١:٤) "وقاد الروحُ القدسُ يسوعَ إلى البرية ليجربه إبليس." [ت ع ج]. ويستخدم مرقس فعلا أقوى، إذ يذكر أن يسوع بعدما اعتمد، "للوقت أخرجه الروح إلى البرية" (مرقس ١:١٢). فماذا كانت طبيعة "تجربة" يسوع؟ لقد كانت امتحانا لإيمانه بالله، امتحانا لتصميمه على قبول السبيل الذي عرف أنه إرادة أبيه من أجله مفضلا إياه على باقي السبل التي ربما بدت له فورا أكثر جاذبية. من هذه التجربة، كما يقول لوقا ـ رجع يسوع "بقوة الروح"، (١٤:٤) ليشرع في خدمته العامة.

فمهما كان المقصود بالطلبة، "لا تدخلنا في تجربة"، فمن البعيد جدا عن الاحتمال أن تعني "لا تدع إيماننا يمتحن" أو ، كما ورد في ترجمة NEB ، "لاتدخلنا في

---

* الترجمة العربية الجديدة ، جمعية الكتاب المقدس ، لبنان ١٩٩٣

الامتحان". إن عبارة "لا تدخلنا في الامتحان" لا تقل غموضا عن عبارة "لاتدخلنا في التجربة". إنها تستدعي السؤال: "أي امتحان؟"

ربما كانت هذه الطلبة في ذهن بولس عندما كتب لأصدقائه في كورنثوس ، "لم تصيبكم تجربة لا تصيب البشر عادة. لكن الله أمين. سوف لا يدعكم تجربون فوق طاقتكم، لكنه سيجلب مع التجربة المنفذ أيضا لتستطيعوا أن تحتملوها " (١كو ١٠:١٣). يمكن أن يعد هذا فعلا توسيعا لطلبتنا التي نبحثها كمشكلة ، يفسر معناها المُركز. من الجلي أنها كانت تعد هكذا في نظرالذين فكروا في ليتورجيا القديس جيمس الشرقية في القرن الخامس حيث يتابع الكاهن الذي يقود الليتورجيا، بعد تلاوة الصلاة الربانية :

نعم أيها الرب إلهنا،
لا تدخلنا في تجربة لسنا قادرين على تحملها،
لكن امنحنا منفذا أيضا مع التجربة،
لكي نتمكن من البقاء ثابتين؛
ونجنا من الشر.

هذا يلمح إلى أن القصد من طلبتنا أشبه بما يلي. نحن نعلم أن إيماننا بحاجة إلى امتحان لكي يقوى؛ بالحقيقة إن أحوال الحياة في هذا العالم تجعل من المحتم أن يمتحن إيماننا. لكن بعضا من الامتحانات قاس جدا بحيث لا يستطيع إيماننا أن يقف ويتصداها؛ لذلك نصلي كي لا ندخل في امتحانات بهذه القسوة. وإذا انهار إيماننا أمام الضغط الواقع علينا، فقد يورطنا هذا في كارثة أخلاقية؛ كما يجلب العار على اسم الله الذي ندعوه أبانا.

عندما نصلي الصلاة الربانية يمكن أن نعمم هذه الطلبة وفق هذه الخطوط. ولكن ربما كان لهذه الطلبة معنى أكثر تحديدا، إذا أخذت في سياق خدمة يسوع ومرافقة تلاميذه له. أما ماذا كان هذا المعنى فأمر يمكن الاستدلال عليه من تحذيره لبعض تلاميذه في جثسيماني قبل إلقاء القبض عليه بقليل: "اسهروا وصلوا لكي لا تدخلوا في تجربة "(مرقس ١٤:٣٨). إذا أولينا بعض الاهتمام للصيغة الآرامية التي قيل بها التحذيرعلى الأرجح ونقلها البشير إلى اليونانية ، فهناك الكثير مما يمكن قوله تأييدا لرأي بعض العلماء وهو أنها عنت، "ابقوا ساهرين، وصلوا لكي لا تفشلوا في الامتحان!" لم تكن لدى التلاميذ أي فكرة عن خطورة الامتحان الذي كانوا على وشك مواجهته. كان الامتحانَ الأشد خطورة بالنسبة له؛ فماذا كان بالنسبة لهم ؟ هل كانوا سيقفون معه في ساعة المحنة الأساسية التي كانت وشيكة الوقوع، وهم الذين استمروا مع سيدهم في مِحَنه حتى الآن، أم أنهم سيفشلون في الامتحان؟ نعلم ما حدث: لقد فشلوا ـ مؤقتا، على الأقل. أما هو فلم يفشل، وكان هذا رحمة بالعباد (لأن خلاص العالم كان في خطر). عندما ضُرِبَ الراعي تبددت الخراف. لكنه تحمل كرب الألم والموت، ولما عاد إلى الحياة جمع أتباعه من جديد، مانحا إياهم بداية جديدة ـ وهذه المرة لم يفشلوا في الامتحان.

إن نظرتنا إلى أحداث جثسيماني وجلجثة، حتى عندما تأسرنا وتحدث ثورة في حياتنا، نظرة مختلفة حتما عن نظرتهم في ذلك الوقت. كان يسوع مستعدا لإنهاء الدهر القديم وافتتاح الدهر الجديد ـ وهو مجئ ملكوت الله بقوة جبارة. كان الانتقال من القديم إلى الجديد يتضمن ضيقا، لم يسبق له مثيل، هوآلام مخاض الخليقة الجديدة، الذي سيكون امتحانا قاسيا حتى لإيمان المختارين، ما لم يتدخل الله ويقصّره. هذا الضيق كان سيقع على الأخص على ابن الانسان، وعلى احتماله له يتوقف مجئ الدهر الجديد. كان مستعدا لامتصاصه في شخصه، فهل كان سيجد شخصا آخر أو شخصين مستعدين لمشاركته فيه ؟ لقد صرح يعقوب ويوحنا أنهما

قادران على شرب كأسه والاشتراك في معموديته. لكنهما، في لحظة الأزمة، أثبتا أنهما، ورفاقهما، غير أكْفاء للتحدي. إذا لنعد من تحذير ربنا في جثسيماني إلى الطلبة المُشْكلة التي ندرسها، يمكننا أن نستنتج أن معناها في سياق خدمة يسوع كان "هبنا ألا نفشل في الامتحان" ـ "هبنا ألا يكون الامتحان شديد القسوة بحيث لا يصمد إيماننا أمامه." كان الامتحان في ذلك السياق امتحان الدهور الذي كانت خدمةُ يسوع المقدمةَ المباشرة له. إذا تبنينا ترجمة الطلبة المتبعة في السلسلة ٣ من النظام الانكليكاني للعشاء الرباني، "لا تأت بنا إلى وقت المحنة"، أو الشكل المختلف قليلا المقترح من قبل المؤتمر الاستشاري الدولي للنصوص الانكليزية، "خلصنا من وقت المحنة"، فيكون "وقتُ المحنة" المقصودُ بالأصل وقتا احتاج التلاميذ الذين عُلموا الطلبة إلى أن يستعدوا لمواجهته. معنى الطلبة سيعبر عنه بصورة أفضل لو أنها ترجمت على الشكل التالي، "ليت إيماننا يقف ثابتا في وقت المحنة" أو "خلصنا وقت المحنة." لن نستطيع أن نجتاز في *تلك* المحنة؛ لقد اجتازها ابن الانسان بصفته ممثلنا. لكن وقت المحنة، الذي سوف يظهر ما إذا كنا حقا أتباعه أم لا، يمكن أن يأتي على أي مسيحي في أي وقت. إن أولئك الذين يثقون بقدرتهم على الصمود أمام هذا الامتحان قد لا يشعرون بالحاجة إلى هذه الطلبة. لكن أولئك الذن يعرفون أن إيمانهم لا يمكن الوثوق به أكثر مما يمكن الوثوق بإيمان بطرس ويعقوب ويوحنا، يمكنهم تماما أن يصلّوا لكي يُخلَصوا من محنة لا يمكن لإيمانهم أن يباريها أو، إذا كانت المحنة لا مفر منها، لكي يزودوا بالنعمة الإلهية الضرورية لاحتمالها: "هبنا أن لا نفشل في الامتحان."

الفصل العشرون

لآلئ قدام الخنازير

"لا تعطوا الكلاب ما هو مقدس ؛ ولا ترموا دركم إلى الخنازير ، لئلا تدوسها [الخنازير] وتلتفت [الكلاب] فتمزقكم" (مت ٦:٧)

تبدو بنية هذا القول تقاطعية chiastic*. فالخنازير هي التي تدوس اللآلئ بأرجلها والكلاب هي التي تلتفت فتعض اليد التي أطعمتها، حتى ولو أطعمتها "اللحم" المقدس.

المعنى العام للقول واضح: يجب ألا تقدم الأشياء الثمينة، والامتيازات الخاصة والاشتراك في الأشياء المقدسة إلى أولئك الذين لا يستطيعون تقديرها. اللآلئ أشياء ذات قيمة وجمال في نظر كثيرين من الناس ـ يسوع نفسه قارن مرة في أمثاله بين ملكوت الله و"لؤلؤة كثيرة الثمن" (مت ١٣:٤٥-٤٦) ـ ولكن الخنازير تحتقرها لأنها لا تستطيع أن تأكلها. واللحم المقدس ـ لحم الذبائح ـ له قيمة دينية تفوق قيمته الغذائية في نظر العابدين الذين يشاركون في "ذبيحة السلامة"، ولكن كلاب الطرقات لا تميز بينه وبين فضلات الذبيحة التي تتقاتل من أجلها في الشارع؛ ولن تشعر بأي امتنان لمن يقدم لها هذا اللحم.

ولكن هل لهذا القول تطبيق أكثر تحديدا؟ يمكن أن يتصور المرء كيف اقتُبس من قبل بعض الإخوة المتشددين في كنيسة أورشليم كحجة لمعارضة تقديم الإنجيل إلى الأمم، واستخدم بصورة مؤكدة لمعارضة قبولهم في الشركة المسيحية. وبعد

---

* النعت من chiasmus وهو اصطلاح بلاغي يعني عكس ترتيب الكلمات في الجملة الثانية من جملتين متوازيتين ، كقولك خرج هو وهي دخلت . (قاموس Collins, Glasgow, 1985) [المترجم]

ذلك بوقت قليل استخدم كحجة لمعارضة قبول غير المؤمنين في عشاء الرب: هذا ما تقوله *الديداشه Didache* (*تعليم الرسل الاثني عشر*)، وهو كتيب للكنيسة السورية، يعود إلى حوالى عام ١٠٠ م : "فلا يشرب أو يأكل من الأفخارستيا الذي تحتفلون به إلا الذين اعتمدوا باسم الرب. فعن هذا الأمر قال الرب، 'لا تعطوا للكلاب ما هو مقدس.' "[1]

هذا وإنه أمر ينطوي على مفارقة تاريخية أن نعود بقراءة هذا التفسير إلى زمن يسوع. من الأفضل أن نقرأ هذا القول في السياق الذي أورده فيه متى (البشير الوحيد الذي رواه). إنه يأتي مباشرة بعد الأمر، "لا تدينوا لكي لا تدانوا " (مت ١:٧)، ومعه إفاضتان في ذلك الأمر: ستدانون بالمعيار الذي تطبقونه عندما تدينون الآخرين (٢:٧)؛ وينبغي ألا تحاول إزالة القذى [النُشارة] من عين شخص آخر عندما يكون في عينك خشبة [لوح خشب] (٣:٧–٥). ثم يأتي هذا القول الذي هو توسيع إضافي للمبدأ أو بالأحرى قول تعديلي له: ينبغي ألا تجعل من نفسك قاضياً يحكم على الآخرين ويصدر أحكاماً متجنية في النقد، بل يجب عليك أن تمارس التمييز. كلمة حكم judgment كلمة غامضة، في الانكليزية وفي اليونانية أيضا: قد تعني أن تحاكم الناس (بل وأن تدينهم)، أو قد تعني القيام بالتمييز الملائم. فالحكم بالمعنى السابق أمر مستنكر؛ أما بالمعنى الأخير فهو أمر يُنصح به. لقد عرف يسوع نفسه أنه من غير المجدي أن يفصح عن رسالته لبعض الناس: فلم يقدم أي جواب إلى هيرودس أنتيباس عندما "سأله بكلام كثير" (لو ٩:٢٣).

بهذا القول تختم الفقرة المتعلقة بالدينونة [الحكم] الواردة في العظة على الجبل؛ أما الفقرة التالية، بما تضمنته من تشجيع على السؤال والطلب والقرع، فتتحول إلى موضوع اخر.

---

[1] *Didache 9.5*

الفصل الحادي والعشرون

الخطيئة ضد الروح القدس

"الحق الحق أقول لكم، إن جميع الخطايا تغفر لبني البشر والتجاديف التي يجدفونها؛ ولكن من جدف على الروح القدس فلا مغفرة له أبدا بل هو مذنب بخطيئة أبدية [بل تبقى خطيئته أبدية ، ت ع ج] " (مرقس ٣:٢٨-٢٩)

"وكل من قال كلمة على ابن الانسان يغفر له؛ وأما من جدف على الروح القدس فلا يغفر له" (لوقا ١٢:١٠)

يبرز الشخص الذي ارتكب الخطيئة التي لاتغفر بصورة واضحة في الأدب. فهناك مثلا بطل قصة جون بنيان في القفص الحديدي. وهناك الواعظ بيتر ويليامز Peter Williams ، من ويلز بانكلترا، الذي يخرق سكون الليل في رواية لافنغرو *Lavengro* للكاتب جورج بورو George Borrow بصرخته المكروبة: (آه ! إنها الخطيئة ضد الروح القدس) ـ التي كان مقتنعا بأنه ارتكبها. أو هناك السيد باجه Mr. Paget في رواية *الآب والابن* لإدموند غوس Edmund Gosse ، الذي تخلى عن علاج الأرواح لأنه صار مقتنعا بأنه قد ارتكب الخطيئة ضد الروح القدس ... كان السيد باجه مولعا بالتحدث، في السر والعلن، عن حالته الروحية المفزعة، وكان يخفض صوته عندما يتكلم عن ارتكابه الخطيئة التي لا تغفر، بنوع من البهجة الممتزجة بالارتجاف كما يشعر بعض الناس عندما يصابون بمرض غير عادي. ... كان الجميع يتوقون إلى معرفة الطبيعة الدقيقة لتلك الخطيئة المرتكبة ضد الروح القدس التي حرمت السيد باجه من أي بارقة أمل في الوقت الحاضر أو في الأبدية. وكان هناك همس مفاده أنه ولا أبونا السماوي نفسه على علم بطبيعة تلك الخطيئة.[1] طبعا لم يكن على علم بها، لأن "الخطيئة" كانت في مخيلة السيد باجه فقط.

---

[1] E. Gosse, *Father and Son* (London, 1928), pp. 265-267.

في الحياة الواقعية يوجد عدد قليل من الحالات أشد إيلاما من حالة أولئك الذين يعتقدون بأنهم ارتكبوا هذه الخطيئة، وهي حالات تستدعي معالجة من قبل أطباء الروح. وعندما يقدم لأصحابها الإنجيل الذي يؤكد غفران كل خطية، ويُذكّرون بأن "دم يسوع ... يطهرنا من كل خطية" (١يوحنا ١:٧)، يكون ردهم الجاهز: هناك خطية واحدة تستثنى من هذه القاعدة، وقد ارتكبوا تلك الخطيئة؛ فهذه الخطيئة، خلافا لكل أنواع الخطايا الأخرى، لا تُغفر. ألم يقل ذلك ربنا نفسه؟ وكثيرا ما يصبحون نافدي الصبر عندما يُنبَهون (وهذا حق) إلى أن مجرد قلقهم لأنهم قد ارتكبوها يثبت أنهم لم يرتكبوها.

فماذا عنى يسوع عندما تكلم بهذه الطريقة ؟ لقد حُفِظ قوله بصيغتين. سجله لوقا باعتباره واحدا من سلسلة من الأقوال تتعلق بابن الانسان أو الروح القدس، ولكن مرقس أعطاه سياقا قصصيا (ما جاء في متى ١٢:٣١-٣٢ يشمل ما جاء في مرقس ولوقا معا).

بحسب مرقس، انحدر الكتبة أو خبراء الشريعة من أورشليم إلى الجليل لتقييم العمل الذي كان يسوع، حسبما سمعوا، يعمله هناك، ولاسيما قيامه بطرد الشياطين من حياة أولئك الذين كانوا يتألمون من سيطرتها عليهم. (هذه اللغة تشير إلى حالة حقيقية محزنة، حتى وإن كانت اليوم توصف عادة بتعابير مختلفة.) توصل الكتبة إلى نتيجة غريبة: "إن معه بعلزبول، وإنه برئيس الشياطين يخرج الشياطين" (مرقس ٣:٢٢). (كان بعلزبول فيما مضى اسم إله كنعاني، "إله المكان المرتفع"، ولكن في هذا الوقت استخدم من قبل اليهود ليشير إلى حاكم الهاوية، مسكن الشياطين). لما علم يسوع بهذا، كشف سخف افتراضهم بأن قوة الشيطان يمكن أن يُطوح بها بمساعدة الشيطان. ثم اتهم أولئك الذين عبروا عن هذه النتيجة السخيفة بالتجديف على الروح القدس. فلماذا اتهمهم ؟ لأنهم نسبوا بتعمد نشاط الروح القدس إلى قوة شيطانية.

إذا، يُفهَم ضمنا أن الغفران متاح لكل نوع من الخطايا أو كل شكل من أشكال التجديف أو الافتراء ـ باقتراض أن المرء قد تاب عن تلك الخطية. ولكن ماذا يحدث إذا شاء المرء أن يتوب عن التجديف على الروح القدس؟ أليس هناك غفران لمن يتوب عن هذه الخطية ؟

الجواب على ما يبدو هو أن طبيعة هذه الخطية هي التي تجعل المرء لا يتوب عنها، لأن الذين يرتكبونها ويصرون عليها لا يعرفون أنهم يخطئون. يبين مرقس لقرائه سبب اتهام يسوع أولئك الكتبة بالتجديف على الروح القدس: لأنهم قالوا، "إن معه روحا نجسا" (مرقس ٣:٣٠). كان يسوع ينادي بملكوت الله [حكم الله الملك]، وكان مَنْحُ يسوع الفرجَ للناس المرضى في نفوسهم الذين بهم شياطين علامة على أن ملكوت الله كان ماثلا وفعالا في خدمته. قال يسوع: "إن كنت بإصبع الله أخرج الشياطين، فقد أقبل عليكم ملكوت الله" (لوقا ١١:٢٠؛ ويستبدل بـ "إصبع الله" ، "روح الله" في متى ١٢:٢٨ حيث ترد العبارة نفسها). فإذا نظر بعض الناس إلى الفرج الذي كان يسوع يجلبه إلى أجساد وعقول الرجال والنساء واعتقدوا أنه كان يفعل ذلك بمساعدة مضطهِدهم الروحي الأكبر، رئيس الشياطين، فقد كانت عيونهم مغلقة بشدة عن رؤية النور حتى صار لهم النور ظلمة والخير شرا. فالنور موجود لأولئك الذين يقبلونه، ولكن إذا رفض بعضهم النور، فأين يمكنهم أن يأملوا في الحصول على الاستنارة ؟

هل كان بولس يخطئ إلى الروح القدس في الأيام التي اضطهد فيها المسيحيين بل و "كان يضطهدهم إلى التجديف" (أعمال ٢٦:١١)؟ لا بالتأكيد، لأنه (كما عبر عن ذلك في ١تيموثاوس ١:١٣) "تصرف بجهل في عدم إيمان" ولذلك رُحِم. ولكن لو أغلق عينيه وصمّ أذنيه وأصر على متابعة الاضطهاد، عندما رأى النور على طريق دمشق وسمع دعوة الرب المقام، لكانت تلك "خطيئة أبدية". لكنه في هذه الحالة ما كان ليعرف أنها خطيئة، ويفكر بالتالي في أن يطلب أن تغفر له؛ ولو أغلق

عينيه وصم أذنيه لاستمر في اعتقاده بأنه كان يعمل عمل الله، ولبقي ضميره غير منزعج مثلما كان دوما.

يعطي لوقا، كما قلنا، سياقا مختلفا للصيغة التي يورد بها القول. فهو يورد التهمة بأن يسوع يطرد الشياطين ببعلزبول، لكنه يفعل ذلك في الاصحاح السابق (١١:١٤-٢٦) ولا يقول شيئا هناك عن الخطية المرتكبة ضد الروح القدس. وتأتي روايته لكلمات يسوع بشأن هذه الخطية في لوقا ١٢:١٠، مباشرة بعد قوله: "وأقول لكم، كل من اعترف بي قدام الناس، يعترف به ابن الانسان قدام ملائكة الله؛ ومن أنكرني قدام الناس يُنكَر قدام ملائكة الله"(لوقا ١٢:٨-٩). (يرد شبيه النصف الثاني من هذا القول في مرقس ٨:٣٨، حيث يقع ضمن الحديث الذي أعقب اعتراف بطرس في قيصرية فيلبس.) وبعد الكلمات المتعلقة بالخطية ضد الروح القدس، يقتبس لوقا أمر يسوع: "ومتى قدموكم إلى المجامع والرؤساء والسلاطين، فلا تهتموا كيف أو بما تحتجون أو بما تقولون؛ لأن الروح القدس يعلمكم في تلك الساعة ما يجب أن تقولوه" (لوقا١٢:١١-١٢). هذا الأمر له نظير في حديث جبل الزيتون كما أورده مرقس، (مرقس ١٣:١١)؛ ويقتبس النظير في صيغة الحديث كما أورده لوقا، غير أن يسوع هنا، لا الروح، هو الذي يعطي تلاميذه، "فماً وحكمة" لكي يجيبوا المحققين (لوقا ٢١:١٥). ويورد متى قولا شبيها في روايته لإرسال الرسل الاثني عشر: "لأنكم تعطون في تلك الساعة ما تتكلمون به؛ لأن لستم أنتم المتكلمين بل روح أبيكم الذي يتكلم فيكم " (متى ١٠:١٩ب -٢٠).

يضع لوقا، إذاً، القول المتعلق بالتجديف على الروح القدس بين قول يتعلق بالدور السماوي الذي يلعبه الروح كمحام للدفاع لمن يعترفون بابن الانسان (أي، يسوع) وقول يتعلق بقوية الروح للمعترفين بيسوع أمام محكمة أرضية ليقولوا الكلمة المناسبة في الوقت المناسب. في هذا السياق يعطي لمسألة التجديف على الروح القدس تأكيداً يختلف عن التأكيد المعطى لها في مرقس. يوحي لوقا بأن

التجديف على الروح يتضمن رفضا لمعونته القوية في حين أنها متاحة لتلاميذ يسوع لتخلصهم من إنكاره و بالتالي من الوقوع في الارتداد. إذا كان الأمر كذلك، فإن التجديف على الروح في هذا السياق معادل للارتداد، أي الإنكار العمدي والحاسم بأن يسوع رب. ليس هذا المقطع الوحيد في العهد الجديد الذي يحذر من شر الارتداد غير القابل للعلاج: هناك مثال آخر معروف تماما ورد في الرسالة إلى العبرانيين ٦:٤-٦ ، حيث يقال إنه يستحيل تجديد المرتدين للتوبة، لأنهم قد رفضوا السبيل الوحيد للخلاص.

لكن لوقا يقرن التحذير من الخطية التي لا تغفر وهي خطية التجديف على الروح القدس بتأكيد يسوع أن ثمة مغفرة لكل من يقول كلمة على ابن الانسان. هناك أمران يجب قولهما بهذا الصدد.

أولا، إن عبارة "ابن الانسان" بلغة يسوع (الآرامية) تعني عادة "الانسان"؛ فالسياق وحده يمكن ان يبين متى قصد يسوع أن يكون للعبارة معنى خاص تفيده الترجمة الأوسع "ابن الانسان". أضف إلى ذلك، إن أل التعريف في كلمة "الانسان" يمكن أن تشير أحيانا، إلى اسم الجنس، إي إلى الانسان عامة وليس إلى انسان بعينه (مثال ذلك "الانسان مولود للمشقة كما أن الجوارح لارتفاع الجناح"). فربما يكون يسوع قد قصد، "من قال كلمة على انسان (ما) يغفر له، وأما من قال كلمة على الروح، فليس له مغفرة."

ثانيا، إذا كان هذا ما قصده يسوع، فقد شمل نفسه باعتباره انسانا، إن لم يكن باعتباره الانسان الممثل (راجع ص ٢٨). لقد فهم لوقا من قول يسوع أنه كان يشير إلى نفسه على وجه الخصوص؛ وإلا لقال "كل من قال كلمة على انسان ما" وليس (وهذا ماقاله) "كل من قال كلمة على ابن الانسان". فلماذا يكون الافتراء على الروح القدس أشد خطورة من الافتراء على ابن الانسان؟ ربما لأن هوية ابن الانسان كانت محتجبة بإنسانيته؛ ومن السهل على الناس أن يفشلوا في التعرف على

حقيقته. لم يكن في لقب "ابن الانسان" بحد ذاته ما يعبر عن ادعائه بالسلطان. إن ابن الانسان، الذي كان يعمل آنئذ في ضعة معرضا للرفض وسوء المعاملة، يمكن بالحقيقة أن يُحتقر. ولكن إذا كان الذين بدأوا باتباعه يخشون من أنهم يمكن، تحت الضغط، أن ينكروه، فقد أكد لهم يسوع بأن مساعدة الروح متاحة لهم. أما، إذا قاوموا الروح، بحال من الأحوال، ورفضوا مساعدته، فإن حالهم عندئذ يمكن في الواقع أن تكون باعثة على اليأس.

لقد أنكر بطرسُ ابنَ الانسان، بسبب الخوف، لكنه لقي غفرانا وإعادة إلى العلاقة السابقةً: خان بشفتيه مؤقتا لكن قلبه لم يرتد. فتوبته جعلته منفتحا جدا لنعمة الروح الشافية، وعندما رُدَّ إلى العلاقة السابقة، كان بوسعه أن يقويَّ الآخرين (لوقا ٢٢:٣١-٣٢). ويمكن أن يطرح السؤال، فلماذا لم يقوِّ حنانيا وسفيرة عندما جاءا إليه بجزء من ثمن بيع حقلهما، زاعمين أنه كامل الثمن (راجع ص ١٤٩) ؟ لأنهما، على ما يرجح، وكما قال بطرس، قد قبلا اقتراحا شيطانيا بأن "يكذبا على الروح القدس" لأنهما قد "اتفقا على تجربة روح الرب" (أعمال ٥:٣،٩). وتجاوزا، بتقدير بطرس، في خطيتهما نقطة اللاعودة. أما كيف كان يسوع سيتصرف لو كان في موقف بطرس فهذه مسألة أخرى.

فالخطية المرتكبة بحق الروح القدس تتضمن، بحسب السياق الذي وردت فيه في إنجيل مرقس، إغلاق المرء عينيه بتعمد عن رؤية النور وبالتالي تسمية الخير شرا؛ و هي، بحسب لوقا (أي، بصورة جوهرية، في مجموعة الأقوال التي توصف بـ Q) ارتداد يتعذر إصلاحه. من المرجح أن هاتين ليستا حالتين بل حالة واحدة ـ لا تختلف عن الحالة التي وصفها أفلاطون وهي أن يكون الكذب في داخل النفس.[٢]

---

[2] Plato, *Republic 2. 382* a-b.

لا آية

"لماذا يطلب هذا الجيل آية ؟ الحق أقول لكم ، لا يعطى هذا الجيل آية" (مرقس ٨:١٢)
"هذا الجيل شرير؛ يطلب آية ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبي. لأنه كما كان يونان آية لأهل نينوى، كذلك يكون ابن الانسان أيضا لهذا الجيل" (لوقا ١١:٢٩-٣٠)

يبدو هذان القولان، من حيث الشكل، متناقضين: فلا يبدو أن عبارة، "لا تعطى آية" تعني نفس ما تعنيه عبارة، "إلا آية يونان النبي". إلا أنه لا يوجد بينهما، من حيث الجوهر، سوى فرق قليل كما سنرى عندما ندرس ماذا كانت آية يونان. بالحقيقة يمكن أن يكون هذان القولان اللذان نبحث فيهما لا قولين منفصلين بل صيغتين مختلفتين اكتسبهما القول الأصلي نفسه في سياق نقله. من المرجح أن القول الذي حفظه لوقا مشتق من مجموعة أقوال ليسوع اتفق على تمييزها بعلامة Q. وتظهر صيغة مرقس ثانية في متى ١٦:١-٤؛ وتتسخ الصيغة Q في متى ١٢:٣٨-٤٠. وتوسع الصيغتان كلتاهما في نص متى وتجعلان متشابهتين.

كان رفض يسوع إعطاء آية، وفقا لمرقس، جوابا لبعض الفريسيين، الذين طلبوا منه في سياق الجدل أن يعطيهم "آية من السماء". أجاب يسوع و تصرف بسلطان واضح؛ فما السلطان الذي مكّنه من أن يتكلم ويتصرف هكذا؟ إن ممارسته في يوم السبت تحدّت التفسير التقليدي لشريعة يوم السبت الذي تراكم على مرّ الأجيال؛ فبأي سلطان رفض أن يقبل "تقليد الشيوخ"؟ وفي حين أن الأنبياء الكبار في الماضي استهلوا بياناتهم بعبارة "هكذا قال الرب"، اكتفى يسوع بقول لم ينثن عنه هو "*أما أنا* فأقول لكم."، بغاير ما قيل للقدماء". فماذا كان أساس هذا الادعاء بالسلطان الشخصي؟

كيف يمكن إثبات سلطان كهذا؟ عندما اقترب موسى من فرعون بصفته الناطق باسم إله اسرائيل وطلب منه أن يسمح لشعبه بمغادرة مصر، بيّن سلطته التي تكلم بها بسلسلة متعاقبة من الآيات، كتحويل عصاه إلى حية وقلب مياه النيل إلى دم (خروج ٧:٨-٢٤). ولا شك أن فرعون كان من النوع الذي يتأثر بهذه الآيات. لكن حق موسى الداتم في أن يُعترَف به كنبي لله الحي يعتمد على أساس أشد رسوخا من هذه الآيات. عندما مثُلَ إيليا أمام أخآب ليشجب تساهله تجاه عبادة البعل في اسرائيل، أكد شجبه بإعلانه عن ثلاث سنوات من الجفاف (١مل ١٧:١). كان من الضروري أن يتلقى بعل، واهب المطر، ضربة في المكان الوحيد الذي يمكن أن يضعف سمعته. فكانت هذه الآية الخاصة ملائمة إلى حد بعيد لرسالة إيليا. فإذا كان موسى وإيليا قد أثبتا سلطانهما بصفتهما رسولي الله بآيات كهذه، فلماذا لم يكن بوسع يسوع أن يثبت سلطانه بطريقة مماثلة؟

أولا، ما نوع الآية التي كانت ستقنع الفريسيين؟ ربما كانت الآيات الخارجية ضرورية لإقناع المصريين الوثنيين أو إقناع ملك مرتد في اسرائيل، ولكن ما ضرورتها للقيّمين على شريعة الله ومعلميها؟ كان عليهم أن يكونوا قادرين أن يقرروا دون مساعدة الآيات ما إذا كان تعليم يسوع صادقا أم لا، وما إذا كان يتفق مع الشريعة والأنبياء.

ثانيا، هل كان نوع الآية التي فكروا فيها ستصادق رسميا بالفعل على حقيقة كلمات يسوع؟ لقد أبدى ماثيو أرنولد ملاحظة، في سياق جدل ثار في القرن التاسع عشر، مفادها أن بياناته المكتوبة ما كان من المحتمل أن تحمل إقناعا أكبر لو أنه بيّن قدرته على تحويل قلمه إلى ممسحة قلم.[1] وقد يُظن أن الفريسيين كانوا يطالبون يسوع بآية خارقة على نحو مماثل نوعا ما ولكن لا صلة لها بالموضوع أساسا. فلو أنه، مثلا، ألقى بنفسه أمام الملأ من على جناح الهيكل إلى ممر قدرون

---

[1] M. Arnold, *Literatue and Dogma* (London, 1895).p.95.

الضيق ولم يصب بأذى، لما شكل ذلك أي إثبات لتعليمه عن ملكوت اللـه، حتـى وإن أسكت المطالبين بآية.

ثالثا، ماذا بشأن الآيات التي صنعها بالفعل؟ لماذا لم تكن كافية لإقناع مستجوبيه؟ بالحقيقة نُقِلَ عن أحد الفريسيين أنه قال ليسوع، "رابي [يا معلم]، نعلم أنك قـد أتيت من الله معلما؛ لأن ليس أحد يقدر أن يعمل الآيات التي أنت تعمل، مـا لـم يكـن اللـه معه" (يوحنا ٣:٢). وأكد يسوع نفسه أنه إذا كان بقوة الله يحرر أولئك الذين كـانت معهم شياطين، فتلك علامة على أن ملكوت الله قـد أقبـل (لوقـا ١١:٢٠؛ راجـع ص ٩١). لكن بعض الذين قيلت لهم هذه الكلمـات اختـاروا أن يؤمنـوا بـأن يسـوع شفى الذين معهم شياطين لا بقوة اللـه بـل بقوة رئيس الشياطين. فلو رفضت استعادة الصحة البدنية والعقلية باعتبارها من عمل الشيطان، لما أثبتت أعمالُ الشفاء، مهما كان عددها، السلطانَ الإلهي الذي أنجزت بوساطته.

في تعليقات ب. و. شميدل P. W. Schmiedel علـى "المقـاطع الأركـان" لحيـاة يسوع من وجهة علمية، تتـاول مرقس ١٢:٨ بصفتـه أول مقطـع مـن أربـع مقـاطع تدور حول عجائب يسوع. واعتقد شميدل، إن القول "لا تعطى لهذا الجيـل آيـة" كـان قولا أصيلا على نحـو جـازم، ولمـح ضمنـا إلـى أن قصـص العجـائب فـي الأنـاجيل أضيفت فيما بعد. إضافة إلى هـذا يمكن أن يقال إنـه، علـى الرغـم مـن أن عجـائب الشفاء قامت مقام الآيات المؤيدة لملكوت الله بالنسبة للذين كـانت لهـم أعيـن تبصـر، فهي لم تجبر الناس المقاومين على الإيمان. ربما أراد الفريسيون الذيـن ذُكـروا فـي هذه الحادثة آيـة تجبرهم علـى الإيمـان، ولكـن هل يمكـن فـي أي وقـت أن يكـون الإيمان الأصيل قسريا؟ في حيـن أن العجـائب قـامت مقـام الآيـات لكنهـا لـم تُقتَرح لتكون آيات. لقد كانت جزءا لا يتجزأ من خدمة يسوع مثلما كان وعظه ـ فلـم تكـن كما قال بعضهم ، أختاما تمهر بها الوثيقة لتصدق علـى أصالتها بـل كـانت عنصـرا

متتاما" integral في نص الوثيقة عينه.[2] فلن تعطى آية لم تكن موجودة من قبل في الخدمة عينها؛ وطلب المزيد هو علامة على عدم الإيمان.

والآن ماذا بشأن آية يونان؟ قال يسوع إن يونان كان "آية لأهل نينوى". فكيف؟ برسالة الدينونة ذات الجملة الواحدة التي نادى بها. تلك كانت كل "الآية" التي حصل عليها أهل نينوى؛ وكانت كافية لتدفعهم إلى الإيمان والتوبة. يوضح شميدل أنه لا يوجد تناقض حقيقي بين "لا آية" على الإطلاق وبين "لا آية إلا آية يونان"، قياسا على معتد يغزو بلدا مجاورا من دون استفزاز. وعندما يُسأل ما التبرير الذي يستطيع تقديمه لفعلته، يجيب، "لن أعطي أي تبريرسوى التبرير الذي يعطيه سيفي" ـ وهذا بمثابة قوله، "لا تبرير". وكما كانت خدمة يونان في نينوى آية كافية، كذلك فإن خدمة يسوع في فلسطين آية كافية. فما كانت لتعطى آية أخرى.

في المجموعة Q أعقبت رَفْضَ إعطاءِ أي آية سوى آية يونان مقارنةٌ بين الناس الذين خدم يسوع بينهم والناس الذين كرز لهم يونان. لقد اشترك سامعو يسوع في الميراث الغني وهو العبادة الإلهية والإعلان الإلهي اللذَيْن استمتع بهما شعب اسرائيل عبر القرون؛ أما يونان فقد وعظ للوثنيين. إلا أن الذين سمعوا يونان أبدوا استجابة سريعة وإيجابية لرسالته؛ وكان رد الفعل من جانب أغلب سامعي يسوع مختلفا تماما. لذلك قال، "رجال نينوى سيقومون في الدين مع هذا الجيل ويدينونه لأنهم تابوا بمناداة يونان، وهوذا أعظم من يونان ههنا" (متى ١٢:٤١؛ لوقا ١١:٣٢). كان "الشئ الأعظم" هو مناداة يسوع بملكوت الله، الذي كان أكثر أهمية وأبعد مدى من يونان و وعظه. مع ذلك كان يونان ووعظه كافيين لقيادة أهل نينوى إلى التوبة؛ ولم تحدث مناداة يسوع بالملكوت مثل هذا التأثير في جيله على نطاق واسع. لذلك سينظر باستحسان يوم الدين إلى أهل نينوى بالمقارنة مع الجليليين الذين

---

* متتام : مؤلف وحدة مع غيره (قاموس المورد) [المترجم]

[2] D. S. Cairns, *The Faith That Rebels* (London, 1928), p.95.

وعظهم يسوع؛ في الواقع إنهم سيقومون مقام شهود صامتين يشهدون عليهم، هذا إن لم يكونوا شهودا ناطقين. وسواء أقال يسوع هذه الكلمات في المناسبة نفسها التي قال فيها القول المتعلق بالآية أم في مناسبة أخرى، فعلاقتها بها واضحة.

يضيف متى، بدوره، شبها جزئيا آخر بين موقف يونان وموقف يسوع: "وكما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال، هكذا يكون ابن الانسان في بطن الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال" (متى ١٢: ٤٠). يفترض عادة أن هذا القول قد أدرج لاحقا بين الأقوال الخاصة بيونان. مهما يكن من أمر فإن ت. مانسون يقترح أنه ما كان لأحد أن يزعم بعد قيامة يسوع، التي يتفق عامة المسيحيين على أنها جرت في "اليوم الثالث"، أنه بقي في القبر مدة أطول بكثير مما بقي[3]. هذا يشير إلى إطار حياتي لقول متى قبل موت يسوع وقيامته. وعلى أي حال، سيكون التشديد، على أن ثلاثة أيام وثلاث ليال تعني ٧٢ ساعة، لا أكثر ولا أقل، رأيا غير حكيم. لم تكن خبرة يونان في البحر الأبيض المتوسط آية لأهل نينوى مثلما لم تكن قيامة يسوع صباح يوم الفصح، بعدما دفن يوم الجمعة العظيمة، عرضا شهده الجمهور. لدينا في متى ١٢: ٤٠ مجرد قياس تمثيل يمكن تتبعه بين خادمين لله، أصعدهما الله "من الوهدة" (يونان ٢: ٦؛ قارن مز ١٦: ١٠، وتقتبس في إشارة إلى يسوع في أعمال ٢: ٢٧ ؛ و١٣: ٣٥).

---

[3] *The Sayings*, pp. 89-90.

الفصل الثالث والعشرون

مبصرون ولا ينظرون

قد أعطي لكم أن تعرفوا سر ملكوت الله. وأما الذين هم من خارج فبالأمثال يكون لهم كل شئ لكي يبصروا مبصرين ولاينظروا ويسمعوا سامعين ولا يفهموا لئلا يرجعوا فتغفر لهم خطاياهم (مرقس ٤:١١-١٢)

يرد هذا القول بحسب ما دوّنه مرقس بين مثل الزارع (أو مثل أنواع التربة الأربعة، كما يفضل البعض تسميتها) وتفسير ذلك المثل. فالمثل وتفسيره والقول المقتبس أعلاه جميعها تنسب إلى يسوع نفسه. لكن إذا كان القول يعني ما يبدو أنه يعنيه في الظاهر، فإن يسوع يقول لتلاميذه إن غرضه من استخدام الأمثال هو لكي يسمعه عامة الناس (الذين ليسوا من تلاميذه) ولا يفهموا ما يقول؛ ومن الصعب الاعتقاد بأن الأمر كان كذلك.

يغير متى المعنى باستخدامه "لأن" بدلاً من "لكي": "من أجل هذا أكلمهم بأمثال، لأنهم مبصرين لا يبصرون، وسامعين لا يسمعون، ولا يفهمون" (مت ١٣:١٣). أي، بما أن عامة الناس بطيئون في إدراك معنى تعليم يسوع، لذلك أعطى تعليمه حياة بوضعه في أمثال ليجعله يفهم فورا. وهكذا تكون صعوبة القول قد لطفت؛ يمكن بسهولة قبول أن:

الحقيقة المجسدة في حكاية

تدخل من الأبواب المنخفضة.[1]

وتحذو بنية القول في لوقا ٨:١٠ حذو بنيته في مرقس، مع بعض الاختصار.

---

[1] Tennyson, *In Memoriam*, xxxvi

ولكن ما المقصود من بنية القول كما جاءت في مرقس؟ هناك اقتراح مفاده أن القول بجملته أوجده مرقس. يقال إن يسوع روى المثل، وتمت صياغة التفسير في الكنيسة الباكرة، ولكن القول الصعب هو إسهام مرقس الخاص: فهو يعبر عن وجهة نظره (أو وجهة نظر المدرسة الفكرية التي ينتمي إليها) بشأن الغرض من أمثال يسوع. لكن هل يستحيل أن يمثل القول شيئا قاله يسوع نفسه؟

من الواضح إن القول اقتباس من مقطع من العهد القديم، هو إشعياء ٦:٩-١٠. لما تلقى إشعياء دعوته للخدمة النبوية، في رؤيا معروفة جيدا رآها في الهيكل "في سنة وفاة عزيا الملك"، قال له صوت الله، "اذهب وقل لهذا الشعب: 'اسمعوا سمعا، ولا تفهموا؛ وأبصروا إبصارا، ولا تعرفوا.' غلّظ قلب هذا الشعب، وثقّل أذنيه واطمس عينيه؛ لئلا يبصر بعينيه، ويسمع بأذنيه، ويفهم بقلبه، ويرجع فيشفى."

فهل ينبغي أن نجعل هذه المهمة تعني أن إشعياء أُمِرَ بأن يذهب ويطلب من الناس أن لا ينتبهوا إلى ما يسمعونه منه؟ هل كانت مهمته التي أسندت إليه هي أن يمنعهم من سماع رسالته وفهمها، فيستحيل عليهم بالتالي أن يتوبوا وينجوا من الهلاك الذي سيحل بهم إذا لم يفعلوا ذلك؟ لم يكن الأمر كذلك بالحقيقة؛ وإذا تشكل هذا الانطباع فمرد ذلك ببساطة إلى ميل اللغة العبرية إلى التعبير عن النتيجة وكأنها غاية. لقد تطوع إشعياء بأن يكون رسول الله إلى شعبه، وصدّق اللهُ كلامه، لكنه قال له في الواقع، "اذهب وبلغ رسالتي، ولكن لا تتوقع منهم أن يلتفتوا إليها. سيكون مفعول وعظك استمرارهم في رفض قبول ما تقول، إلى حد أنهم سيجعلون أنفسهم غير قادرين على قبوله." في واقع الحال، هذا ما كان سيختبره إشعياء طوال الأربعين سنة القادمة.

ما اختبره إشعياء اختبره يسوع أيضا خلال خدمته. بالرغم من كل الحماس الذي استقبلت به خدمته في طورها الباكر، كان عليه فيما بعد أن ينوح على عدم الإيمان الذي قوبل به في تلك الأماكن التي صنع فيها معظم أعماله الجبارة. وكان بإمكانه

أن يطبق على نحو مبرر كلمات إشعياء ٦:٩-١٠ على نتيجة خدمته هو (وليس على القصد منها، بالطبع). لا ريب في أن هذا النص قد صار واحدا من "شهادات" العهد القديم، الأكثر شيوعا في الكنيسة الباكرة، على موضوع المقاومة اليهودية للإنجيل. فبصرف النظر عن الإلماع إليه في سياق مثل الزارع في كل الأناجيل الإزائية، يقتبس في يوحنا ١٢:٤٠ في نهاية خدمة يسوع في أورشليم وفي أعمال الرسل ٢٨:٢٦-٢٧ في اجتماع بولس مع القادة اليهود في رومة، في حين يوجد صدى له في رومية ١١:٨ . ويمكن أن تُرَدَّ شموليته بهذا المعنى على نحو مبرر إلى تطبيق يسوع له في نطاق خبرته هو. "وكما أنه من الطبيعي جدا أن يؤخذ في إطاره الأصلي في كتاب إشعياء، يؤخذ كذلك هنا، باعتباره طريقة شرقية بلاغية لافتة للنظر لقول، ' كثيرون سيكونون قساة القلوب ويا للأسف !' "[٢]

في ختام الآية المقتبسة من أشعياء يستخدم الفعل "يشفوا". هذا الفعل نفسه وارد في النص العبري وفي الترجمة اليونانية (السبعينية). ولكن الفعل المستخدم في الموقع المناظر في مرقس ٤:١٢ هو الفعل "يغفر لهم". قد يكون هذا من وضع مرقس كصياغة جديدة بتصرف، إن لم يكن فعل "يغفر" واردا في الترجمة التأويلية الأرامية Aramaic Targum للأنبياء. إن تاريخ تدوين الترجمة التأويلية للأنبياء يأتي متأخرا كثيرا عن تاريخ كتابة إنجيل مرقس، ولكن الترجمة التأويلية المكتوبة تعتمد على تقليد شفوي سبقها: كانت الصياغة الجديدة الأرامية للأمثولة العبرية تعطى في الأصل في المجمع شفاها. فربما لا تعود كلمة "تغفر" إلى مرقس بل إلى يسوع: فقيما كان يتكلم بالآرامية، ألمع إلى المقطع المقتبس من إشعياء بصيغته الآرامية.

لم يكتف ت. و. مانسون T. W. Manson بالإقرار بهذا لكنه مضى شوطا أبعد فقدم اقتراحا إضافيا.[٣] إذا كان يسوع يفكر في النص الآرامي، فمن المناسب أن

---

[2] C. D. F. Moule, *The Birth of the New Testament*, third edition (London, 1981), p.117

[3] *The Teaching* , pp. 75-80.

نأخذ بعين الاعتبار أن الصيغة الآرامية نفسها تقوم مقام "لكي" و "من"، بينما التعبير المقابل لـ "لئلا" يمكن أن يعني أيضا "ربما". فقول يسوع في ضوء الآرامية سيكون كالتالي: "كل شئ بأمثال لأولئك الذين من خارج (أي أولئك) الذين يرون بالحقيقة لكنهم لا يدركون، ويسمعون بالحقيقة لكنهم لا يفهمون؛ فربما أمكن أن يرجعوا ويغفر لهم".

هذا دون ريب يزيل معظم الصعوبة من القول، إذ يجعله يعني أن يسوع قد منح "سر" ملكوت الله إلى التلاميذ لكنه تكلم بأمثال إلى أولئك الذين خارج دائرتهم أملا في أن يدركوا قدرا من تعليمه يكفي ليتوبوا وينالوا الغفران. لكن إذا كان هذا ما عناه القول فقد أساء مرقسُ (أو المصدرُ الذي استقى منه) فَهْمَ القول وجعله صعبا.

وإذا تذكرنا أنه يمكن التعبير عن النتيجة وكأنها قصد، بمقتضى طبيعة اللغة التي استخدمها يسوع ومعاصروه، يظل القول صعبا، ولكنه ليس صعبا بما لا يطاق. من المفيد أيضا أن نتحقق أن الكلمة المقابلة لـ"مَثَل" بالآرامية والعبرية يمكن أيضا أن تعني "أحجية".

نادى يسوع بملكوت الله وأوضح مضامين مجيئه البعيدة المدى. كان هذا "سرا" بمعنى أنه لم يكشف بهذا الشكل من قبل: فيسوع أظهره في أثناء خدمته. بعض من سمعوه كانت أذهانهم منفتحة لتعليمه؛ لقد أدركوا معناه وقدروا القصد من أمثاله. وكان هناك آخرون أذهانهم مغلقة. حتى وإن ظنوا في البداية أنه كان المعلم والقائد الذي انتظروه، فسرعان ما غيروا أفكارهم. إن أمثاله، التي كانت واضحة يسهل فهمها على أولئك الذين كانت لهم عيون تنظر وآذان تسمع، كانت في نظرهم مجرد أحجيات. لم يستطيعوا أن يستوعبوا رسالته. وهكذا لم ينتفعوا بها. فكلما أكثر من كلامه ومن أفعاله، كلما قلت استجابتهم. وهؤلاء كانوا الأغلبية. و لم يعتنق بشارة الملكوت سوى عدد قليل، نسبيا، ولكن لأجلهم كان التعريف بها يستحق العناء المبذول في سبيله.

إذا فهم القول بهذا المعنى، فوثاقة صلته بالسياق يجب أن تكون واضحة، إذ جاء مباشرة بعد مثل الزارع. لقد نثر الزارع البذار الجيد، ولكن ربع البذار فقط أعطى محصولا جيدا، بسبب التربة الفقيرة التي وقعت عليها بقية البذار ـ الدرب المتصلب بسبب الدوس، والأرض التي ملأها الشوك، والتربة التي فوق الصخر وليس لها عمق. ولكن الحصاد الذي جاء من الأرض الجيدة الخصبة بيّن أن الجهد المبذول في عملية الزرع لم يضع عبثا ـ بل على العكس تماما. فالربح الحاصل من أولئك الذين يسمعون الكلمة ويقبلونها يفوق بكثير الخسارة الناجمة عن أولئك الذين يرفضون قبولها.

الفصل الرابع والعشرون

إلى طريق أمم لا تمضوا

"إلى طريق أمم لا تمضوا ، وإلى قرية للسامريين لا تدخلوا. بل بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة" (متى ١٠:٥-٦)

ترد هذه الكلمات في ما دونه متى عن إرسال يسوع للرسل الاثني عشر اثنين اثنين في مرحلة مبكرة نوعا ما من خدمة يسوع في الجليل، لكي تتم مواصلة المناداة بملكوت الله بأسرع وأوسع مما لو قام بها هو بمفرده. كانت الرسالة التي عليهم أن يكرزوا بها نفس الرسالة التي كرز بها هو: "قد اقترب ملكوت السموات." وكانت أعمال الشفاء التي سترافق كرازتهم من نفس النوع الذي رافق كرازته هو.

يروي مرقس (٦:٧-١٣) ولوقا (٩:١-٦) أيضا إرسال الاثني عشر، ولكن بصورة أكثر اختصارا مما يرويه متى. ومتى هو البشير الوحيد الذي يورد الكلمات "المنعية" exclusive في روايته. إن تعبير "خراف بيت اسرائيل الضالة" خاص بهذا الإنجيل (مع أنه ليس مختلفا عن "خراف لا راع لها" في مرقس ٦:٣٤)؛ ويرد أيضا في روايته عن شفاء ابنة المرأة الكنعانية (مت ١٥:٢٤).

ونظرا إلى أن متى هو البشير الوحيد الذي روى هذه الكلمات، فقد يحاج بعضهم بالقول إن يسوع لم يقلها بالأصل، وإنما عزيت إليه من قبل البشير أو المصدر الذي استقى منه. لا يمكننا أن نعد متى مسؤولا عن اختراعها: ليس ثمة سبب يدعو إلى الاعتقاد بأن متى كان منحازا ضد الأمم أو أنه نظر إلى الإنجيل نظرة تخصيصية. ففي مطلع إنجيله يجيء بالأمم إذ يروي كيف جاء المجوس [الحكماء] من المشرق ليقدموا السجود إلى ملك اليهود الطفل ــ وهي المناسبة التي يشار إليها تقليديا باعتبارها "ظهور" epiphany المسيح للأمم أو "إعلانه" لهم. وفي سياق بيانه حول

تعليم يسوع يقتبس قوله، إنه قبل أن يأتي المنتهى، "سيُكرَز ببشارة الملكوت هذه في كل المسكونة شهادة لجميع الأمم" (متى ٢٤:١٤). وفي نهاية الكتاب (متى ٢٨:١٩) يروي كيف كلف االمسيح المقام رسله بمأموريتهم "اذهبوا... وتلمذوا كل الأمم" (أي، اذهبوا في طريق جميع الأمم). وفي سياق روايته يروي ثناء يسوع على قائد المئة الروماني في كفر ناحوم، الذي وجد فيه إيمانا أعظم مما وجده في أي إسرائيلي (لوقا ٧:٢-١٠)، وعن توكيده بعد ذلك على أن "كثيرين سيأتون من المشارق ومن المغارب ويتكئون مع ابراهيم واسحاق ويعقوب في ملكوت السموات"، في حين أن البعض من ذرية ابراهيم واسحق ويعقوب سيجدون أنفسهم ممنوعين من الدخول إلى الوليمة (متى ٨:٥-١٣؛ قارن لوقا ١٣:٢٨-٢٩؛ راجع ص ١٠٥). ولا بد أن هذه الكلمات الأخيرة كانت قولا صعباعلى سامعيه اليهود، مثلما يمكن أن تكون عبارة "إلى طريق أمم لا تمضوا" قولا صعبا على القراء الأمميين.

لقد استمد متى على الأرجح بعضا من المادة الخاصة بإنجيله من مصدر تميز بتوكيد يهودي ـ ربما مجموعة من أقوال يسوع حُفظت من قبل جماعة يهودية مسيحية متزمتة نوعاً ما. ويجوز كل الجواز أن عبارة "إلى طريق أمم لا تمضوا" وجدت في هذا المصدر.[1] لكن المصدر الذي نحن بصدده اختار على الأرجح أقوال يسوع التي تنسجم مع وجهة نظره الخاصة؛ وهذا ليس برهانا على عدم أصالتها.

عندما أرسل يسوع الاثني عشر، كان الوقت المتاح لهم قصيرا، وكان من الضروري التركيز على الناس الذين كانوا مهيئين على نحو خاص لرسالة الملكوت. وحتى ولو اقتصر التلاميذ على "خراف بيت اسرائيل"، لما كان لديهم وقت يكفي لكل هؤلاء. هذا ما ظُن أحيانا أنه كان القصد من كلمات يسوع : "لا

---

[1] وإلى هذا المصدر (المميز عادة بـ M) يمكن أن ينسب متى ١٨:١٧ ، والأمر الذي فيه بأن يعامل الأخ غير الخاضع كالوثني أو العشار".

تكملون مدن اسرائيل حتى يأتي ابن الانسان" (متى ١٠:٢٣)، وهي كلمات خفية المعاني ينبغي أن تدرس في فصل مستقل ـ راجع ص ١٠٩

إضافة إلى ذلك علمت الكتابات النبوية في العهد القديم، في إشعياء ٤٠–٥٥ بوضوح لا يضاهى، أنه عندما تدرك اسرائيلُ معرفةَ الله الحقيقية، سوف يكون امتيازها أن تشارك هذه المعرفة مع بقية الأمم. بعد ذلك بثلاثين سنة تقريبا وضع بولس، مع أنه كان رسول الأمم، ترتيب تقديم الإنجيل بحيث يكون "لليهودي أولا ثم لليوناني" (رومية ١:١٦) ـ "اليوناني" هنا يمثل الأممي. هذا البيان المتعلق بالسياسة التبشيرية الأولية بُني دون شك على ممارسة يسوع نفسه. ومع ذلك هناك تلميحات هنا وهناك في الأناجيل الإزائية إلى أن مصالح الأمم لم تُنس. سبق أن ذكرنا حادثة قائد المئة الروماني في كفر ناحوم؛ وسوف يحظى شفاء ابنة المرأة الكنعانية بمعالجة منفصلة ـ راجع ص ١١٢ هذه المناسبات، مع ما كانت عليه من العزل والاستثناء إبان خدمة يسوع، فقد أذنت بالبعثة إلى الأمم التي كانت ستنطلق بعد موته ببضع سنوات. يؤكد الإنجيل الرابع هذا بروايته لحادثة جرت في أورشليم أثناء الأسبوع المقدس، قبل يومين أو ثلاثة فقط من اعتقال يسوع وصلبه. بعض اليونانيين الذين كانوا يزورون المدينة اقتربوا من أحد تلاميذه وطلبوا أن يقابلوا يسوع. ولما أُخبر يسوع بطلبهم، أجاب بالحقيقة "ليس الآن، بل بعد موتي" ــ "متى ارتفعت عن الأرض، سوف أجذب إلى جميع الناس"، جميعهم بلا تفريق، أمما ويهودا على السواء (يوحنا ١٢:٢٠–٣٢). وهذا تماما ما حدث.

ينبغي فهم حظر الدخول إلى أي مدينة للسامريين بنفس الطريقة. لم يكن السامريون يهودا، لكنهم أيضاً لم يكونوا أمما. لم يشارك يسوع قومه في انحيازهم ضد السامريين (مع أن الدليل على ذلك يقدمه لوقا ويوحنا، وليس متى)، وبعد موت يسوع وقيامته قُدّمت رسالته، رسالة الخلاص، بفعالية إلى السامريين حتى قبل أن تقدم إلى الأمم (أعمال ٨:٥–٢٥).

الفصل الخامس والعشرون

لا تكملون مدن اسرائيل

"متى طردوكم في هذه المدينة فاهربوا إلى الأخرى. فإني الحق أقول لكم لا تكملون مدن إسرائيل حتى يأتي ابن الانسان" (متى ١٠:٢٣)

هذا القول، الذي يوجد في إنجيل متى فقط، يأتي بعد تكليف يسوع للرسل الاثني عشر عندما أرسلهم اثنين اثنين. وأصبح موضعَ اهتمام الجمهور في مطلع القرن العشرين عندما جعله ألبرتُ شفايتزر الشهير أساسَ تفسيره لخدمة يسوع. لقد توقع يسوع، حسب اعتقاد شفايتزر، أن يبزغ ملكوت الله بقوة ومجد في موسم الحصاد من تلك السنة، قبل إكمال الاثني عشر لمهمتهم. "قال لهم بصريح العبارة ... أنه لا يتوقع أن يراهم راجعين في الدهر الحاضر."[1] كان يسوع، بصفته ابن الانسان، سيُستعلَن بصورة خارقة، بكيفية تتضمن تغير هيئته، وتغير هيئة تابعيه أيضا، إلى حالة من الكينونة تتلاءم مع دهر القيامة. ولكن الدهر الجديد لم يأت؛ ورجع الاثنا عشر من بعثتهم. ثم حاول يسوع أن يأتي به قسرا. لقد "أمسك بعجلة العالم ليجعلها تشرع في الحركة فتدور دورتها الأخيرة التي ستجعل التاريخ العادي يصل إلى نهايته. فرفضت أن تدور فألقى يسوع بنفسه فوقها. عندئذ دارت وسحقته."[2] ومع ذلك ففي ساعة فشله أطلق قوة محررة في العالم تتجاوز الوصف.

لقد فهم الدكتور شفايتزر أن القصد من العظة على الجبل والمقاطع المتعلقة بها في الأناجيل أن تكون "علم أخلاق لفترة قصيرة" يقود حياة تلاميذ يسوع في الفاصل الزمني القصير الذي يسبق ظهور [استعلان] manifestation ابن الانسان بقوة ومجد. وعندما خاب الرجاء بذلك الظهور، بناء على تفسير الدكتور شفايتزر لما هو

---

[1] A. Schweitzer, *The Quest of the Historical Jesus* (London, 1910), p. 357.

[2] *The Quest* , p. 369.

مكتوب في الإنجيل، ماذا حدث لأخلاق الفترة القصيرة؟ منطقيا، كان لا بد أن تنسى بعدما أزيل أساسها. فعليا، بقيت أخلاق الفترة القصيرة بحكم حقها الخاص، كما هو جلي على نحو رائع في سيرة حياة الدكتور شفايتزر نفسه. لقد كانت القوة الدافعة وراء حياة الخدمة للآخرين التي عاشها في غربي أفريقيا. فما كان، بناء على فهمه، مقدمة الدراما المتوقعة "صار الدراما كاملة ... ليست خدمة يسوع مقدمة لملكوت الله: إنها **هي** ملكوت الله"[3]

إن مأمورية الاثني عشر، كما وردت في متى ١٠:٥-٢٣، ذات جزئين، ولكل منهما نظرته الخاصة. القسم الأول (الآيات ٥-١٥) يعالج الموقف المباشر، في سياق خدمة يسوع الخاصة في الجليل. القسم الثاني (الآيات ١٦-٢٣) يصور فترة لاحقة، عندما ينخرط الرسل في خدمة أوسع ــ نفس نوع الخدمة التي كانوا قد انخرطوا فيها في الواقع في الفترة التي *أعقبت* قيامة يسوع ومجئ الروح القدس. فكّر في تحذير يسوع لتلاميذه: "احذروا من الناس؛ لأنهم سيسلمونكم إلى مجالس وفي مجامعهم يجلدونكم، وتساقون أمام ولاة وملوك من أجلي، شهادة لهم وللأمم" (متى ١٠:١٧-١٨). هذه الإشارة إلى الأمم مغايرة للإشارة إليهم في الآية ٥ ، حيث يُبْعَدون من مجال الجولة التبشيرية الباكرة. لهذا التحذير المقتبس منذ لحظات نظير دقيق في مرقس ١٣:٩-١٠، حيث يتحدث عن الموقف الذي يقود إلى دمار أورشليم في عام ٧٠ م. وفي كلا الموضعين يتبع التحذير بتوكيد بأن الروح القدس سيضع الكلمات المناسبة في أفواه التلاميذ، عندما يحاكمون ويطلب منهم أن يشهدوا عن إيمانهم. فهذا الجزء الثاني من المأمورية المعطاة في متى ١٠ هو الذي يختم بالقول الوارد في الآية ٢٣: "لا تكملون مدن إسرائيل حتى يأتي ابن الانسان."

---

[3] T. W. Manson, *Studies in the Gospels and Epistles* (Manchester, 1962), pp.9-10.

فماذا يعني القول في *هذا* السياق؟ إنه يعني ببساطة، أن تبشير إسرائيل لن يكمل قبل نهاية الدهر الحاضر، التي ستكون مواكبة لمجئ ابن الانسان. المقطع النظير في مرقس يقول شيئا مشابها، غير أنه يأخذ بعين الاعتبار على نحو أكثر وضوحا تبشير الأمم وتبشير اليهود على السواء: فقبل نهاية الزمان "ينبغي أن يكرز أولا بالإنجيل في جميع الأمم" (مرقس ١٣:١٠). (هذا القول مدوّن بشئ من التوسع في متى ٢٤:١٤: "ويكرز ببشارة [إنجيل] الملكوت هذه في كل المسكونة شهادة لجميع الأمم ثم يأتي المنتهى".) ويعبر بولس، انطلاقا من وجهة نظره عن نفس الرجاء تقريبا عندما يتنبأ بخلاص "جميع اسرائيل"، تكملة لجمع كامل مجموع المؤمنين الأمميين، الذي يكون قد اكتمل عندما "يخرج من صهيون المنقذ" (رو ١١:٢٥-٢٧).

ترد الإشارة إلى الأمم في صيغة متى ١٠:٢٣ أبكر مما ترد في بقية المقاطع التي ذكرت قبل قليل: فالشهادة للأمم تذكر باختصار هنا، ولكن التأكيد كله يقع على البعثة إلى اليهود. هذه البعثة، كما نعلم من غلاطية ٢:٦-٩، حُمِلت على محمل الجد من قبل قادة الكنيسة في أورشليم في العصر الرسولي الباكر، ونفذوها فيما تملكهم إحساس بالإلحاح إلى حد ما. إن ابن الانسان كان يمكن أن يأتي في جيلهم لأنهم لم يعرفوا شيئا يخالف ذلك. ويجب ألا نسمح لفهمنا لنظرتهم أن يتأثر بنظرتنا نحن المختلفة جدا عن نظرتهم. نحن نعلم أن بعثتهم، بالشكل الذي تابعوها به، قد وصلت إلى نهايتها بسبب التمرد على رومة الذي حدث في اليهودية عام ٦٦ م، ولكن من الجهل القول إن *ذلك*، مع سقوط أورشليم الذي حدث بعد أربع سنوات، كان مجئ ابن الانسان الذي تكلم عنه يسوع.

الفصل السادس والعشرون

دعي البنين أولاً يشبعون

"دعي البنين أولاً يشبعون ، لأنه ليس حسنا أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب"
(مرقس ٧:٢٧)

كان هذا جواب يسوع على توسل امرأة كنعانية إليه لكي يشفي ابنتها التي كان بها روح نجس. كانت المرأة بحسب ما روى مرقس فينيقية سورية، وكنعانية بحسب ما روى متى، الذي دون الحادثة أيضا (متى ١٥:٢١-٢٨). وقد جرت الحادثة خلال زيارة قصيرة قام بها يسوع إلى منطقة صور وصيداء، شمال الجليل.

كان القول صعبا على المرأة في بادئ الأمر، لكنه لم يكن على درجة من الصعوبة بحيث يصدها: إذا كانت خدمة يسوع للأولاد اليهود وليس للكلاب الأمميين، فإنها مع ذلك ذكرته بأن الكلاب تأخذ عادة ما يفضل عن الأولاد، وهذا ما كانت تطلب منه أن يعطيها ويعطي ابنتها. القول صعب على القارئ العصري لأنه يبدو غير منسجم مع طبيعة يسوع. لقد عبر أحد الكتاب عن صعوبة القول بعبارة فظة فقال: "إن الاعتياد الطويل على هذه القصة والصورة التقليدية عن وداعة يسوع، حجبا الصدمة التي يسببها التعصب الذي ينم عنه هذا القول."[1]

كانت خدمة يسوع في فلسطين موجهة إلى الشعب اليهودي: في رواية متى للحادثة الحالية، يصوره وهو يقول للمرأة، "لم أُرسَل إلا لخراف بيت اسرائيل الضالة"(متى ١٥:٢٤). توجد هنا وهناك في سجل الخدمة إيحاءات بأن البركة ستتاح للأمم أيضا، نتيجة لتلك الخدمة، ولكن لا يظهر في سياق الخدمة نفسها سوى عدد قليل جدا من الشواهد على منح بركة مباشرة للأمم.

---

[1] S. G. F. Brandon, *Jesus and the Zealots* (Manchester, 1967) p. 172.

لماذا لم تستأ المرأة من تلقي جواب غير واعد كهذا ردا على طلبها؟ ثمة سبب واضح لذلك هو أنها كانت مصممة على أن تنال ما طلبته لابنتها. بالإضافة إلى ذلك، ما ضر لو أن عينه طرفت عندما تكلم، ملمحا إلى معنى لم يفصح عنه، وقال، "أنت تعلمين ما يفترض أن تكون نظرة اليهود إليكم أنتم الأمم؛ هل تظنين أنه من حقك أن تأتي وتطلبي أن تحصلي على نصيب من الشفاء الذي جئت أمنحه لليهود؟" يستطيع السجل الكتابي أن يحفظ الكلمات التي قيلت؟ لكنه لا يستطيع أن ينقل نبرة الصوت التي قيلت بها. ربما شجعت نبرةُ الصوت المرأةَ على المثابرة.

ثم ماذا نقول عن تعبير "الكلاب" ؟ هذا تعبير مهين، وهو بالتأكيد إهانة. لم يكن كلب الطرقات حيوانا يستحق الاحترام في ثقافة الشرق الأدنى آنئذ، وهذا صحيح حتى اليوم . ولكن ليس المقصود هنا كلاب الطرقات، كتلك التي كانت عند باب الرجل الغني في المثل، التي زادت من آلام لعازر باهتماماتها به. بل المقصود هو الكلاب التي تحت المائدة. هذا بحد ذاته يوحي بأنها من حيوانات البيت المدللة، التي يلعب معها الأولاد؛ وهذا ما تؤكده حقيقة أن الكلمة التي يستخدمها يسوع والمرأة كليهما للـ "كلاب"، هي كلمة تصغيرية. ولما كانت المرأة حسبما يقول مرقس يونانية (أي امرأة تتكلم اليونانية)، فإن الكلمة التصغيرية التي استخدمها مرقس ربما كانت الكلمة المستخدمة فعلاً في المحادثة.

كان لدى المرأة من حدة الذكاء ما يكفي لتستنتج من كلمات يسوع بماذا تجيبه لتحظى بتلبية مطلبها: "يا سيد وحتى الكلاب الصغيرة تحت المائدة تأكل بقايا الطعام المقدم إلى الأولاد!". لا تذكر كلمة "إيمان" في رواية مرقس للحادثة(كما تذكر في متى ١٥:٢٨)، ولكن جواب المرأة يعبر عن نوع الإيمان الذي كان يسوع يقدره كثيرا والذي لم يفشل أبدا في نوال ما طلب من يسوع. كان يسوع مدركا لوجود صلة تربطها به أعظم مما وجده في كثير من الأحيان لدى شعبه هو . شفيت ابنتها حالا، وكان الشفاء كما في مناسبة الإيمان الأممي الأخرى في الأناجيل الإزائية

(إيمان قائد المئة الذي كان خادمه مريضا ـ انظر ص ١٠٧)، ليس بنتيجة اتصال مباشر، بل عن بعد.

الفصل السابع والعشرون

من أعظم من يوحنا المعمدان ؟

"لأني أقول لكم إنه بين المولودين من النساء ليس نبي أعظم من يوحنا المعمدان؛ ولكن الأصغر في ملكوت الله أعظم منه" (لوقا ٧:٢٨؛ قارن متى ١١:١١)

دوّنَ هذا القول، مع اختلافات ضئيلة، كل من متى ولوقا في نفس السياق. صياغة متى أوسع قليلا، وكالعادة، يستخدم تعبير "ملكوت السموات" حيث يستخدم نظيره "ملكوت الله". (التعبيران مترادفان تماما؛ كان البعض آنئذ، وكذلك الآن، يستخدمون "السماء" بديلا لاسم الله.)

هذا القول ظاهري التناقض: إذا لم يتفوق انسان ما على يوحنا في العظمة، فكيف يمكن لأي انسان أن يكون أعظم منه؟ كان التناقض الظاهري عمديا دون ريب: وربما نتساءل عما إذا كان أي ممن سمعوا يسوع قد أدركوا قصده بسهولة أكثر مما ندركه نحن اليوم.

يأتي القول في كلا الإنجيلين تكملة لقصة مندوبَيْن من تلاميذ يوحنا أرسلهما إلى يسوع. وكان يوحنا آنئذ في السجن بأمر هيرودس أنتيباس، رئيس ربع الجليل وبيرية. خلال كرازة يوحنا في وادي الأردن الأدنى كان قد دعا سامعيه إلى إصلاح طرقهم استعدادا لمن سيأتي، وينفذ الدينونة مرموزا لها بالريح والنار (لوقا ٣:١٧؛ متى ٣:١٢؛ انظر ١٢٧). كانت الدينونة تتضمن فصل الجيد عن ما لا قيمة له، أي فصل الحنطة عن التبن. فالتبن الذي تحمله الريح،سوف يكنس ويلقى في النار.

وبعد معمودية يسوع، عرفه يوحنا أنه الآتي الذي تكلم عنه، ولكنه الآن ليس متأكدا كل التأكيد. كان يسوع قد بدأ خدمته الخاصة، ولكن تبين ليوحنا من التقارير

الواردة إليه في السجن أنها تحمل أقل الشبه بخدمة الدينونة التي كان يوحنا قد تنبأ بأن الآتي سينفذها. من ثم أرسل تلميذيه ليسأل يسوع، "أنت هو الآتي أم ننتظر آخر؟"

كان بإمكان يسوع أن يطلب من المرسلين أن يرجعا ويقولا ليوحنا أن جواب سؤاله هو، "نعم، أنا هو الآتي؛ وليس ثمة حاجة إلى البحث عن أحد آخر." ولكن ذلك الجواب ما كان ليقنع يوحنا كثيراً. فربما قال يوحنا، "آه ! ولكن ربما كان هو نفسه مخطئا." وبدلا من ذلك أبقى يسوع المرسلين معه لبعض الوقت، فسمعا ورأيا ما كان يحدث بالفعل في خدمته. ثم، عندما قدَّر أنهما سمعا ونظرا ما يكفي ليفهما هدفه (وهو أن يتعرفا عليه)، أمرهما بالعودة إلى يوحنا ليخبراه بكل شئ ـ كيف رَدَّ البصر إلى العمي وكيف كان العرج يمشون، والصم يسمعون، والمساكين يبشرون. وأضاف: " قولوا له أيضا طوبى لمن لا يعثر فيَّ [لمن لا يشعر أنني خذلته]" (متى ١١:٢-٦ ؛ لوقا ٧:١٩-٢٣).

لقد عرف يسوع ماذا كان يوحنا سيفعل بتقرير تلميذيه. كان يسوع يفعل الأشياء، التي تميز، بحسب ما كتبه الأنبياء، بزوغ الدهر الجديد: "حينئذ تتفتح عيون العمي وآذان الصم تتفتح؛ حينئذ يقفز الأعرج كالإيل ويترنم لسان الأخرس" (إشعياء ٣٥:٥-٦). فوق كل هذا، كان يسوع يتمم بصورة فعالة، وبالحقيقة كان يجسد، الكلمة النبوية، التي تقول: "روح الرب علي، لأنه مسحني لأبشر المساكين ..." (إشعياء ٦١:١). هذا الأمر كان يجب أن يقنع يوحنا بأن يسوع كان بالحقيقة هو الآتي: لم يكن يوحنا مخطئا بشأن يسوع ولم يكن بحاجة إلى أن يشعر أن يسوع خذله بسبب عدم قيامه بالشئ الذي قال يوحنا أن يسوع سيقوم به.

وبعد أن مضى المرسلان، بدأ يسوع بالتحدث إلى الجمع عن يوحنا بتعابير تنم عن المديح المفرط. لم يكن يوحنا نكرة إمّعة* ولا دوّارة تستخدم في دراسة الأحوال الجوية؛ لقد وقف وقفة صلبة أمام كل ريح هبت عليه وأعلن رسالة الله دون خوف أو محاباة، لفلاح أو أمير. وعندما سألهم يسوع عما إذا كانوا قد خرجوا إلى البرية ليروا انسانا لابسا ثيابا ناعمة، لابد أن يكونوا قد ضحكوا إذ تذكروا، رداء يوحنا الخشن المصنوع من وبر الإبل. قال يسوع، لن تروه هناك، لأنكم إن شئتم أن تروا الذين يلبسون ثيابا ناعمة ويأكلون طعاما أطيب من طعام يوحنا المقتصر على الجراد والعسل البري فعليكم أن تذهبوا إلى القصور الملكية ــ ولم يكن يوحنا في القصر الملكي بل في السجن الملكي. كان يوحنا نبيا، باعتقاد معظم الناس. قال يسوع، نعم، وأفضل من نبي؛ كان رسولا خاصا من الله أرسل ليعد طريق الرب، بحسب النبوة الواردة في ملاخي ٣:١؛ بالحقيقة لم يتفوق عليه أي نبي آخر. "ليس بين المولودين من النساء من هو أعظم من يوحنا." تحدث يوحنا عن الذي سيأتي باعتباره "هو أعظم مني"، ولكن ها هو الآتي، المولود هو أيضا من امرأة، يعبر عن تقديره الهام ليوحنا. فلماذا أضاف بعدئذ، "ولكن الأصغر في ملكوت الله أعظم منه"؟

أعتقد أننا نستطيع أن نتجاهل الاقتراح الذي مفاده أن عبارة "الأصغر في ملكوت الله" كانت إشارة إلى يسوع نفسه. "الأصغر في ملكوت الله" هو الشخص الأصغر من حيث الأهمية الذي ينعم ببركات الدهر الجديد دهر الخلاص الذي جاء يسوع به. كان يوحنا يشبه موسى الذي رأى أرض الموعد من قمة جبل الفسجة، ولكنه لم يدخلها؛ كان آخر بطل من أبطال العبرانيين ١١ الذين "مع أنهم شُهد لهم بالإيمان، لم ينالوا المواعيد." فالأصغرون في ملكوت الله ليسوا أعظم من يوحنا بمكانتهم

---

* إمعة: من يقر أو يؤيد ، من غير انتقاد ، كل رأي أو اقتراح يبديه زميل أو رئيس [قاموس المورد] (المترجم).

الأخلاقية أو تكريسهم أو خدمتهم، بل بامتيازهم ـ ليسوا أعظم بفضل ما فعلوه لله (في هذا المجال لم يتفوق أحد على يوحنا) بل بسبب ما يفعله الله لأجلهم. في مناسبة أخرى هنأ يسوع تلاميذه لأنهم عاشوا لينظروا وليسمعوا ما كان كثيرون من الأنبياء والملوك قد تاقوا عبثًا إلى أن يروه ويسمعوه (لوقا ١٠:٢٣-٢٤). لم يتمتع التلاميذ بهذه البركات بسبب استحقاق فائق كانوا يملكونه: لقد تمتعوا بها لأنهم عاشوا في الوقت الذي أتى فيه المسيح ودُعوا من قبله ليشاركوا حياة ملكوت الله وخدمته. إنه لامتياز عظيم أن يكون المرء البشير المنادي بالآتي والسابق له، كما كان يوحنا، ولكن حتى هذا لا يرقى إلى امتياز الذين يشتركون في خدمة الآتي، ويكونون ورثة الملكوت الذي تنبأ به يوحنا وتوقعه، بصفته آخر الأنبياء القدماء.

الفصل الثامن والعشرون

الاغتصاب والملكوت

"ومن أيام يوحنا المعمدان إلى الآن ملكوت السموات يغصب والغاصبون يختطفونه"
(مت ١١:١٢)

"كان الناموس و الأنبياء إلى يوحنا ؛ ومن ذلك الوقت يبشر بملكوت الله، وكل واحد يغتصب نفسه إليه" (لوقا ١٦:١٦)

يبدو أن متى ولوقا يقدمان لنا هنا صيغتين للقول الأصلي نفسه. وعلينا أن نحاول أن نحدد ماذا تعني كل من الصيغتين في السياق الذي وضعها فيه كل من البشيرين؛ ثم علينا بعد ذلك، إن أمكن، أن نحدد ماذا عنى القول الأصلي في سياق خدمة يسوع.

تتفق الصيغتان في هذا الأمر: كانت خدمة يوحنا المعمدان حقبة تميز نهاية دهر واقتراب دهر جديد. "جميع الأنبياء والناموس إلى يوحنا تنبأوا" (متى ١١:١٣)- ويوحنا نفسه لم يكن ينتمي إلى الدهر الجديد بل بالأحرى إلى القديم. وينظر إليه باعتباره آخر وأعظم واحد في "رابطة الأنبياء الطيبة"؛ وفي حين أنه كان البشير المنادي بالنظام الجديد فإنه لم يشارك فيه بصورة فعلية. وعندما أنهيت خدمته العامة قسرا بسجنه، كان ذلك إشارة إلى يسوع لينطلق في خدمته هو في الجليل، منادياً بأن ملكوت الله قد اقترب.

يقول يسوع، بحسب صيغة لوقا لهذه الكلمات "ومن ذلك الوقت يبشر بملكوت الله." كان يتحدث عن حقيقة واقعة، لا بد أن يكون سامعوه قد عرفوها. ولكن بأي معنى يغتصب كل واحد نفسه إليه؟

يورد لوقا صيغته ضمن سلسلة من الأقوال، أدخلت بين قصة الوكيل غير الأمين وقصة الغني ولعازر، وتتناول تلك الأقوال موضوع الشريعة بعامة. جاء في ترجمة N E B ،"كل واحد يشق طريقه إليه بالكدّ". قد يوحي هذا بشئ من قبيل باب واسع يدخله الطفيليون، مما لا يتناسب كثيرا مع أقوال أخرى قالها يسوع حول القلة النسبية لعدد الذين يدخلون الملكوت، كقوله "اجتهدوا أن تدخلوا من ا لباب الضيق؛ لأني أقول لكم إن كثيرين سيطلبون أن يدخلوا ولا يقدرون" (لوقا ١٣:٢٤؛ قارن متى ٧:١٣–١٤). ولكن ربما كان المعنى هو "كل من يدخل يجب أن يشق طريقه بالقوة"، وهذا يتضمن العمل نفسه المتصف بالعزم والنشاط الذي يتضمنه القول "اجتهدوا أن تدخلوا". بقدر ما تذهب إليه صيغة القول كما أوردها لوقا، يمكن أن يكون هذا هو المعنى بحق. لا شك أن هذا التفسير لقول يسوع هو الذي حرك مشاعر كاتب ترانيم في القرن الثامن عشر ليقول، بلغة تبدو على الأرجح أقل غرابة في آذان معاصريه مما تبدو في آذاننا نحن:

يارب، ليت كلمتك المقتدرة
توحي لكل شخص ضعيف جدير بالازدراء
بأن يندفع إلى ملكوتك،
ويقتحمه !

ولكن علينا الآن أن ننتبه إلى صيغة القول كما أوردها متى. فحيث يقول لوقا "يكرز ببشارة ملكوت الله"، يقول متى، "ملكوت السموات كان يغصب حتى الآن". لكن يوجد غموض في الصيغة الخاصة التي ورد بها الفعل باليونانية في هذه العبارة: فقد تعني "قد عُومِل حتى الآن بعنف" أو "قد عانى حتى الآن من العنف" أو قد يكون بصيغة التعدي ، يعني "قد تصرف وما زال يتصرف حتى الآن بعنف"، أو

"اجتهد وما زال يجتهد حتى الآن ليدخل قسرا". ويمكن أن يقال لصالح التفسير الأخير إن ملكوت السموات كان خلال خدمة يسوع في حالة تقدم مستمر نازلا إلى ميدان المعركة ضد قوى الشر التي كانت تستعبد أجساد الرجال والنساء ونفوسهم. وكانت الأعمالُ المقتدرةُ التي هي جزء جوهري من خدمته، "قواتِ الدهر الآتي" التي تغزو الدهر الحاضر وتوطد رأس جسر ساحلي في أرضه مقدر له أن يتوسع حتى لا يبقى شئ من النظام القديم.

وإذا فُضّلت صيغة المبني للمجهول للفعل ، فيسوع يقول إنه من وقت يوحنا المعمدان كان ملكوت السموات وما زال يُهاجَم بعنف. هذا المعنى يمكن أيضا أن يناسب الإطار الذي قيلت فيه كلمات القول. يسجل متى هذه الكلمات بين عدة أقوال قالها يسوع عن يوحنا (بما في ذلك وصفه له بأنه الأعظم بين المولودين من النساء) ويلحقها بحادثة المرسَلَين اللذين بعثهما يوحنا ليسألا يسوع. يمكن أن يقال إن سَجْن يوحنا المعمدان (وإعدامه بعد ذلك) كان مثلا على هجوم عنيف على ملكوت السموات من قبل قوى معادية له ــ سواء فكر المرء في قوى بشرية أو قوى شيطانية كانت تستخدم البشر أدوات لها. وكان سيتعرض لمزيد من الهجمات إلى أن بلغت ذروتها في اعتقال يسوع وصلبه. ويمكن أن نحمّل نفس هذا المعنى للعبارة التالية "العنفاء يأخذونه قسرا" أو "العنفاء يستولون عليه". وفي هذه الحال تقول العبارتان بالتأكيد الشئ نفسه.

لكن ليس من الضروري أن يكون "الرجال العنفاء" هم أولئك الذين يهاجمون الملكوت الذي نادى به يسوع. كان هناك رجال عنفاء آخرون في ذلك الوقت تقريبا ـ أولئك الذين صاروا فيما بعد يعرفون بحزب الغيورين. كانوا مكرسين بحماسة للتعجيل بمجئ ملكوت الله، لكن طرائقهم كانت تعاكس تماما الطرائق التي مارسها يسوع وأوصى بها. كان ملكوت الله، كما فهموه، نظاما جديدا يعيش الشعب اليهودي بمقتضاه حرا من حكم الأمم، غير خاضع لملك سوى إله آبائهم. هذا النظام الجديد

يمكن أن يتحقق فقط بـالطرد القسري للقوى الرومانيـة المحتلة مـن اليهوديـة. كـان بإمكـان كثيرين ممـن سـمعوا يسـوع أن يتذكـروا التمـرد الـذي قـام بـه أحـد هـؤلاء "العنقاء"، وهو يهوذا الجليلي، عام ٦ م . لقد سُحِق ذلك التمرد من قبل الرومان، لكن الـروح التـي أوحـت بـه ظلـت حيـة. يمكـن أن يقـال إن أصحـاب هـذه النظـرة كـانوا يحاولون أن يأخذوا ملكوت الله بالقوة، ويبـدو إجمـالا علـى الأرجـح أن يسـوع كـان يشير إليهم.

يبدو إذاً أن عبارة متى تعني أن ملكوت الله، بالرغم من النكسة التي ربما بدا أن قضية الله تعرضت لها بسبب سَجن يوحنـا المعمدان، مـا يـزال بالحقيقـة يتقـدم منـذ ذلك الحين على نحو لا يقاوم. ربما يحاول الرجال العنقاء أن يسـرعوا تقدمـه بـالقوة المسلحة، لكن ليست هذه هي الطريق التي يتحقق بها انتصاره.

لدى المقارنة بين روايتي متى ولوقـا، يبـدو أن صيغـة متـى أكـثر ملاءمـة للظـروف المباشرة التي أحاطت بخدمة يسوع، فـي حين أن صيغـة لوقـا تعمـم تطبيـق القـول، مظهرة كيف أن مبـدأه استمر فـي العمل بنجـاح مـن خـلال المنـاداة بـالإنجيل علـى نطاق عالمي ومن خلال تقدمه. لقد جرى التعريـف بـالإنجيل ومـا يـزال يعـرّف بـه، وما تزال الدعوة قائمة إلى التحلـي بالشـجاعة والتصميم علـى الدخـول إلـى ملكـوت الله.

بغض المرء لوالديه

"إن كان أحد يأتي إلي ولا يبغض أباه وأمه وزوجته وأولاده وإخوته و أخواته ، وحتى نفسه ، فلا يقدر أن يكون لي تلميذا " (لوقا ١٤:٢٦)

هذا القول صعب بأكثر من معنى: يصعب قبوله ويصعب التوفيق بينه وبين التعليم العام الذي قدمه يسوع. يبدو أن الموقف الذي ينصح به هذا القول يعاكس مزاج المرء الفطري، ويعاكس ناموس محبة القريب الذي أكده يسوع وجعله مبدأ جوهريا. فإذا كان معنى "القريب" ينبغي أن يوسَّع بحيث يشمل عدو المرء، فلا يجوز أن يُحَد بحيث يستثني أقرب الناس إليه وأعزهم عنده.

فماذا يعني هذا القول إذاً ؟ معناه أنه كما أن مُلْك المرء يمكن أن يحول بيننا وبين الملكوت (ص ١٧٨)، هكذا يمكن أن تفعل الروابط الأسرية.يجب على تابعي يسوع أن يولوا مصالح ملكوت الله اهتمامهم الأعظم، أما كل ما عداه، حتى إذا كان الروابط الأسرية، فيحتل المكان الثاني من حيث الاهتمام. إننا نميل إلى أن نوافق على أن ثمة شيئا من الخسة في موقف من يفضل جمع المال على قضايا الحياة الأكثر نبلا وإنسانية. ولكن تقديم المرء العناية الملائمة لأسرته هي إحدى هذه القضايا الأكثر نبلا وإنسانية. لقد انتقد يسوع نفسه أولئك اللاهوتيين الذين جادلوا بالقول إن الناس الذين كانوا قد نذروا أن يعطوا الله مبلغا من المال، اكتشفوا فيما بعد أنه يمكن أن يستخدم لمساعدة والديهم المحتاجين، ليسوا أحرارا في أن يحولوا المال من الأغراض الدينية التي كان قد نذر لها لينفق في تلبية حاجة والديهم. كان هذا، حسب قول يسوع، تعديا على الوصية التي تأمر بإكرام المرء لأبيه وأمه (مرقس ٧:٩-١٣).

ومع ذلك ، يمكن أن يكون الرجل أو المرأة مقيدين بالروابط العائلية بحيث لا يتبقى لديه، أو لديها، وقت أو اهتمام بأمور أخرى حتى وإن كانت ذات أهمية أعظم، وليس ثمة أمر أعظم من ملكوت الله. كان الزوج والأب عادة رأس الإسرة وربما كان ينظر إلى أسرته كامتداد لشخصيته هو إلى حد أن محبته لأسرته لم تختلف كثيرا عن شكل موسع لمحبة الذات. استنكر يسوع بشدة موقفا كهذا يتطلع إلى الداخل واستخدم أقوى الكلمات ليعبر عن استنكاره له. فإذا كان "بغض المرء" لأقربائه يبدو فكرة تصيب بالصدمة، فقد قصد بها أن تكون كذلك، لكي تصيب السامعين بالصدمة بحيث يشعرون بمطالب ملكوت الله الملحة. نحن نعلم أن البغض في اللغة الكتابية يعني محبة أقل. فعلى سبيل المثال عندما وضعت في شريعة العهد القديم تشريعات لرجل متزوج من امرأتين "واحدة محبوبة والأخرى مكروهة" (تث ٢١:١٥)، فليس من الضروري الافتراض بأنه حقا يبغض الزوجة الأخيرة؛ إذ كل ما يقصد هو أنه يحبها اقل مما يحب الأخرى وينبغي أن يُمنَع من أن يظهر محاباة لجهة ابن الأخرى عندما يقسم ملكه بين ورثته. وتشير ترجمة RSV إلى أنه لا يقصد الكره الإيجابي عند الحديث عن إحدى الزوجتين بصفتها "محبوبة" وعن الأخرى بصفتها "مكروهة"، ولكن الكلمة العبرية المستخدمة هي الكلمة التي تعني عادة "مبغضة".

أما أن البغض في قول يسوع هذا يعني محبة أقل فظاهر في قول يسوع الموازي الوارد في متى ١٠:٣٧: "من أحب أبا أو أما أكثر مني فلا يستحقني؛ ومن أحب ابنا أوابنة أكثر مني فلا يستحقني." هذه الكلمات في إنجيل متى تتبع بالقول المتعلق بحمل الصليب واتباع يسوع (راجع ص ١٥٥): المعنى الضمني لهذا التسلسل هو أن إعطاء المرء لأسرته مكانة بعد مكانة ملكوت الله هي طريقة لحمل الصليب.

ربما استطعنا أن نفهم بسهولة أكثر تصرف أولئك الذين اختاروا حياة العزوبة ليكرسوا أنفسهم بحرية أكثر لخدمة الله، أولئك الذين، كما قال يسوع في مناسبة أخرى، "خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات" (متى ١٩:١٢؛ راجع ص ٦٣). ولكن القول الذي نحن معنيون به حاليا يشير إلى المتزوجين الذين لديهم أولاد، ولا مجال للتحدث عن الوالدين المنفصلين. أما إنه كان بين تابعي يسوع بعض ممن كانوا عائلين لوالديهم كهؤلاء وتركوهم ليتبعوا يسوع فأمر واضح من كلمات يسوع: "ليس أحد ترك بيتا أو إخوة أوأخوات أو أبا أو أما أوامرأة أو أولادا أو حقولا، لأجلي ولأجل الإنجيل، إلا ويأخذ مئة ضعف الآن في هذا الزمان، ... وفي الدهر الآتي الحياة الأبدية" (مرقس ١٠:٢٩-٣٠). ألا يحتمل أن يشمل هذا التخلي عن المسؤوليات الطبيعية ؟ من كان يعتني بأسرة بطرس، مثلا، عندما اختار طريق التلمذة وتبع يسوع ؟ لسنا نعلم. من الواضح أن زوجته بقيت على قيد الحياة بعد تلك الخبرة، وبقيت عواطفها أيضا، لأنه بعد خمس وعشرين سنة اعتاد أن يصحبها في رحلاته المرسلية (١كو ٩:٥).

وفي مرحلة تالية من العهد الجديد، عندما أُقر بالحياة الأسرية باعتبارها النموذج الطبيعي للمسيحيين، جرى التأكيد على أنه "إن كان أحد لا يعتني بخاصته ولاسيما أهل بيته، فقد أنكر الإيمان وهو شر من غير المؤمن" (١تي ٥:٨). ليس ثمة دليل في الإنجيل على أن هذا يتعارض مع تعليم يسوع. لكن هذا لم يحتج إلى تأكيد منه: من الطبيعي أن يحتاط الرجال والنساء لتأمين حاجات أقرب وأعز الناس إليهم. يشدد يسوع بالأحرى على ضرورة اعتبار ملكوت الله أقرب وأعز حتى من أولئك. ونظرا إلى المقاومة الطبيعية من جانب سامعي يسوع لقبول هذه الضرورة بجدية واقعية، أصر عليها مستخدما الأسلوب الذي كان متمكنا منه وهو الأكثر لفتا للانتباه والأكثر تحديا.

الفصل الثلاثون

إلقاء نار على الأرض

"جئت لألقي نارا على الأرض ؛ وكم أتمنى أن تكون اشتعلت" (لوقا ١٢:٤٩ ت ع ج)

تكمن صعوبة هذا القول في صعوبة فهمه، وهذا يعود بصورة رئيسة إلى أن صلته بالسياق الذي ورد فيه غير واضحة. قد يُظن أن من المرجح أن يكون مرتبطا نوعا ما بالقول الذي يليه مباشرة (راجع ص ١٢٩)، والمتعلق بالمعمودية التي كان على يسوع أن يعتمد بها قبل أن تُزال القيود الحالية، ولكن لا يمكن أن يعد هذا أمرا مسلما به: فيجب أولا أن يدرس كل من القولين على حدة.

من الطبيعي أن تربط "النار" في هذا القول بـ "النار" المذكورة في وصف يوحنا المعمدان للعمل الذي سينجزه ذاك الذي كان يوحنا يعد الطريق له: "يأتي من هو أقوى مني الذي لست بمستحق أن أحل سيور حذائه؛ هو سيعمدكم بالروح القدس ونار" (لوقا ٣:١٦). النار هنا مرتبطة ارتباطا وثيقا بالروح القدس. وترد في إنجيل مرقس ١:٨ صيغة مختصرة لكلمات يوحنا؛ إلا أنه لا يرد ذكر للنار: "هو سيعمدكم بالروح القدس". أما متى فيضيف، كلوقا، كلمتي "و نار" (متى ٣:١١)، ويمضي متى ولوقا كلاهما فيرويان المزيد من كلمات يوحنا عن الآتي: "ويأخذ مذراته بيده وينقي بيدره فيجمع القمح في مخزنه، أما التبن فيحرقه بنار لا تنطفئ" (متى٣:١٢؛ لوقا ٣:١٧). يجدر بنا أن نتذكر أن كلمة واحدة في اليونانية، وهي لغة الأناجيل، تستخدم مقابل "روح" و"نسمة" و"ريح"؛ وعلى غرار ذلك فإن كلمة واحدة في اللغة التي تكلمها يوحنا ويسوع تقوم مقام المفاهيم الثلاثة جميعها. الصورة التي يرسمها يوحنا هي صورة الحَبّ والتبن مكومين على البيدر بعد الحصاد [والدراس]. وخليط الحب والتبن يذرى في الريح بمذراة؛ فالتبن، وهو الأخف، تحمله الريح بعيدا؛ وأما

الحَب، وهو الأثقل، فيسقط على الأرض، حيث يجمع ويخزن في المخزن. ثم يكنس التبن ويحرق. الريح والنار كلاهما رمز إلى الروح القدس؛ وهما يصفان العمل الذي سوف يعمله الآتي بقوة الروح القدس، وهو فصل أبناء الملكوت الحقيقيين عن أبناء الملكوت الاسميين. (التبن مجاز قديم في سياق كهذا: فقد ورد في مزمور ١:٤، "الأشرار ... كالعصافة التي تذريها الريح".)

لم تكن خدمةُ يسوع مطابقة تماما لخدمةَ الدينونة التي تصورها يوحنا، بل كانت بالتأكيد خدمةَ النخل والفصل. إلا أن يسوع تطلع على نحو واضح إلى شئ أبعد عندما قال، "جئت لألقي نارا على الأرض، وكم أتمنى أن تكون اشتعلت!"

ثمة اقتراح يربط هذه الكلمات بالقول الصعب الذي يرد بعدها بقليل في لوقا ١٢:٥١-٥٣ حيث يقول يسوع إنه لم يأت ليلقي سلاما على الأرض بل انقساما (راجع ص ١٥٥). ويلزمنا أن ندرس هذا القول الصعب أيضا، لكن الصعوبة، في فهم كلماته بشأن إضرام النار على الأرض بمعنى الانقسام والنزاع اللذين توقع حدوثهما نتيجةَ لخدمته، تكمن في رغبته الجادة في "أن تكون النار اشتعلت". لقد تنبأ بالحقيقة بحدوث الانقسام والنزاع نتيجة لخدمته، لكنه لم يكن يرغب في حدوثهما. وإنه لأكثر إقناعا أن تفهم هذه الكلمات كتعبير عن توق إلى سكب الروح بقوة لم يكن لها مثيل من قبل.

لقد اختبر يسوع نفسه انسكاب الروح عليه شخصيا لدى معموديته في الأردن. واستخدمت صورة النار لوصف هذا الانسكاب في رواية تصويرية وصلت إلينا من الكاتب المسيحي جوستن مارتر الذي عاش في القرن الثاني: "عندما نزل يسوع إلى الماء اشتعلت نار في الأردن."[1] ويظهر المجاز نفسه في قول يعزى إلى يسوع في *إنجيل توما* وأماكن أخرى: "من كان بقربي كان بقرب النار، ومن كان بعيدا عني

---

[1] Justin, *Dialogue with Trypho* 88.3.

كان بعيدا عن الملكوت."[٢] كانت النار موجودة في خدمة يسوع، لكن النار لم تكن قد اشتعلت في الأرض. وذات يوم كانت الأرض ستشتعل بالنار جديا بنزول الروح القدس في يوم الخمسين؛ ولكن كان على يسوع أن يموت قبل أن يتم هذا الاكتمال، وفي حين أن موته لا يذكر صراحة في هذه الكلمات التي تتحدث عن النار، فمن المرجح أنه يُفهم ضمنا باعتباره توقعا كامنا تحت سطح تلك الكلمات. وهذا سبب حدة التعليق التي يمكن تمييزها.

---

[2] *Gospel of Thomas* , Saying 82; also in Origen, *Homilies on Jeremiah* 20.3.

الفصل الحادي والثلاثون

وما أشد ضيقي حتى تتم!

"*ولي معمودية أعتمد بها ؛ وما أشد ضيقي حتى تتم !*" (لوقا ١٢:٥٠ ، ترجمة دار المشرق)

يوجد هذا القول في إنجيل لوقا فقط، ولا يوجد في سياقه المباشر ما يلقي الضوء على معناه. ويجب أن يقرأ في سياق أوسع وهو مجمل تعليم يسوع وخدمته. يشبه هذا القول من حيث الشكل القول الذي سبقه، حيث قال يسوع إنه كان يتمنى لو اشتعلت النار التي جاء ليضرمها، ولكنه من حيث المعنى يشترك مع تلك الأقوال التي ترى أن ملكوت الله خاضع لقيود وقتية إلى أن يحدث ما يطلقه بكل قوته. هنا نرى يسوع نفسه خاضعا لقيد وقتي. وهو ما تفيده صيغة هذا القول كما جاء في NEB : "لي معمودية أعتمد بها وما أشد القيد الذي يكبلني حتى تنتهي المحنة!"

يثير هذا القول سؤالين:

١. ماذا كانت المعمودية التي لزم أن يعتمد بها يسوع ؟

٢. ماذا كان القيد الذي يكبله وكان عليه أن يعمل تحته إلى أن تتم معموديته؟

١. لا يوجد سوى بعض الشك في أنه عنى بالمعمودية موته الوشيك. تؤكد هذا مناسبة أخرى استخدم فيها لغة مشابهة. ففي رحلة يسوع الأخيرة إلى أورشليم، كما يروي لنا مرقس، اقترب يعقوب ويوحنا، ابنا زبدي، من يسوع وطلبا منه أن يعطيهما مكانَيْ الشرف عندما يوطد ملكه ـ فيجلس أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره. لقد نَمَّ طلبهما عن سوء فهم، للملكوت الذي تحدث عنه يسوع، يكاد يبعث على الضحك لغرابته، لكنه بدأ يعيدهما إلى صوابهما بتوجيه سؤال إليهما بدا في أول الأمر غير متعلق كثيرا بما قالاه. أجاب يسوع: "قولا لي هل تستطيعان أن

تشربا الكأس التي أشربها أنا، وأن تصطبغا بالصبغة التي أصطبغ بها أنا[تعتمدا بالمعمودية التي أعتمد بها أنا] (مرقس ١٠:٣٨)، ولما أجابا ، "تستطيع"، قال لهما، "تستطيعان ـ ولكن حتى إذا استطعتما فلن يضمن ذلك لكما المكانين الرئيسين اللذين تطلبانهما." عندما سألهما يسوع، "أتستطيعان أن تشربا الكأس التي أشربها أنا وأن تصطبغا بالصبغة التي أصطبغ بها أنا[المعمودية التي أعتمد بها أنا] ؟ " (مرقس ١٠:٣٨)، إنما عنى ببساطة، "أتستطيعان أن تشاركا في آلامي وموتي؟ " إنهما بالحقيقة لم يشاركا في آلامه وموته ــ وذلك على الأقل عندما صلب. لو جرت الأمور بخلاف ما جرت عليه، ولو لم يُعلق اللصان على الصليبيْن اللذيْن على جانبي يسوع، بل عُلّق يعقوب ويوحنا، ألا يكونان قد ضمنا شغْل مكاني الشرف ــ واحدا عن يمينه و واحدا عن يساره؟ ولو حدث ذلك لتذكر المسيحيون من بعدهما أن هذا المجد الرفيع اقتصر عليهما.

إلا أن ما يعنينا الآن هو أن نلاحظ أن يسوع تكلم عندئذ عن آلامه الوشيكة وموته باعتبارهما "معموديته"، وهذا يدعم الاقتراح القائل بأن المعمودية التي كان يتطلع إليها بقوله الذي ندرسه الآن تحمل المعنى نفسه. إذا كان الأمر كذلك، يُطرَح سؤال آخر: لماذا تكلم عن آلامه وموته باعتبارهما معمودية؟ لقد سبق ليسوع أن اعتمد مرة في بداية خدمته، وتمت تلك المعمودية في الأردن. هل كان في تلك المعمودية، التي تمت على يد يوحنا، مَعْلم يساعدنا لنفهم هذا الاستعمال المجازي؟

يقال إن معمودية يوحنا كانت "معمودية التوبة لمغفرة الخطايا" (مرقس ١:٤). هذا يعني أن الناس الذين تبكتوا على خطاياهم من جرى وعظ يوحنا دُعوا إلى تقديم برهان علني على توبتهم بقبول الاعتماد على يديه. وهكذا تكون خطاياهم قد غفرت وأصبحوا شعبا مستعدا للرب" (لوقا ١:١٧)، مستعدا للحظة التي يبدأ فيها بتنفيذ دينونته بوساطة شخص وصفه يوحنا بأنه "الآتي". عرَف يسوع خدمة يوحنا أنها عمل الله، وقرن نفسه بها علنا إذ طلب من يوحنا أن يعمده. حقا لم يكن هناك

في أي وقت من الأوقات ما ينم عن أنــه كـان لـدى يسـوع أي درايـة بالخطيـة، وأي إحساس بالتوبة، وأي حاجة إلى الغفران. ومع ذلك لم يكن يسوع أبدا غير راغب في الاقتران بالخطاة: بالحقيقة لقد أسقطه بعض الأشخاص الأتقياء من حسابهم باعتبـاره "صديق الخطاة" (وهذا يعني ضمنا، أنه ليس أفضل من الذين كان يعاشرهم ـ راجع ص٢٨). وهكذا فإن اقترانه بالخطاة التـائبين فـي قبول معموديـة يوحنـا ينسـجم مـع ممارسته فيما بعد.

ومع ذلك، لم يكن من السهل تقبل فكرة اعتماد يسوع بـ "معموديـة التوبـة لغفران الخطايا". يروي متى كيف احتج يوحنا نفسه على طلب يسوع، قائلا، "أنـا محتـاج أن أعتمد منك وأنت تأتي إلـي؟" إن صياغـة NEB لرد يسوع علـى احتجـاج يوحنـا موفقة جدا: "اسمح الآن؛ فنحن نحسن صنعا إذ أننا بهذه الطريقة نعمل وفق كل مـا يطلبه الله" (مت ٣:١٥). هذه الكلمات مدونة في إنجيل متى فقط، ولكنها تعبر تماما عن الروح التي بها سعى يسوع إلى معمودية يوحنا و قبلها. ما يثبت هذا الأمـر هو خبرته عندما صعد مـن النهر: رأى السموات منشقة إلـى اثنتين وروح الله نـازلا عليه مثل حمامة، بينما خاطبـه صـوت من السموات: "أنـت ابنـي الحبيب الـذي بـه سررت" (مرقس ١:١٠-١١). وكأن الله كـان يقول لـه، "لقد كرست نفسك لتعمل إرادتي؟ وبهذا أنت تعمل وفق كـل مـا أطلبـه؟ إذاً دعنـي أقلْ لـك هذا: أنـت ابنـي، مختاري، الذي به سرت نفسي."

إن فترة الامتحان في البرية، التي أعقبت معموديته مباشرة، عززت قوة التزامـه بعمل إرادة الله دون أن ينحرف عنها.

لكن ما علاقة هذا بالمعمودية التي كـان يتطلـع إليهـا؟ كـان يوسـعه دون شـك أن يشير إلى موته، وإلى الحوادث التي كانت ستؤدي إليه، باعتبارهـا معموديتـه بمعنـى أنها بحر من المشاكل التي كانت تهدد بأن تغمره. ولكن فـي ضـوء المعموديـة التـي دشنت خدمته العامة، نستطيع أن نرى في لغته أكثر من ذلك. لقـد أعطـت معموديتـه

في الأردن تعبيرا مرئيا لتصميمه على أن يتمم إرادة الله، وتضمنت على الأقل دمجا رمزيا لنفسه بالخطاة. فالخدمة التي دشنها هكذا بينت تكريسه الثابت لإرادة الله وتميزت بصداقة غير متكلفة مع الخطاة. وموته، الذي توج تلك الخدمة، أتم تبنيه لإرادة الله باعتبارها قاعدة حياته، وتضمن اندماجاً شخصيا وحقيقيا مع الخطاة، من جانب من كان هو نفسه بلا خطية. وبهذه الطريقة جسد صورة العهد القديم عن عبد الرب المتألم والمطيع الذي "حمل خطية كثيرين، وشفع في المذنبين" (إشعياء ٥٣:١٢).

فليس عبثا أن واحدا من وثائق العهد الجديد الأخيرة يعبر عن الإيمان المسيحي بهذه الكلمات: "هذا هو الذي أتى بماء و دم، يسوع المسيح ــ لا بالماء فقط بل بالماء والدم" (١يوحنا ٥:٦) ـ أو، كما يمكننا أن نقول، لا بمعمودية الماء فقط، بل بمعمودية الماء وبمعمودية الموت. إن معمودية الماء التي دشنت خدمته، كانت توقعا خافتا لمعمودية الموت، التي توجت خدمته.

٢. إذا، ماذا كان التقييد الذي كان يعاني منه إلى أن اعتمد بهذه المعمودية الوشيكة؟ جواب هذا الجزء من سؤالنا وثيق الصلة بقول آخر من أقوال يسوع سندرسه فيما بعد (ص ١٥٨) ــ قوله بشأن مجئ ملكوت الله بقوة (مرقس ٩:١). وفي حين أن يسوع كان مزودا بسعةٍ بروح الله للقيام بالخدمة المسيانية التي بدأها عندما اعتمد في نهر الأردن واستمرت حتى موته، فإن موته وقيامته أطلقا قوة لم يكن لها نظير في السابق. إن التقييد الذي كان يدركه خلال خدمته كان مرده إلى حقيقة، عبر عنها إنجيل يوحنا، وهي، "أن الروح لم يكن قد أعطي بعد، لأن يسوع لم يكن قد مجد بعد" (يوحنا ٧:٣٩).

تكلمنا عن خدمة يسوع المسيانية على اعتبار أنها امتدت من معموديته في الأردن حتى موته على الصليب، ولكننا نكون أكثر دقة إذا تكلمنا عن تلك الخدمة باعتبارها الطور الأول من خدمته. فخدمته لم تنته بموته؛ لقد استأنفها عندما قام،

وهو مستمر فيها حتى الآن، لا بحضور مرئي على الأرض بل بروحه في أتباعه. ولا ينبغي أن نحسب أن الرسل أخذوا على عاتقهم المهمة التي تركها يسوع غير مكملة لدى موته؛ يجب أن نعتبر بالأحرى أنهم دعوا إلى المشاركة في خدمته التي ما زالت تتقدم باستمرار. هذه هي نظرة كُتّاب العهد الجديد. يفتتح لوقا، على سبيل المثال، كتابه الثاني الذي أرّخ فيه بداءات المسيحية ــ وهو الكتاب الذي نسميه أعمال الرسل مشيرا إلى الكتاب الأول باعتباره قصة "جميع ما ابتدأ يسوع يفعله ويعلم به إلى اليوم الذي ارتفع فيه" (أعمال ١:١-٢).المعنى المتضمَّن هو أن الكتاب الجديد سوف يتحدث عن ما *استمر* يسوع يفعله ويعلم به *منذ* يوم ارتفاعه. وبنفس المعنى تحدث بولس، وهو يعود بذاكرته إلى المرحلة الرئيسة من سيرته الرسولية، عن الإنجازات الهامة بالذات باعتبارها "ما فعله المسيح بواسطتي لأجل إطاعة الأمم، بالقول والفعل، بقوة آيات وعجائب، بقوة الروح القدس" (رو ١٥:١٨-١٩).

إن مقدار الإنجاز المسيحي، الذي تحقق خلال السنوات القليلة التي أعقبت موت المسيح وقيامته، فاق بما لا يقاس مقدار إنجازه الشخصي إبان خدمته الفلسطينية. لقد أزيل التقييد بانسكاب الروح الذي تم كنتيجة لعمل المسيح الخلاصي. ولكن لولا الخدمة الفلسطينية، التي تُوِّجت بموته وقيامته، لَما كان لهذه النتيجة أن تتم، فالإنجاز الذي أعقب انسكاب الروح كان مع ذلك إنجاز المسيح الشخصي. لقد اعتمد بمعمودية موته، والآن راح يعمل حرا من أي تقييد.

الفصل الثاني والثلاثون

ليس سلاما بل سيفا

"لا تظنوا أني جئت لألقي سلاما على الأرض؛ ما جئت لألقي سلاما بل سيفا "
(متى ١٠:٣٤)

هذا قول صعب على كل الذين يتذكرون رسالة الملائكة ليلة ميلاد يسوع : "المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام بين البشر، الذين يرضى عنهم الله" (كما تعني الرسالة على ما يبدو). حقا، إن رسالة الملائكة ترد في إنجيل لوقا فقط (١٤:٢) ويرد القول الصعب، بالصيغة التي اقتبسناها، في إنجيل متى. لكن لوقا سجل القول الصعب نفسه، فيما عدا أنه أبدل بـ "السيف" المجازي تعبير "الانقسام" اللامجازي (لوقا ٥١:١٢). إذاً، كلا البشيرين يروي عن يسوع قوله، "لأني جئت لأفرق الانسان عن أبيه، والابنة عن أمها، والكنة عن حماتها" (متى ٣٥:١٠؛ لوقا ٥٣:١٢)، بينما يختم متى القول باقتباس من العهد القديم: "وأعداء الانسان أهل بيته" (ميخا ٦:٧).

ثمة شئ أكيد: يسوع لم يؤيد النزاع. لقد علّم تابعيه ألا يقاوموا وألا ينتقموا إذا ما هوجموا أو أسيئت معاملتهم. قال يسوع: "طوبى لصانعي السلام، لأنهم أبناء الله يدعون" (متى ٩:٥)، وعنى بذلك أن الله هو إله السلام، فالذين يجدون في طلب السلام و يسعون إليه، يعكسون طبيعة الله. عندما قام يسوع بزيارته الأخيرة إلى أورشليم، كانت الرسالة التي حملها إليها تدور حول "الأمور التي تعزز السلام"، وبكى لأن المدينة رفضت رسالته وعقدت العزم على السير في الطريق المؤدي إلى الدمار (لو ٤١:١٩-٤٤).وبعد رحيله نادى تابعوه برسالة باسمه دعيت "إنجيل السلام" (أف ١٥:٦) او "كلمة المصالحة" (٢ كو ١٩:٥). و دعيت هكذا لا لمجرد

كونها مادة تعليمية بل لكونها خبرة حقيقية. فالأفراد والجماعات الذين كانوا قبلا بعيدين بعضهم عن بعض وجدوا أنفسهم مصالحين بسبب تكريسهم المشترك للمسيح. ولا بد أنهم اختبروا شيئا من هذا القبيل حتى في وقت مبكر، في نطاق الخدمة الجليلية: إذا كان سمعان الغيور ومتى العشار قد استطاعا أن يعيشا معا كرسولين، فلا بد أن باقي أفراد الجماعة قد نظروا إلى هذا الأمر على أنه معجزة حققتها النعمة.

لكن حينما تكلم يسوع عن التوتر والنزاع ضمن الأسرة، تكلم على الأرجح بناء على خبرة شخصية. هناك تلميحات في قصة الإنجيل إلى أن بعض أفراد أسرته لم يتعاطفوا مع خدمته: فالذين حاولوا في إحدى المناسبات أن يمسكوه بالقوة لأن الناس كانوا يقولون، "إنه مختل"، إنما كانوا "أقرباءه" [و لكن الأصح، بحسب NEB "أسرته"] (مرقس ٣:٢١). يخبرنا يوحنا في ٧:٥ ، "لأن إخوته أيضا لم يؤمنوا به". (و إذا قيل، ما دام الأمر كذلك فلماذا وصلوا إلى مراكز قيادية في الكنيسة الباكرة إلى جانب الرسل، نجد الجواب دون شك في البيان الوارد في ١كو ١٥:٧ ، وهو أن يسوع الذي قام من الأموات، ظهر لأخيه يعقوب).

إذاً، عندما قال يسوع أنه لم يأت لـ "يلقي سلاما بل سيفا"، عنى بذلك أن هذه ستكون نتيجة مجيئه، لا هدفه. لقد تحققت كلماته في حياة الكنيسة الباكرة، وأثبتت صحتها لاحقا في تاريخ الإرساليات المسيحية. فحيثما قبل فردٌ أو فردان من عائلة أو من مجموعة الإيمان المسيحي، سبب هذا بصورة متكررة إثارة المقاومة من بقية الأفراد. إن بولس، الذي يبدو أنه اختبر مثل هذه المقاومة في نطاق أسرته نتيجة لاهتدائه، يتخذ الحيطة لمواقف مشابهة في حياة المهتدين على يديه. لقد عرف أن التوتر يمكن أن ينشأ حينما يصبح أحد الزوجين مسيحيا في حين ظل الآخر وثنيا. فإذا كان الشريك الوثني [الزوج أو الزوجة] سعيدا بالاستمرار في العيش مع الشريك المسيحي كان ذلك أمرا حسنا؛ وربما أصبحت الأسرة كلها مسيحية قبل مضي وقت

طويل. لكن إذا أصر الشريك الوثني على الافتراق وإنهاء الزواج، فينبغي على الشريك المسيحي ألا يلجأ إلى القوة أو إلى إجراء قانوني، لأن "الله دعانا في السلام" (١كو ٧:١٢-١٦) ـ راجع ص ٦١

كان يسوع إذاً ينبه تابعيه، بهذه الكلمات، إلى أن ولاءهم له قد يسبب النزاع في البيت، بل و الطرد من دائرة الأسرة. وكان محقًا إذ أنذرهم بذلك، فلن يستطيعوا أن يقولوا، "لم نتوقع قط أنه سيكون لزاما علينا أن ندفع هذا الثمن لاتباعنا له!"

الفصل الثالث والثلاثون

سقوط الشيطان

"رأيت الشيطان ساقطا مثل البرق من السماء" (لوقا ١٠:١٨)

عندما نفكر في سقوط الشيطان، نميل إلى أن نتأثر بجون ملتون أكثر مما نتأثر بالكتاب المقدس. يصف ملتون Milton في *الفردوس المفقود* كيف طُرِح الشيطان وملائكته من السماء في الماضي السحيق قبل خلق الجنس البشري، فسقطوا إلى جهنم.

ذلك القوة الجبارة [= الشيطان]
اندفع من السماء الأثيرية مشتعلا ورأسه إلى الأسفل
هابطا بدمار واشتعال بشعين
إلى جهنم التي لا قرار لها، ليسكن هناك
في سلاسل صلبة ونار جزائية،
فهو الذي جرؤ على دعوة الكلي القدرة إلى القتال.

إلا أنه، سيكون من الصعب علينا أن نجد مرجعا كتابيا لهذه الصورة. من يقرأ الكتاب المقدس في ترجمته القياسية AV قد يفكر في إشعياء ١٤:١٢، "كيف سقطت من السماء، يا لوسيفر[حامل النور]، يا ابن الصبح!". بالحقيقة إن الصورة الشعرية التي وُصِف بها سقوط لوسيفر قد استعيرت من قبل المفهوم التقليدي لسقوط الشيطان. لكن لوسيفر، ابن الصبح، هو "الزُهَرة، بنت الصبح". النبي يعلن سقوط ملك بابل، الذي شغل مكانا بهذا السمو في سماء السلطة الامبرطورية بحيث أن

الإطاحة به يمكن أن تقارن بسقوط الزهرة من السماء. إن "الشيطان" (العدو) في العهد القديم، هو المشتكي الرئيسي في المحكمة السماوية، وعندما يقوم بهذا الدور، يقوم به في حضرة الله وملائكته (أيوب ١:٦-٢:٧؛ زكريا ٣:١-٥). راجع ص ١٥٢ لهذا، فإن يسوع عندما تحدث عن رؤيته الشيطان ساقطا من السماء لم يكن يفكر في حدث من الماضي البعيد، بل في مفعول خدمته في ذلك الوقت. كان قد أرسل سبعين من تلاميذه لينشروا الإعلان الذي مفاده أن ملكوت الله قد اقترب، وها هم قد رجعوا من إرساليتهم بإثارة عظيمة. قالوا "يا للعجب! حتى الشياطين تخضع لنا باسمك" أجابهم يسوع، "شاهدت كيف سقط الشيطان، كالبرق، من السماء" (NEB). هذا يدل ضمنا على أنه كان يترقب هذا الأمر عندما حدث فجأة كوميض البرق؛ لقد هبط الشيطان عموديا ـ ولا يقال أهبَطَ إلى الأرض أم إلى الهاوية.

ربما كان يسوع يصف رؤيا فعلية اختبرها خلال بعثة السبعين ــ لا تختلف عن الرؤيا التي شاهدها يوحنا في جزيرة بطمس، إذ يقول، وقامت حرب في السماء "وطرح التنين العظيم، الحية القديمة المدعو إبليس والشيطان، الذي يضل العالم كله" (رؤ ١٢:٩). وعندما وجد رسل يسوع أن الشياطين ــ وهي قوى خبيثة كانت تستعبد الرجال والنساء ـ تطيعهم مرغمةً عندما يأمرونها، باسم يسوع، بالخروج من أولئك الناس الذين استقرت فيهم، فهذا كان علامة على أن ملكوت الله كان يقهر مملكة الشر. كان كثيرون من الرابيين يعتقدون أن الله أو المسيا سوف يطوح بالشيطان في آخر الزمان: أظهر تقرير السبعين أن الإطاحة بالشيطان قد حدثت؛ ورؤيا يسوع لهذا السقوط من السماء أكدت حدوثها. كما أن رواية يوحنا في جزيرة بطمس عن طرد الشيطان يدل بصورة مشابهة على أن هذا السقوط كان نتيجة مباشرة لخدمة يسوع. كذلك عندما يقول يسوع في يوحنا ١٢:٣١ "الآن يطرح رئيس هذا العالم خارجا"، فإن الظرف "الآن" يشير إلى آلامه الوشيكة، التي توجت خدمته.

يمكن أن يعد سـقوط الشيطان الانتصـار الحاسم فـي الحملـة؛ أمـا الحملـة نفسـها فتستمر. ومن ثم أضاف يسوع مخاطبا التلاميذ الجذلانين: "ها أنـا أعطيكـم سـلطانا لتدوسوا الحيات والعقارب، وكل قوة العدو؛ ولا يضركم شئ" (لو ١٠:١٩). "الحيات والعقارب" تمثل قوى الشر: فبفضل عمل المسيح، يستطيع شـعبه أن يدوسـوها تحت أقدامهم وينتصروا عليها. قد تكون هذه الصـورة المجازيـة مستعارة مـن مزمـور ٩١:١٣ حيث وُعِد الذين يضعون ثقتهم بالله بأنهم "على الأسد والصل يطأون". وقـد استخدم بولس تعبيرا مشابها عندما قال للمسيحيين في روما، إذا كـانوا "حكمـاء فيمـا هو خَيْر، أبرياء مما هو شر" (رو ١٦:١٩، ت ع ج)، "فإن إله السلام سوف يسـحق الشيطان سريعا تحت أقدامهم" (رو ١٦:٢٠). هذه الصياغـة لا ترجع إلـى مزمـور ٩١ بقدر ما ترجع إلى قصة عصيان الانسان الأولى، حينما قيل للحية فـي عـدن أن رأس نسلها سيُسحق من قبل نسل المرأة (تك ٣:١٥).

في الختام أُمر السبعون بأن يبتهجوا، لا بإنجـازاتهم الروحيـة (ففـي هـذا الطريـق تكمن الكبرياء والكارثة)، بل بالأحرى بما فعله الله لأجلهم.

لا تفرحوا لأن الأشباح الشريرة
تستسلم لمهارتكم في المعركة؛
بل افرحوا لأن الله أباكم
قد كتب أسماءكم كمختارين للحياة.

و من "كُتِب اسمُه في السماء" فقد نال عطية الله التي هي الحياة الأبدية.

الفصل الرابع والثلاثون

الآب والابن

"كل شئ دفع إلي من أبي ؛ وليس أحد يعرف الابن إلا الآب ، وليس أحد يعرف الآب إلا الابن ، ومن أراد الابن أن يعلن له" (مت ١١:٢٧؛ قارن لو ١٠:٢٢)

لو ظهر هذا القول في موضع ما من إنجيل يوحنا لما اندهش أحد. فاللغة لغة يوحنا على نحو مميز؛ لقد دعي القول "نيزكا من سماء يوحنا" أو "جلمودا من ركام نهر يوحنا الجليدي". ومع أنه يبدو ككتابات يوحنا، فهو لا يأتي في إنجيل يوحنا بل في المادة اللامرقسية المشتركة بين إنجيل متى وإنجيل لوقا، المستمدة (كما يفترض على نطاق واسع) من مجموعة أقوال يسوع المسماة Q التي ربما كانت متداولة بعد عام ٥٠ م ليس بزمن طويل. أقرب شئ إليه في الأناجيل الإزائية هو قول المسيح القائم من الأموات في نهاية إنجيل متى: "دفع إلي كل سلطان في السماء وعلى الأرض" (متى ٢٨:١٨).

يرد هذا القول في متى ولوقا كليهما (ولهذا السبب يرد على ما يظن في المصدر الذي استقيا منه أيضا)، مباشرة بعد الكلمات التي قالها يسوع ليشكر الله لأن الأمور المخفية عن الحكماء والفهماء قد أعلنت لـ "الأطفال" ـ أي، على ما يبدو، للتلاميذ. والذي أعلن هذه الأمور هو يسوع نفسه؛ بالحقيقة، إنه ليس مُعلِن الحق فحسب؛ إنه الابن الذي يعلن الآب. في هذا السياق "كل الأشياء" التي دفعت إليه من الآب لا بد أن تُفهم بصورة طبيعية على أنها محتوى تعليمه أو إعلانه. لكن محتوى هذا التعليم أو الإعلان ليس مجموعة مجردة من العلم الإلهي؛ بل هو شخصي، إنه الله الآب نفسه. يدعي يسوع أن له معرفة شخصية فريدة بالله، وهو يتعهد بأن يمنح هذه المعرفة الشخصية للآخرين. وما لم تمنح من قبله، فلن يكون بالإمكان الدخول إليها.

فهو الذي عند معموديته سمع الآب يهتف له باعتباره ابنه وحبيبه ومختاره (مر ١:١١). إنه يتمتع بعلاقة وشركة خاصة مع الآب ولكن تلك العلاقة والشركة مفتوحة لأولئك الذين يتعلمون منه. وكما يدعو هو الآب "أبا الآب"، يمكنهم أن يعرفوه ويدعوه بالاسم نفسه. وجميع الهبات الأخرى التي يغدقها الآب على أولاده تأتي مرافقة لهذه المعرفة الشخصية، التي تتم بوساطة يسوع.

يعطي كل من لوقا ومتى هذا القول سياقا أدبيا مختلفا؛ فإذا بحثنا عن سياق تاريخي، فربما فكرتا في مناسبة أظهر التلاميذ فيها أنهم قد أدركوا لب تعليمه الذي بقيت أذهان الآخرين مغلقة عن فهمه، كما حدث في قيصرية فيلبس.

لا صعوبة في هذا إلا لأولئك الذين لا يستطيعون قبول الادعاء بالتفرد، وهو "عثرة فردانية المسيح"، الضمنية في الإنجيل. لكن لأولئك الذين يقبلون الافتراضات الرائجة في مجتمع متعدد يمكن أن يكون هذا من الصعوبة بما لا مزيد عليه.

ولكن ماذا بشأن القول "ليس أحد يعرف الابن إلا الآب" ؟ أحد مناهج التفسير التقليدي يفهم من هذا أنه يعني أن الاتحاد بين الطبيعتين الإلهية والبشرية في شخص ابن الله هو سر لا يعرفه سوى الآب. لكن نقل تعليم كريستولجي* متأخر إلى سياق خدمة يسوع أمر ينطوي على مفارقة تاريخية. والأمر المرجح هو أن عبارة "ليس أحد يعرف الآب إلا الابن" وعبارة "ليس أحد يعرف الآب إلا الابن" تؤلفان طريقة أكثر تفصيلا للقول "الآب والابن فقط، دون غيرهما، يعرف أحدهما الآخر". لقد اقتُرح، في الواقع، أنه توجد هنا حجة تتجه من العام إلى الخاص ـ أي أن القول الذي مفاده "إن الأب وابنه فقط يعرف أحدهما الآخر" (ولذلك يستطيع الابن فقط أن يعلن أباه) ينطبق على العلاقة الخاصة بين يسوع والله: "الآب والابن فقط يعرف أحدهما الآخر" (ولذلك يستطيع الابن فقط أن يعلن الآب). ومهما كان جوهر هذا

---

* كريستولوجي christology : علم اللاهوت المتعلق بشخص المسيح وصفاته وعمله (معجم كوللنز) [المترجم]

الاقتراح، فمن الواضح أن ثمة تأكيدا على وجود تبادلية في المعرفة الشخصية بين ابن الله وأبيه. وبما أنه ليس هناك من يعرف الابن سوى الآب، هكذا لا يعرف أحدٌ الآبَ سوى الابن، لكن الابن يشارك هذه المعرفة مع الذين يختارهم، والمقصود بهم في السياق الحالي تلاميذه.

توجد مجموعة أسرة من القراءات المتنوعة في النقل النصي لهذا القول؛ وهي تشهد للصعوبات التي واجهها الكتبة والمنقحون الأولون. التنوع الوحيد الذي يلزمنا أن نفحصه هو التنوع الكائن بين تعبير متى وتعبير لوقا: ففي حين يقول متى "يعرف الابن ... يعرف الآب"، يقول لوقا "يعرف من هو الابن ... أو من هو الآب". قد يبدو أن تعبير لوقا يضعف التوكيد على المعرفة الشخصية التي يفصح عنها تعبير متى، ولكن من المرجح أن هذا لم يكن قصد لوقا. إذا اعتبرنا بنية اللغة الساميّة Semitic الكامنة وراء اليونانية التي كُتب بها الإنجيلان، فإن تعبير متى يمكن أن يدعي أنه الأقرب إلى ما قاله يسوع بالحقيقة.

الفصل الخامس والثلاثون

أنت بطرس

"وأنا أقول لك أيضا، أنت بطرس، وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي، وأبواب الجحيم [قوات الموت، ت ع ج] *لن تقوى عليها. وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات، فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطا في السموات. وكل ما تحله على الأرض يكون محلولا في السموات"* (متى ١٦:١٨-١٩)

لماذا يجب أن يحسب هذا القول صعبا؟ إنه حقا يتضمن بعض الصور البلاغية التي تتطلب تفسيرا ــ "أبواب الجحيم" (التي ترجمتها RSV و ت ع ج "قوات الموت") و"مفاتيح الملكوت" و"ربط" و"حل". ولكن ليس بسبب هذه الصور البلاغية يحسب هذا القول صعبا على نطاق واسع ــ صعبا، بالحقيقة، إلى حد أن بعض المفسرين حاولوا ليس تفسيره فحسب، بل قللوا كثيرا من أهميته.

أحد الأسباب لاعتباره قولا صعبا هو أن بطرس في الأناجيل شخصية بعيدة عن الاستقرار بحيث لا تصلح لتكون أساسا لأي مشروع أو لتعطى مثل هذه السلطة كما يفهم من هذه الكلمات. لكن السبب الرئيسي لوجود صعوبة في النص لا علاقة له بتاتا بقراءتها الصريحة وبتفسيرها. ولو طلب من البروتستانت أن يذكروا النص المفضل لديهم في الكتاب المقدس، لفكرت قلة منهم باقتباس هذا المقطع. لقد استُشهِد به لدعم تفوق الكنيسة الكاثوليكية على باقي الكنائس ـ وعلى نحو أكثر دقة، لدعم تفوق أسقف روما على باقي الأساقفة ــ والذين لا يقرون بصحة استخدام هذا المقطع على هذا النحو أبدوا أحيانا رد فعل بمحاولتهم أن يجعلوه يعني شيئا أقل إيجابية بكثير مما يبدو أنه يعنيه. اقترح البعض، دونما دليل مخطوطي يبرر اقتراحهم، أن النص قد حرف عن نص أصلي هو "لقد قلْت" (بدلا من "أنت

بطرس")؛ وجادل آخرون بالقول إن التعبير اليوناني ليس ترجمة دقيقة للصيغة الآرامية التي أطلق بها يسوع هذا القول ـ وأن ما قاله كان، "أقول لك، يا بطرس، إنني على هذه الصخرة سوف أبني كنيستي." ولكن هذا أيضا حدس. إذا استطعنا أن نتخلص من فكرة أن النص لا يتضمن أي إشارة إلى الكنيسة الكاثوليكية أو إلى البابوية، فسوف نفقد الاهتمام بهذه المحاولات التي تسعى لإزالة ما حسب أنه إرباك يسببه هذا النص.

من المؤكد أنه ليس في السياق ما يشير من طرف خفي إلى روما أو البابوية. ولكن سياق القول يضعنا أمام مشكلة من نوع آخر. يروي البشيرون الإزائيون الثلاثة جميعهم الحادثة التي جرت قرب قيصرية. وجميعهم رووا أن يسوع بعد أن سأل تلاميذه عما يقول الناس عنه، سألهم عما يقولونه هم: "وأنتم من تقولون إني أنا ؟" عن هذا السؤال أجاب بطرس، الذي كان يقوم بدور الناطق باسمهم، "أنت المسيح" (هذه هي صيغة جوابه في مرقس ٨:٢٩؛ أما في الإنجيلين الآخرين فيوجد اختلاف في الصياغة). يضيف البشيرون الثلاثة جميعهم أن يسوع منعهم على نحو صارم أن يكرروا هذا أمام أحد. لكن متّى يدخل، بين جواب بطرس وأمر يسوع للتلاميذ بألا يعيدوا هذا القول أمام أحد، جوابا شخصيا وجهه يسوع إلى بطرس. يبدأ هذا الجواب بالقول، "طوبى لك يا سمعان بن يونا ! إن لحما ودما لم يعلن لك، لكن أبي الذي في السموات." وتأتي بعد ذلك الكلمات التي اقتبسناها معتبرين أنها قول صعب.

كيف نعلل حقيقة عدم ظهور القول مع بركته الافتتاحية، في رواية مرقس أو لوقا لهذه المناسبة ؟ لو كان متى المصدر الذي اعتمد عليه مرقس ولوقا، لكان بإمكاننا القول إنهما اختصرا روايته لأسباب خاصة بهما، ولوجب علينا أن نحاول تحديد ماذا كانت تلك الأغراض. إلا أننا إذا كنا محقين في اعتقادنا بأن مرقس كان أحد المصادر التي استقى منها متى، فعلينا عندئذ أن نقول إن متى توسع في رواية

مرقس بإدراجه مادة مستمدة من مصدر آخر. وليس هذا هو الموضع الوحيد الذي يوسع فيه متى رواية مرقس بتضمين مادة تتعلق ببطرس لا توجد في بقية الأناجيل. قد نفكر، مثلا، في الحادثة البارزة في حياة بطرس وهي خروجه من القارب وشروعه في الغرق عندما حاول أن يمشي على الماء متجها نحو يسوع (متى ١٤:٢٨-٣١).

هناك من جادل بالقول أن المقطع الذي ندرسه ينتمي إلى فترة لاحقة من التاريخ المسيحي وليس بالأحرى إلى الفترة التي ينسبه متى إليها. ورأى البعض فيه رواية للكلمات التي قالها يسوع لبطرس عندما ظهر له بشخصه المقام ـ كلمات نقلها متى إلى سياق قيصرية فيلبس بسبب ملاءمة مادة موضوعها. ويضعها آخرون في تاريخ متأخر عن ذلك: إنهم يتساءلون، ألم يكن من المحتمل أن يتكلم يسوع التاريخي عن "كنيسته" ؟ من غير المحتمل طبعا أن يكون قد استخدم الكلمة بمعناها الذي تحمله لنا، لكنه ليس أمرا غير محتمل أن يكون قد استخدم كلمة آرامية كُنِّيَ عنها باليونانية بكلمة *إكليزيا*، المصطلح الذي يترجم عادة في العهد الجديد إلى "كنيسة". ولو فعل، فماذا قصد به ؟ لقد قصد به الجماعة الجديدة التي هدف إلى إيجادها، أي اسرائيل الجديد الذي كان الرسل الاثنا عشر سيقودونه، عن طريق الخدمة لا عن طريق إصدار الأوامر.

ثمة تشابه جزئي يساعد في فهم كلمات يسوع التي وجهها لبطرس توفره قصة رمزية موجودة في التقليد الرابيني توضح تعاملات الله مع البشرية منذ البداية حتى زمن ابراهيم. كُتبت الوثائق التي وجدت فيها هذه القصة الرمزية في زمن متأخر عن زمن كتابة الأناجيل، ولكن سبقت تدوينها فترة من النقل الشفهي. يُدعى ابراهيم في اشعياء ٥١:١ "الصخر الذي منه قُطعتم" ، وتتولى القصة الرمزية مهمة تفسير سبب تسمية ابراهيم "الصخر". تروي القصة أن ملكا رغب في بناء قصر، وكلف عبيده بالحفر حتى يجدوا أساسا. وبعد أن حفروا طويلا سبروا القاع مرتين،

لكنهم لم يجدوا سوى أرض سبخة. (أجـري السبر أولا فـي جيل أخنـوخ حفيد آدم، ثم في جيل نوح.) وبعد أن أجروا المزيد من الحفـر قـاموا باختبـارات السبر أيضـا، وفي هذه المرة اصطدموا بصخر (بَترا). قال الملك، "والآن أخـيرا، أستطيع أن ابـدأ بالبناء."[1]

الملك في القصة الرمزية هو اللـه، طبعـا؛ والقصـر الـذي خطـط لبنائـه هو أمـة اسرائيل، وقد عرف أن بوسعه أن يبدأ بالمشروع عندما وجد ابراهيم، رجلا مسـتعدا للاستجابة لدعوته بالإيمان المطلق والطاعة. وسيكون أمرا غير قـائم علـى أسـاس وطيد تصور أي علاقة مباشرة بين هذه القصة الرمزية وبين كلمات يسوع لبطـرس كما دونها متى، ولكن هناك شبه جدير بالذكر.

بحسب رواية يوحنا لدعوة التلاميذ الأوليـن وخـلال خدمـة يوحنـا المعمدان عبر الأردن سمع بطرس أخـاه أنـدراوس يقول، مشيرا إلـى يسـوع، "قد وجدنـا المسيا" (يوحنا ١:٤١). من الجلي أن بطرس آمن عندئذ بشـهادة أنـدراوس، ولكـن لابـد أن هذا كان مثلا عما يصفه يسوع الآن بأنه إخبار من "لحم ودم" (أي من انسان). كانت هناك أفكار متنوعة في الذهن الشـعبي وعلـى نطـاق واسـع آنـذاك بخصـوص نـوع الشخص الذي سيكونه المسيا وبخصوص الأشياء التي سيعملها، لكن شخصية يسـوع وعمله كما عرفهما تلاميذه لم تطابقا علـى الأرجـح أيـا مـن تلـك الأفكـار. فـإذا كـان بطرس قد آمن بيسوع بأنه المسيا عندما تلقى دعوته لأول مـرة، واعتـرف الآن بعـد مرورسنة أو أكثر بأنه المسيا، فلا بـد أن معنـى مفهـوم "المسـيا" قـد بـدأ يتغير فـي نظره. فمنذ مدة ليست بعيدة كان قد رأى معلمه يرفـض محاولـة قـامت بهـا عصبـة من المقاتلين المتحمسين، وهـم خمسـة آلاف مـن الأقويـاء، أرادوا أن ينصبـوه ملكـا عليهم ليقودهم ضد قوات الاحتـلال الرومـاني وصنيعتهـا هيرودس أنتيبـاس (يوحنـا

---

[1] *Yalqut Shim'oni* (medieval compilation) 1. 766

١٥:٦). كان على المسيا دون ريب، وفقا للمفهوم الشعبي، أن يغتنم مثل هذه الفرصة. وبعض تلاميذه على الأقل أصيبوا بالخيبة لأنه رفض أن يفعل ذلك.

مع ذلك، كان بطرس مستعدا للاعتراف بيسوع بصفته المسيا؛ وهذه الحقيقة كانت دليلا على أن تغييرا بدأ على الأقل يحدث في تفكيره ـ أي أنه في طريق الوصول إلى فهم مصطلح "المسيا" في ضوء ما قاله يسوع وفعله في الواقع، وليس بالأحرى إلى فهم يسوع في ضوء الأفكار المقترنة تقليديا بمصطلح "المسيا". لهذا السبب أبدى يسوع استحسانه بابتهاج لجواب بطرس: لهذا السبب أعلن مباركته له. وما أشبه يسوع بالملك الذي تحدثت عنه الحكاية اليهودية، لقد قال يسوع بالحقيقة، "الآن، أخيرا، أستطيع أن أباشر البناء!"

إنه لأمر معروف تماما أن "أنت بطرس، وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي" تتضمن تورية. في اليونانية "بطرس" هو *petros* و "صخرة" هي *petra* (الاختلاف مرده ببساطة إلى الفرق بين صيغة التذكير التي تنتهي بـ *os*، وصيغة التأنيث التي تنتهي بـ *a*). أما في الأرامية التي تكلم بها يسوع على الأرجح فلا يوجد حتى مثل هذا الفرق اللغوي الضئيل بين الصيغتين؛ قال يسوع "أنت *كفا*، وعلى هذه الـ *كفا* أبني كنيستي." تظهر صيغة *كفا*، باعتبارها مطبقة على بطرس في كثير من ترجمات العهد الجديد كـ صفا (مثلا، في يوحنا ١:٤٢؛ ١كو ١:١٢)، وهي صيغة بديلة لاسمه. *كفا* الآرامية، كاسم شائع، يعني "صخرة"؛ ويستخدم المكافئ العبري كيف بهذا المعنى في أيوب ٣٠:٦ وإرميا ٤:٢٩. يمكن استعمال التورية في بعض اللغات العصرية بنفس الطريقة: ففي معظم طبعات العهد الجديد الفرنسي يقول يسوع لبطرس: 'Tu es *Pierre* , et sur cette *pierre* je batirai mon eglise' . لكن لا يمكن فعل ذلك في الانكليزية؛ وإذا أريد إجراء تورية في اللغة الانكليزية، فيجب الأخذ بترجمة كـ NEB: "أنت بطرس، الصخرة؛ وعلى هذه الصخرة سوف أبني كنيستي." أما وقد وجد من هو مستعد ليعترف بيسوع كما هو حقا، دون أن يحاول

أن يضعه في قالب موروث، فيمكن البدء بتشكيل جماعة التلاميذ الحقيقيين الذين سيواصلون بعثة يسوع بعد رحيله.

قد يُظن أن بطرس شخصيا بعيد جدا عن الاستقرار بحيث لا يؤمن مثل هذا الأساس، ولكن الذي يؤمن ذلك ليس بطرس بسبب ما هو عليه بل بطرس المعترف بيسوع. وفي هذا البناء يجد كل معترف آخر بيسوع مكانا له. فالمهم ليس منزلة المعترف بل حقيقة اعترافه. وحيثما يُعترَف بيسوع باعتباره المسيا، أو باعتباره "المسيح ابن الله الحي" (كما يرد التعبير موسعا في متى)، فهناك توجد كنيسته. فأمن الكنيسة وبقاؤها يقوم على الذي يُعترف به هكذا، وليس على أي صفة قابلة للدوام تملكها هي. وما دامت تمتلك هذا الاعتراف، فلن تغلق عليها أبواب سجن الجحيم (أي الموت) أبدا.

وماذا بشأن "مفاتيح الملكوت"؟ في أزمنة غابرة كان يعهد بمفاتيح أي منشأة ملكية أو نبيلة إلى كبير الوكلاء أو القهرمان*؛ وكان يحملها على كتفه، فتقوم مقام علامة مميزة للسلطة الممنوحة له. حوالى سنة ٧٠٠ ق م أعلن وحي من الله أن هذه السلطة في القصر الملكي في أورشليم ستمنح لرجل يدعى ألياقيم: "سأجعل مفتاح بيت داود على كتفه ؛ فيفتح وليس من يغلق ؛ ويغلق وليس من يفتح" (أش ٢٢:٢٢). وهكذا سيكون بطرس، إذا جاز التعبير، كبير الوكلاء في الجماعة الجديدة التي كان يسوع على وشك أن يبدأ ببنائها. في الاصحاحات الأولى من أعمال الرسل يُرى بطرس وهو يمارس هذه المسؤولية في الكنيسة الباكرة. إنه يتصرف كرئيس لمجموعة التلاميذ في أورشليم حتى قبل مجئ الروح في أول عيد خمسين مسيحي (أعمال ١:١٥-٢٦) ؛ كان هو الذي كرز بالإنجيل في يوم الخمسين بفعالية حتى أن ثلاثة آلاف من السامعين آمنوا بالرسالة وانضموا إلى الكنيسة

---

* القهرمان: الوكيل المسؤول عن تدبير القصر أو الإقطاعة الخ . بما في ذلك الإشراف على الخدم وجباية الإيجارات وتدوين الحسابات. (قاموس المورد) [المترجم]

(أعمال ٢:١٤-٤١)؛ وهو الذي كرز بالإنجيل بعد ذلك بوقت قصير، لجمهور من الأمم وهكذا "فتح باب الإيمان" للأمم مثلما فتحه لليهود (أعمال ١٠:٣٤-٤٨). وما فعله بطرس على الأرض، في أورشليم وفي بيت كرنيليوس في قيصرية، صادقت عليه السماء بسكب الروح القدس على الذين اهتدوا على يديه. كان هذا التوكيد الإلهي هاما على نحو خاص في اقترابه من الأمم. وكما عبر بطرس نفسه، "الله الذي يعرف القلوب شهد لهم، معطيا لهم الروح القدس كما لنا أيضا؛ ولم يميز بيننا وبينهم بشئ، إذ طهر بالإيمان قلوبهم" (أع ١٥:٨-٩).

كان "الربط" و "الحل" تعبيرين اصطلاحيين في اليهودية الرابينية يشيران إلى إعلان قرارات حظر مختلف أنواع النشاطات أو الإذن بها. إن سلطة الربط أو الحل المعطاة لبطرس في سياقنا الحالي أعطيت للتلاميذ كهيئة في متى ١٨:١٨، في قول ليسوع حفظه هذا البشير فقط على غرار حفظه للقول الذي ندرسه. ثم إن سجل أعمال الرسل يمدنا بإيضاح. فإذا التفتنا ناحية التأديب الكنسي رأينا أن توبيخ بطرس الشفهي لحنانيا وسفيرة لقي تصديقا عنيفا من السماء (أعمال ٥:١-١١) — راجع ص ٩٤ وبولس من جهته، مع أنه لم يكن واحدا من التلاميذ الحاضرين حين أعلن يسوع كلمات التفويض هذه، توقع أنه، عندما تصدر كنيسة كورنثوس حكمها على الرجل الذي جلب العار لاسم المسيحيين أمام الملأ، سيكون للحكم مفعول عملي من قبل الله، "إذ أنتم وروحي مجتمعون مع قوة ربنا يسوع المسيح"(١كو ٥:٣-٥). وعندما اجتمع "الرسل والمشايخ" في أورشليم ليدرسوا الشروط التي بموجبها يمكن أن يُعترف بالمؤمنين الأمميين كأعضاء إخوة في الكنيسة، صدر قرارهم باعتباره أمرا "رآه الروح القدس [استحسنه] ونحن" (أعمال ١٥:٢٨). يمكن الاعتقاد، إذا، بأن لوقا يقدم هنا تعليقا على رواية متى بإظهاره كيف استخدمت مفاتيح الملكوت، إتباعا لكلمات يسوع، وكيف مُورِسَتْ قوة الربط والحل في الكنيسة الأولى في مجال الوعظ والتأديب والتشريع.

يمكن أن نضيف هذا. من المرجح أن الكلمات التي أُخْتُص بها بطرس بإطراء وسلطان خاصين تَمَّ تناقلها في جماعة كان اسم بطرس يحظى فيها بتقدير خاص. كانت كنيسة أنطاكية في سورية جماعة من هذا النوع. وهناك أسباب أخرى لتصور علاقة حميمة إلى حد ما بين الكنيسة في أنطاكية وبين إنجيل متى، ويجوز كل الجواز أن يكون متى قد استمد هذه الكلمات، التي جاءت ضمن روايته لما قاله يسوع في قيصرية فيلبس، من مادة تتعلق ببطرس حفظت في أنطاكية.

الفصل السادس والثلاثون

اذهب عني يا شيطان !

فالتفت وأبصر تلاميذه، فانتهر بطرس قائلا، "اذهب عني يا شيطان ! لأنك لا تهتم بما لله بل بما للناس" (مرقس ٨:٣٣)

لماذا خاطب يسوعُ بطرسَ بمثل هذه القسوة ؟

عندما اعترف بطرس بيسوع أنه المسيا، بقرب قيصرية فيلبس، أمره يسوع وأمر رفاقه التلاميذ بصورة مشددة ألا يذكروا هذا الأمر لأحد. فلماذا؟ السبب على الأرجح هو أن لقب "المسيا" (الملك الممسوح) كان مرتبطا ارتباطا وثيقا في أذهان معظم الناس، وحتى في ذهن التلاميذ إلى حد ما، بفكرة المُلْك السياسي وفكرة الانتصار الحربي، اللتين كانتا بعيدتين كل البعد عن بعثته في العالم كما كان يفهمها هو. ولو علم أهل الجليل أن تلاميذ يسوع اعتبروا أنه المسيا، لتدعمت قناعاتهم عنه، تلك القناعات التي بذل أقصى جهده ليبددها لدى إطعامه الجمع (راجع ص ١٤٦)، ولربما أدى ذلك إلى نتائج مصحوبة بكارثة.

أما التلاميذ، فكان عليهم أن يتعلموا أن يسوع كان يواجه الألم والموت العنيف، بعيدا عن الانتصار على الرومان، واعتلاء عرش كان ينتظره. واذا كانوا قد آمنوا بأنه المسيا فقد وجب عليهم أن يعرفوا أيَّ مسيا هو؛ وإذا كانوا ما زالوا مهتمين باتباعه، فقد وجب عليهم أن يتبينوا بوضوح أيَّ قائد كانوا يتبعون، وماذا كان ينتظره في نهاية الطريق التي كان يواصل السير فيها. لقد صدمهم الإعلان؛ لم يكن هذا ما توقعوه. وإحساسهم بالصدمة عبر عنه بطرس (كما هي العادة)، إذ اهتم جديا وأمسك بذراع يسوع بإيماءة تدل على الصداقة وراح يعترض عليه: "رحمة

بنفسك يا سيدي! لا تتكلم هكذا. لن يحدث *لك* هذا أبدا !" على هذا الاعتراض جاء رد يسوع القاسي.

كلمات رده تذكّر بكلماته التي نبذ بها المجربَ في البرية، ولها هنا بالحقيقة المعنى نفسه تقريبا الذي كان لكلماته هناك. ينبغي أن يفهم أن كلمة "شيطان" مبدئيا ليست اسم علم. إنها اسم نكرة عبري بمعنى "خصم". وعندما تظهر في العهد القديم مسبوقة بـ أل التعريف فهي تعني "الخصم". ففي قصة أيوب مثلا، حيث يقال إن الشيطان مثُل في جلسة عقدتها المحكمة السماوية، يعني التعبير "الخصم"، أو يمكن أن نقول إنه يعني "مستشار الإدعاء". هذه هي الوظيفة العادية لهذه الشخصية البغيضة في العهد القديم. في كل محكمة يجب أن يوجد نائب عام، لكن هذا النائب العام يستمتع بعمله إلى حد أنه عندما لا يوجد عدد كاف من المرشحين ليقاضيهم، يخرج عن مساره ليغوي الناس بارتكاب الخطأ، ليستمتع بمقاضاتهم (راجع ١أخبار ٢١:١). وهكذا فإن دوره كغاو يأتي في المحل الثاني بعد دوره كنائب عام. الكلمة اليونانية المقابلة لشيطان هي *دِيابولوس*، بمعنى "مشتكٍ" (ومنها اشتقت كلمة 'devil'). جاء في رؤيا ١٢:١٠، أن إبليس طرح من السماء (ليس في بداية الزمن ، كما في رواية ملتون *الفردوس المفقود*، بل نتيجة لعمل المسيح الفدائي ــ راجع ص ١٣٨)، وجاء في الآية أيضا، أن القديسين في السماء يفرحون ،وذلك كما يقولون، لأنه قد "طرح المشتكي على إخوتنا، الذي كان يشتكي عليهم أمام إلهنا نهارا وليلا".

لقد لاقى إبليسُ، بصفته المجرِّب، يسوعَ في البرية. كان يسوع قبل قليل قد اعتمد من يوحنا المعمدان وتلقى تأكيدا من الله بأنه ابنه، حبيبه الذي سرت نفسه به. إن اللغة التي خاطبه بها صوت الله (مرقس ١:١١) تشبه شبها لا يستهان به كلمات أشعياء ٤٢:١ حيث يقدم الله بها من يدعوه عبده: "هوذا عبدي الذي أعضده، مختاري الذي سرت به نفسي." إذا كان يسوع قد علم من الصوت السماوي أن عليه أن يتمم بعثة حياته في إطار صورة عبد الرب الواردة في إشعياء ٤٢:١-٤

ومقاطع أخرى من الكتاب نفسه (ولا سيما إشعياء ٥٢:١٣–٥٣:١٢، الذي يبدأ بالمثل بـ "هوذا عبدي")، فمن الواضح لديه إذاً أن التوقع الشائع لمسيا غالب لن يتحقق عن طريقه. لقد اتسم الطريق الذي اختارته إرادة الآب له بالتواضع والطاعة والألم والموت. إن التجارب التي عُرض لها في البرية كان الخصم قد صممها بحيث تُضعف طاعته لله المبنية على الثقة، وتضمنت اقتراحا يغويه بإتمام مصيره عبر مسار التوقع الشائع وليس وفقا لما عرف أنه إرادة أبيه. ونتذكر على الخصوص إغواء إبليس له ليقبل السيادة على العالم بشروط الخصم. قال إبليس ليسوع: "أعطيك هذه كلها، إن خررت وسجدت لي." فبلئذ استسلم العديد من الرجال الطموحين لذلك الإغواء، وكثيرون استسلموا له منذئذ. لكن يسوع رفض عرض الخصم، وفي رفضه لهذا الإغواء، بحسب متى ٤:١٠، قال يسوع "انصرف يا شيطان!" أو، كما يرد القول في كثير من المخطوطات، "انسحب ورائي، يا شيطان!"

وها هو يسوع يسمع، من شفتي بطرس، ما عرف أنه الإغواء نفسه من جديد. كان بطرس بالحقيقة يحاول أن يثني يسوع عن إطاعة إرادة أبيه. ولم يخطر بباله أنه كان يفعل ذلك؛ كان دافعه الوحيد هو الحنان الذي جعله يهتم بسلامة سيده، فلم يحب أن يسمعه ينطق بمثل هذه الكلمات المشؤومة: "ينبغي على ابن الانسان أن يتألم كثيرا ويرفض" (مر ٨:٣١). لكنه في تلك اللحظة كان يقوم بدور خصم، رغم أنه لم يفطن إلى ذلك، لأنه كان كما قال له يسوع "إنك لا تهتم بما لله بل بما للناس" (مر ٨:٣٣).

عندما سجل متى هذه الكلمات أدخل فيها عبارة لم تكن موجودة في مرقس: "انسحب ورائي، يا شيطان! *أنت معثرة لي*، لأنك لست في جانب الله، بل في جانب الناس" (متى ١٦:٢٣). جدير بالذكر أن متى يضيف هذه الإشارة إلى أن بطرس صخرة عثرة، نظرا إلى أنه هو الوحيد الذي روى، في الفقرة السابقة، كلمات يسوع بشأن الصخرة. يوجد هنا نوعان من الصخرة: هناك صخرة تؤمن أساسا ثابتا،

وهناك صخرة في الطريق تعثر الناس. بالحقيقة ، يمكن أن تؤدي الصخرة نفسها في بعض الأحيان كلا الوظيفتين. في إشعياء ٨:١٣-١٥ وحي يذكر أن الله صخرة، تُقَدِّمُ مَقْدِسا" آمنا لأولئك الذين يطلبون الأمان فيها من وجه السيل، ولكنها ستصبح "حجر صدمة وصخرة عثرة" لأولئك الذين تجرفهم عنها المياه المُدَوِّمة. كانت لدى بطرس إمكانة أن يكون، إما صخرة أساس أو صخرة عثرة. وبفضل تشفع سيده لأجله في ساعة الأزمة، قوّى إخوته (لوقا ٢٢:٣٢) وصار صخرة استقرار ومركزا للوحدة.

" قل لهم : ' هكذا قال السيد الرب، بما أني أبعدتهم في الأمم، وشتتهم في الأراضي، فأنا كنت لهم مقدسا مدة يسيرة في الأراضي التي أتوها.' " (حزقيال ١١:١٦، ترجمة دار المشرق) قارن إشعياء ٢٥:٤.

الفصل السابع والثلاثون

حَمْلُ الصليب

"إن أراد أحد أن يأتي ورائي، فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني" (مرقس ٨:٣٤)

هذا القول، كما يطبق عادة، ليس صعبا جدا. أما كما قُصِد به بالأصل، فهو بالحقيقة صعب جدا؛ ولا يمكن أن يكون هناك قول أكثر صعوبة منه.

هذا القول، كما هو مطبق عادة، يعبر عن إعاقة بدنية ما، أو خبرة غير مستحبة، أو صحبة أو قراية تفرض علىالمرء، فيقول الناس: "هذا هو الصليب الذي على أن أحمله". يمكن أن يستخدم القول بهذه الطريقة الملطفة لأن معناه الحرفي بعيد عن خبرتنا العادية. وفي بلد أصبحت عقوبة الإعدام فيه من الماضي يصعب حتى تفسيره على أساس الخبرة العادية.

في ما مضى كانت عقوبة الإعدام في بريطانيا لا تنفذ فحسب، بل كانت تنفذ علنا. كان المجرم يقاد عبر الشوارع ماشيا أو يجر بوساطة عربة إلى مكان تنفيذ الحكم، وكانت الجماهير التي تشاهد هذه العملية المثيرة للاشمئزاز تعرف إلى أي نهاية يتجه المجرم. كان على الانسان الذي يتجه نحو الإعدام العلني أن يتخلى عن كل الآمال والطموحات الأرضية. يمكن أن تترجم كلمات يسوع في ذلك الوقت هكذا: "إن أراد أحد أن يأتي ورائي، فليكن مستعدا أن يقاد إلى الإعدام العلني، مقتديا بي."

ترد هذه الكلمات، في الأناجيل الإزائية الثلاثة جميعها بعد قصة اعتراف بطرس في قيصرية فيلبس، وتنبيه يسوع الأول إلى آلامه الوشيكة، واحتجاج بطرس العنيف عليه وتوبيخ يسوع الذي جلبه بطرس على نفسه. وكأن يسوع كان يقول لهم، "أما زلتم تعترفون بأني المسيا؟ أما زلتم ترغبون في اتباعي؟ إذا كان الأمر

كذلك، فيلزمكم أن تدركوا بكل وضوح إلى أين أنـا ذاهـب، وتفهمـوا أنكـم، باتبـاعي، سـوف تذهبـون إلـى هنـاك أيضـا." ينبغـي علـى ابـن الانسـان أن يتـألم؛ فهـل كـانوا مستعدين أن يتألموا معه؟ كان ابن الانسان يواجه امكانة الموت العنيـف؛ فهـل كـانوا مستعدين لمواجهتها أيضا؟ وماذا يكون مـن أمرهـم إذا تبيـن أن هـذا المـوت العنيـف سيكون على الصليب؟ فهل كانوا مستعدين لذلك؟

لم يكن مشهد رجل يساق إلى حيث يصلب في مكان عـام أمـرا غـير مـألوف فـي العالم الروماني في ذلك الزمان. كان ذلـك الرجـل يُجبَر عـادة علـى حمـل عارضـة الصليب، *باتيبولوم* ، صليبه الذي هـو ذاهـب ليمـوت عليـه. هـذه هـي الصـورة التـي أراد يسـوع أن يستحضرها فـي أذهـان سـامعيه. فـإذا لـم يكونـوا مسـتعدين لنتيجـة تلمذتهم، فليعدلوا عن فكرتهم ما دام هناك وقت ـ لكـن دَعْهم أولا يَزِنُـون الخيـارين بموازين ملكوت الله: "فإنَّ من أراد أن يخلص نفسـه يُهلكهـا. ومـن يهلـك نفسـه مـن أجلي ومن أجل الانجيل فهو يخلصها" (مر ٨:٣٥).

كثيرون ممن سمعوا هذه الكلمات، وربما معظمهم، اختبروا صدقها. في الواقع لم يصلبوا جميعا. كان هذا، كما نعلم، قَدَرَ بطرس؛ أما أول الحاضرين الذي كان عليـه أن يموت لأجل يسوع، وهو يعقوب بن زبـدي، فقد قُطِـعَ رأسُـه (أع ١٢:٢). ولكـن هذا هو المقصود بـ "حمل الصليب" ـ مواجهة الاضطهاد والموت لأجل يسوع.

عندما أورد لوقا هذا القول توسع فيه قليلا: "فلينكر نفسه ويحمل صليبه *كل يوم*" (لو ٩:٢٣). أحد تلاميذ يسوع لاحقا، لم يكن حاضرا ليسمع هـذه الكلمـات شـخصيا، لكنه فهم معناها تماما وعاشها، وأكد هذا الجانب: كتب بولس إلـى كنيسـة كورنثوس (١ كو ١٥:٣١)، "أموت كل يوم" وعني بذلك "إنني أتعرض لخطر الموت كل يـوم، وذلك لأجل يسوع". ويتحدث عن نفسه وعن رفاقه الرسل قائلا: "حاملين فـي الجسـد كل حين إماتة الرب يسـوع" ويوضـح قصـده بقولـه "لأننـا نحـن الأحيـاء نُسَلَّمُ دائمـا للموت من أجل يسوع، لكي تظهر حياة يسـوع فـي جسـدنا المائت" (٢ كـو ٤:١٠–

١١). وفي موضع آخر يشير إلى "فضل معرفة المسيح يسوع ربي" الذي لأجله خسر جميع الأشياء، ويخبر كيف أن الطموح المسيطر عليه هو "لكي أعرفه وقوة قيامته، ولكي أشترك في آلامه، متشبها بموته" (في ٣:٨ ،١٠). لم يكن بولس، بصفته مواطنا رومانيا، عرضة للصلب، لكنه عرف بالخبرة ما يعنيه "حَمْلُ الصليب كل يوم" واتباعُ يسوع.

بهذا المعنى ينبغي أن نفهم كلمات يسوع عن ضرورة إنكار الانسان لنفسه إذا شاء أن يكون تلميذا له. هنا أيضا جملة أضعفتها التقوى الكلامية على نحو يخالف ما يمليه الضمير. إن إنكار المرء لنفسه ليس مسألة إعطاء شئ ما سواء طوال مدة الصوم الكبير أو لمدى الحياة: إنه يعني أن يقول المرء "لا" بصورة حاسمة لنفسه ولآماله ولخططه وطموحاته، ولما يحب و لأعز الناس وأقربهم (راجع ص ١٢٥)، لأجل المسيح. هكذا كان الحال بالنسبة للتلاميذ الأولين، وهكذا الحال اليوم بالنسبة لتلاميذ كثيرين. ولكن إذا كان يجب أن يفهم نكران النفس على هذا النحو ــ وهكذا قُصِدَ أن يُفهَم ـ فهذا القول صعب حقا.

ومع ذلك فقد يكون هذا القول مشجعا في الوقت نفسه ـ لأولئك الذين في الوقت الحالي يُجبَرون على التألم لأجل إيمانهم المسيحي. من المرجح أن إنجيل مرقس كتب في المقام الأول لأجل المسيحيين في رومية الذين كانوا يعانون اضطهادا وحشيا غير متوقع على يد الامبراطور نيرون عقب الحريق الكبير الذي شب عام ٦٤ م . هذا الاضطهاد عنى لبعضهم الصلب الفعلي. فكان تذكيرهم، بأن ربهم نفسه كان قد قال إنه كان على تلاميذه فقط توقع هذا النوع من الخبرة، أمرا يعيد طمأنتهم. فإذا كانوا يتألمون لأجل اسمه، فهذا يعني أنهم كانوا شركاء في آلامه؛ ويعني أيضا أنهم كانوا حقا تلاميذه وأنه سوف يعترف بهم كتلاميذ في حضرة الله.

الفصل الثامن والثلاثون

مجئ الملكوت بقوة

"الحق أقول لكم ، إن من القيام ههنا قوما لا يذوقون الموت حتى يروا ملكوت الله قد أتى بقوة" (مرقس ٩:١)

إن قولنا إن قوما هنا سوف لن يموتوا قبل أن يقع حدث معين شبيه بقولنا إن الحدث سيقع في "هذا الجيل" (راجع ص ٢٣١). فما هو، إذاً، الحدث الذي نحن بصدده ــ أي مجئ ملكوت الله، "بقوة"؟

كان ملكوت الله، النظام الجديد الذي جاء يسوع ليدشنه، قد اقترب عندما بدأ يسوع خدمته العلنية في الجليل: كان هذا بالنسبة إلى خدمته في ذلك الوقت بمثابة القرار بالنسبة إلى أغنية (مرقس ١:١٤-١٥). وأظهر حضور الملكوت بأعمال الرحمة التي صنعها يسوع بقوة، ولاسيما شفاء الذين بهم شياطين، وهذا ما قاله يسوع: "إن كنت بإصبع الله أخرج الشياطين، فقد أقبل عليكم ملكوت الله" (لو ١١:٢٠). ولكن من الجلي أنه لم يكن قد جاء "بقوة" كما سيأتي يوما ما في المستقبل القريب. كان آنئذ خاضعا لقيود، لكن كان سيأتي الوقت الذي فيه ستزال تلك القيود فيتقدم غير مكبوح (راجع ص ١٣٢).

قد نسأل، ماذا كان في ذهن يسوع عندما نطق بهذه النبوءة؟ وهل نستطيع أن نتعرف على إتمامها في أي حدث أو تطور مدون في العهد الجديد؟ نعم نستطيع؛ ولكن قبل أن نحاول عمل ذلك، لنفكر في مجموعة مشابهة من الأقوال. تحدث يسوع أحيانا عن ملكوت الله؛ أحيانا تحدث عن ابن الانسان. ونادرا ما استعمل التعبيرين معا، لكن كلا منهما كان يشير ضمنا إلى الآخر. إن ابن الانسان هو الذي يقدم ملكوت الله، إذ أن ابن الانسان هو يسوع نفسه. توجد في الأناجيل مجموعتان من

الأقوال المتعلقة بابن الانسان تغاير إحداهما الأخرى. في إحدى المجموعتين يُعرَّض ابن الانسان للإذلال والألم؛ وفي الأخرى يُبَرَّأ ويُمَجد. توصف تبرئته أحيانا بطريقة تصويرية بكونه جالسا على العرش عن يمين الله. هذا التعبير مأخوذ من مزمور ١١٠:١، حيث تقدم الدعوة الإلهية إلى شخصية ملكية: "اجلس عن يميني" ــ عن يمين الله هو المقام الأسمى من حيث الكرامة والقوة. وهكذا فإن يسوع، وهو واقف أمام قضاته يتلقى منهم الحكم عليه بالموت، أكد لهم أنه، "منذ الآن يكون ابن الانسان جالسا عن يمين قوة الله" (لوقا ٢٢:٦٩؛ راجع ص ٢٥٤).

لقد حدد موتُه، نهايةَ إذلاله وألمه، كما أعلنَ تبريرَه، بالقيامة التي أعقبت ذلك الموت. وهذا ما يعبر عنه اعتراف مسيحي لاحق، "ظهر بالجسد، تبرر بالروح" (١تي ٣:١٦). هذا الانتقال من إذلال ابن الانسان إلى تبريره يطابق تماما الانتقال من ملكوت الله الخاضع لقيود مؤقتة إلى ملكوت الله الحاضر الآن "بقوة". يستخدم بولس عبارة بقوة (أو "في قوة") نفسها عندما يتحدث عن يسوع أنه "صار من نسل داود من جهة الجسد"، ولكنه "تعين ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بقيامته من الأموات" (رو ١:٣-٤).

بموت يسوع وترفيعه ومجئ الروح في يوم الخمسين بعد ذلك، رأى بعض من كانوا شهودا لأعماله العظيمة في الجليل وأماكن أخرى، قوة ملكوت الله تتجلى على نحو لم يسبق له مثيل أثناء خدمته. خلال بضعة أسابيع، تضاعف عدد تابعيه عشر مرات؛ كان ملكوته في تقدم مستمر على نحو واضح.

هذا، على أي حال، تفسير لقول يسوع بشأن مجئ ملكوت الله بقوة يجعله مفهوما لدينا. وسواء اتفق هذا التفسير مع قصد يسوع عندما تكلم بهذه الطريقة أم لم يتفق فهذه مسألة من الأفضل ألا نقدم جوابا عقائديا لها.

إن البشيرين الثلاثة الذين دونوا هذا القول (بصيغ متنوعة) ينتقلون مباشرة ليصفوا تجلي يسوع، وكأن تلك الحادثة تتعلق نوعا ما بهذا القول (متى١٧:١-٨؛

مر ٩:٢–٨ ؛ لو ٩:٢٨–٣٦). لا يمكن القول إن التجلي كان الحدث الذي قال يسوع إنه سيقع خلال حياة بعض سامعيه: إن المرء لا يستعمل عادة مثل هذه اللغة ليشير إلى أمر سوف يحدث خلال مدة أسبوع. لكن التلاميذ الثلاثة الذين شهدوا التجلي حصلوا على رؤيا ابن الانسان مبرَّراً وممجداً: لقد رأوا في توقع نابض بالحياة إتماما لكلماته بشأن المجئ القوي لملكوت الله. ويتحدث متى، في روايته، على نحو لافت للنظر، عن ابن الانسان عوضا عن ملكوت الله: "إن من القيام ههنا قوما لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الانسان آتيا في ملكوته" (مت ١٦:٢٨). هذا تفسير للكلمات، لكنه تفسير صادق. ويحذو متى حذو مرقس في قوله، إن يسوع منع التلاميذ، عندما شاهدوا الرؤيا، من أن يتحدثوا عنها لأحد "إلا متى قام ابن الانسان من الأموات" (مر ٩:٩). كانت قيامته من الأموات ستدشن الحقيقة التي شاهدوها في رؤيا على جبل التجلي، وتذيع في الوقت نفسه نبأ مجئ ملكوت الله "بقوة".

ثمة نقطة أخيرة: إن مجئ ملكوت الله هو بصورة جوهرية مجئ الله نفسه. لقد أبدلت بعبارة "هوذا إلهك!" الواردة في نهاية الآية في إشعياء ٤٠:٩ عبارة، "ها هو ملكوت إلهك قد أعلن"، الواردة في الترجوم (الترجمة التفسيرية الآرامية للكتاب المقدس العبري، وهي الترجمة المستخدمة في خدمات العبادة في المجمع) . إن الدليل الوثائقي الذي يدعم هذه الترجمة التفسيرية يعود إلى زمن متأخر كثيرا عن حقبة العهد الجديد، ولكن هذا الترجوم يعكس الاستخدام الرابيني rabbinical. عندما سيطر إله اسرائيل على مجرى الأحداث، بحيث رد شعبه من السبي إلى وطنهم، كان يمكن أن يقال إن قوته المطلقة ("ملكوته") ظهرت ، لكن ما قاله النبي كان أكثر صراحة: "هوذا إلهكِ!". فخلال الأحداث التي أدت إلى عودة اسرائيل من السبي، كان يجب أن يُرى اللهُ نفسُهُ. هكذا أيضا، عندما أكملت النجاة الجديدة إكمالا تاما بموت يسوع وانتصاره، أُظهِرت قوةُ الله المطلقة ــ لقد جاء الله نفسه بقوة.

مع أو على

"*من ليس معي فهو علي، ومن لا يجمع معي فهو يفرق*" (متى ١٢:٣٠؛ لوقا ١١:٢٣)

"*لأن من ليس علينا فهو معنا*" (مرقس ٩:٤٠؛ قارن لوقا ٩:٥٠)

ليس هناك تناقض شكلي بين عبارة "من ليس معي فهو علي" وعبارة "من ليس علينا فهو معنا" (أو، كما يوردها لوقا، "من لا يكون عليكم فهو معكم"، ت ع ج). في موقف لا يكون الحياد فيه ممكنا، ينبغي على الناس أن يكونوا إما في هذا الجانب أو ذاك، بحيث أن الذين لا يقفون [مع] يكونون [على]، والذين ليسوا [على] يكونون [مع]. ولكن يوجد فرق بين طريقتي التعبير عن هذا من حيث النقطة التي تؤكد عليها كل منهما.

يرد القول الأول في سياق حديث يسوع عن النزاع بين ملكوت الله وقوى الشر. وهذا نزاع لا يجوز لأحد أن يكون حياديا فيه. ونظرا إلى أن يسوع هو الوكيل الإلهي المعين لقيادة المعركة ضد قوى الشر، فينبغي أن يتبعه أولئك الذين يتمنون أن يروا انتصار قضية الله. وإذا لم يتبعوه فهم، مهما كانت نظرتهم إلى أنفسهم، يقفون بصورة فعلية في جانب العدو. أما فيما يتعلق بالكلمات الإضافية بشأن الجمع والتفريق، فالجمع من عمل الله، في حين أن التفريق من عمل الشيطان. الله إله السلام؛ والشيطان منشئ النزاع. "إن ملكوت الله قوة افتدائية موحّدة بنائية في عالم ذاهل؛ وينبغي على كل انسان أن يكون إما مع هذا الملكوت أو عليه."[١]

---

[١] T. W. Manson, *The Sayings*, p.87

إن القول الأخير متعلق بالموضوع نفسه، مع أنه يأتي في سياق قصة، كعبارة الختام في ما يسمى أحيانا "قصة الحكم". فالقصة تُروى، لأجل الحكم الذي تقود إليه. ندينا هنا، إذاً، عبارة ختامية من هذا النوع. أتى يوحنا، وهو واحد من "ابنَيْ الرعد" (كما دعا يسوعُ يوحنا وأخاه بسبب مزاجهما العاصف)، إلى يسوع وأخبره أنه ورفاقه رأوا واحدا يطرد الشياطين باسم يسوع، "فمنعناه، لأنه ليس يتبعنا" (مرقس ٣٨:٩). بعبارة أخرى، لم يكن واحدا من المعترف بهم على نحو منتظم أنهم تلاميذ يسوع. لكنه كان يُظهِر بوضوح مع أي جانب يقف في الحرب الروحية؛ وفوق ذلك كان يقر بسلطان يسوع، لأنه كان يخرج الشياطين باسمه. وشتان بين هذا الموقف وبين الروح التي عزت قوة يسوع التي طرد بها الشياطين إلى معونة تلقاها من بعلزبول. كان هذا الرجل يظهر بكلامه وبأفعاله أنه في جانب يسوع.

لا ريب في أن يوحنا كان يخشى أن يُتخذ اسم سيده باطلا، من قبل انسان لم يُفوِّضه يسوع بالتكلم أو التصرف باسمه، إذا استعمله كوسيلة للحصول على القوة. لكن يسوع لم يشاركه في اهتمامه الصادر عن نية حسنة. لقد كان في الكنيسة، وما زال، خلفاء ليوحنا، يشعرون بالغم عندما تُعمَل الأشياء باسم يسوع من قبل أناس لا تحظى سلطتهم للقيام بتلك الأشياء باعتراف أولئك الخلفاء. لكن جواب يسوع يظل كافيا ليهدئ هذا الموقف: "ليس أحد يصنع قوة باسمي ويستطيع سريعا أن يقول عليَّ شرا" (مرقس ٣٩:٩).

الفصل الأربعون

ابن الانسان ليس له أين يسند رأسه

"للثعالب أوجرة ، ولطيور السماء أوكار ؛ وأما ابن الانسان فليس له أين يسند رأسه"
(متى ٨:٢٠؛ لوقا ٩:٥٨)

يرد هذا القول في أول لقاء من سلسلة لقاءات (اثنان في متى وثلاثة في لوقا) بين يسوع وأشخاص راغبين في أن يكونوا تلاميذ. يمكن أن يدعى قولا صعبا فقط بمعنى أنه حذر من يرغب في أن يكون تلميذا من الصعوبات التي سيقتضيها اتباع يسوع. لأن الرجل الذي وجه إليه هذا القول ــ وكان كاتبا أو خبيرا في تفسير الشريعة، حسب متى ـ لم يتطوع ليصبح تابعا ليسوع بالمعنى العام لاتباع تعليمه؛ لقد اقترح أن ينضم إلى رفقته على أساس ثابت، إذ قال له: "أتبعك أينما تمضي". فنبهه يسوع إلى أنه في حين أن الحيوانات البرية لها أماكن تستريح فيها ليلا (للثعالب أوجرتها وللطيور أعشاشها)، فإن يسوع نفسه لم يكن يعرف، وهو يتنقل في أنحاء البلاد من يوم إلى يوم أين سيجد مكانا يأوي إليه، بل لم يكن يعرف ما إذا كان سيجد مأوى في الليلة التالية؛ وعلى مرافقيه أن يكونوا مستعدين لمشاركته النصيب غير المؤكد نفسه. كان عدم توفر أي مكان يستطيع أن يعده ملكا له جانبا واحدا فقط من جوانب اتضاع ابن الانسان ـ وهو اتضاع وجد كثيرون من تلاميذه أن من الصعب قبوله.

لقد جُعل هذا القول أصعب مما هو في حقيقته بسبب المحاولات لفهم تعبير "ابن الانسان" كشئ أكثر (أو أقل) من طريقة للإشارة إلى يسوع نفسه. أحد الاقتراحات يفيد أن التعبير هنا يعني ببساطة "الانسان" بعامة، وأن تطبيقه على يسوع ثانوي. وهذا يعني إن القول بالأصل مَثَلٌ يعني أن الحيوانات البرية لها أماكن راحة

طبيعية لكن الانسان لا موطن له. لا يوجد دليل على شيوع مَثَل كهذا، وفي جميع الأحوال ليس هذا الاقتراح صحيحا.

هناك اقتراح آخر قدمه ت. و. مانسون ينسجم مع نظرته القائلة إن تعبير "ابن الانسان" في تعليم يسوع أشار في الأصل إلى جماعة الله المختارة، اسرائيل المؤمن الحقيقي، الذي كان يسوع يشكله حول نفسه (والذي تجسد، في الساعة الحرجة، في يسوع نفسه). فإذا كان لابن الانسان في القول الحالي معنى جماعي، فمن المنتظر أن يكون للثعالب والطيور معنى مشابه. لذلك اقْتُرِحَ، مؤقتا، أن يُفهَم القول على الشكل التالي: "إن كل واحد يشعر أنه في وطنه في أرض اسرائيل ما عدا اسرائيل الحقيقي. فطيور السماء (الأسياد الرومان المطلقو السلطان)، والثعالب (المتطفلون الأدوميون)، لهم وضعهم الآمن. أما اسرائيل الحقيقي فقد حرموه من حقوقه الطبيعية: فإذا جعلت نصيبك معي، انضممت إلى صفوف المطرودين، وينبغي أن تكون مستعدا لخدمة الله ضمن هذه الشروط."[1] ("المتطفلون الأدوميون" هم الملوك الذين حملوا لقب هيرودوس؛ فهيرودوس أنتيباس، حاكم الجليل، وصفه يسوع بـ "ذلك الثعلب" في لوقا ١٣:٣٢). لكن من غير المحتمل أن يكون ذلك الراغب في أن يكون تلميذا ليسوع قد فهم تلك التلميحات؛ ومن الأفضل أن نفهم هذه الكلمات بخصوص ابن الانسان على أنها تشير إلى يسوع نفسه. "يشير هذا القول إلى الصعوبة والوحدة المستمرتين اللتين يتضمنهما *اتباع* ابن الانسان".[2]

---

[1] *The Sayings* , pp. 72-73.

[2] D. Hill, *The Gospel of Matthew* (London, 1972), p. 162.

الفصل الحادي والأربعون

دع الموتى يدفنون موتاهم

"دع الموتى يدفنون موتاهم ؛ وأما أنت فاذهب وناد بملكوت الله" (لوقا ٩:٦٠)

هذه الكلمات تتعلق بالحدث الثاني من مجموعة أحداث ثلاثة؛ التقى يسوع خلالها بأشخاص يمكن أن يصيروا من تابعيه، وطبع في ذهنهم الأفضلية المطلقة لمطالب ملكوت الله على كل ما عداها. هنا يدعو يسوع رجلا إلى مرافقته كي يصبح تلميذا له. لم يكن الرجل معارضا للفكرة، لكنه قال: "ائذن لي أن أمضي أولا وأدفن أبي". قد يفكر المرء في أن هذا كان طلبا معقولا: كان الدفن يتم بأسرع ما يمكن بعد الوفاة، فلو كان والده قد مات قبل الآن بقليل، لدفن على الأرجح في اليوم نفسه. ولأصبح هو حرا بعد ذلك في اتباع يسوع. وإذا كان هو الابن الأكبر ، فقد كانت مسؤوليته أن يتولى أمر الاهتمام بدفن والده. إلا أنه ربما قصد أن يقول، "دعني أبقى في البيت إلى أن يموت أبي؛ فمتى دفنته أصبحت خلوا من الالتزامات العائلية، وعندئذ آتي وأتبعك." ليست هذه الطريقة الأكثر طبيعية من غيرها لفهم هذه الكلمات، مع أنها تجعل جواب يسوع أقل قطعية. لكن تفسيرا من شأنه أن يجعل مطالب يسوع أقل قطعية مما تبدو لأول وهلة من المرجح أن يرفض لهذا السبب عينه. لقد *كانت* مطالبه قطعية.

من هم إذاً "الموتى" الذين يجب أن يتركوا ليدفنوا الموتى؟ أحد الاقتراحات التي قدمت هو أن كلمات يسوع الآرامية قد أسيئت ترجمتها إلى اليونانية ــ فقصد يسوع في الواقع أن يقول "دع الموتى لمن يدفنون الموتى." أي أن هناك أناسا مهنتهم دفن الموتى؛ فيمكن أن يوكل إليهم القيام بهذا العمل، أما أنت فيوجد لك عمل أكثر أهمية يمكنك القيام به. ولكن هذا أيضا ينحرف عن القطعية الصارمة لكلمات يسوع. ومن

الأفضل أن يفهم منها أنها تعني، "دع الموتى (روحيا) يدفنون الموتى (جسديا)" ــ هناك أناس يفتقرون تماما إلى الإحساس بمطالب ملكوت الله، وهم يستطيعون أن يعالجوا مسائل روتينية كدفن الموتى، أما الأحياء الذين يحسون بهذه المطالب فيجب أن يعطوها المقام الأول. يعتقد ت. و. مانسون أن جواب يسوع كان طريقة بليغة للقول، "دع ذلك العمل يهتم بنفسه؛ أما أنت فلديك عمل أكثر أهمية تقوم به."[1]

إن دفن الموتى، وحتى الموتى الغرباء، كان يعد في اليهودية عملا من أعمال التقوى التي تستحق أسمى المكافآت؛ فكم بالأحرى يكون دفن المرء لأصحابه وأقاربه ! وكان قيام المرء بواجب دفن أحد أبويه يعد متضمنا في الوصية الخامسة: "أكرم أباك وأمك." ويتصدر على معظم الالتزامات الدينية المهيبة. فاتباع يسوع وتعزيز ملكوت الله هو، في نظر يسوع، عمل يتصدر على كل شئ، حتى دفن الموتى.

إن الكلمات الإضافية في لوقا ٩:٦٠، "أما أنت، فاذهب وناد بملكوت الله"، ليس لها نظير في متى ٨:٢٢. كانت المناداة بأن ملكوت الله قد اقترب جزءا من المسؤولية التي وضعها يسوع على التلاميذ (لوقا ٩:٢؛ ١٠:٩). المعنى المباشر لوصيته لهذا الرجل مرتبط بظروف خدمته في الجليل، لكنه احتفظ بصلته الوثيقة بالملكوت بعد موت يسوع وقيامته، وقد ينشأ موقف يثبت فيه أيضا أن هذا المعنى وثيق الصلة بالملكوت بصورة رائعة.

اعتاد جون ماكنيل John McNeill ، وهو واعظ اسكتلندي مشهور من جيل سابق، أن يروي كيف وجد هذا القول وثيق الصلة به مباشرة . فعندما مات والده في اسكتلندا، في أواخر القرن التاسع عشر، كان هو في وسط انكلترا، و كان قد تم

---

[1] *The Sayings*, p.73. Cf. M. Hengel, *The Charismatic Leader and his Followers* (Edinburgh, 1981), pp. 1-20 : نظرا إلى أن ملكوت الله قريب جدا فليس ثمة وقت يمكن تضييعه؛ لذا يجب أن تنحى من أمامه كل الاعتبارات والروابط البشرية العادية.

الاعلان عن أنه سيتكلم في اجتماع تبشيري في مدينة معينة في اليوم نفسه الذي ستقام فيه جنازة أبيه. ولو بعث برسالة يقول فيها إنه مضطر إلى إلغاء ارتباطه لفهم الناس موقفه. "لكنني لم أجرؤ على إرسالها"، كما قال، "لأن يسوع الذي قال هذا القول، وقف بجانبي، وبدا أنه يقول لي، 'والآن، اسمع، أنت من يلبيني، فاذهب واكرز بالإنجيل لأولئك الناس. فهل تفضل أن تدفن الموتى أم تفضل أن تقيم الموتى؟' وذهبت لكي أعظ."[٢]

---

[2] A. Gammie, *Rev. John McNeill : his Life and Work* (Glasgow, 1939), p. 201.

الفصل الثاني والأربعون

النظر إلى الوراء

" ليس أحد يضع يده على المحراث ويلتفت إلى الوراء يصلح لملكوت الله " **(لوقا ٩:٦٢).**

هذه هي الإجابة الثالثة التي قدمها يسوع لراغب في أن يكون تلميذًا له. لقد جمع لوقا الإجابات الثلاث معا في سياق واحد. وليس لهذه الإجابة نظير في رواية متى مثل سابقتيها.

قال الرجل: "أتبعك يا سيد، ولكن ائذن لي أولا أن أودع الذين في بيتي." لقد استعملت عبارة "أتبعك، *ولكن* ..." كنص بنيت عليه مواعظ بليغة عديدة، ولكن في الحادثة الحالية لم تكن كلمة "لكن" غير معقولة ويمكن بالحقيقة أن تستدعي سابقة جليلة. فقبل ما ينيف عن ٨٠٠ سنة، أُمِرَ النبي إيليا من قبل الله بأن يجند أليشع بن شافاط ليكون زميله وخليفته. وفيما هو ذاهب ليفعل ذلك، وجد أليشع يحرث على الثيران. لم يقل إيليا شيئا، لكنه طرح رداءه على الشاب وعبر. عرف الشاب للحال ما عنت إيماءة النبي، وركض وراءه وقال، "دعني أقبّلْ [أودّع] أبي وأمي؛ ثم أتبعك." قال إيليا، "اذهب راجعا،لأني ماذا فعلت لك؟" لكن قول إيليا لم يثن أليشع عن عزمه؛ لقد عرف أن إيليا دعاه لمرافقته، لكنه لم يشأ أن يضغط عليه؛ فاستجابة أليشع لإيماءة إيليا وجب أن تكون اختيارا ذاتيا. وهكذا رجع أليشع ولم يودع أباه وأمه فحسب، بل صنع وليمة توديع سخية، دعا إليها جميع الذين كانوا يقيمون في المزرعة أو يعملون فيها؛ وذبح بقرتين، وطها لحمهما على نار وقودُها خشبُ نيرِهما، وبعد أن أكرم وفادة الناس بهذه الطريقة "مضى وراء إيليا وكان يخدمه" **(١ملوك ١٩:١٩-٢١).**

كان إيليا شخصا عظيما، اشتهر عنه انهماكه في خدمة إله اسرائيل، لكنه لم يعترض على تمهل أليشع لكي يودع عائلته وأصدقاءه بطريقة لائقة. لكن العمل في ملكوت الله، الذي كان يسوع منهمكا فيه، كان أكثر إلحاحا من عمل إيليا، وما كان يطيق تأجيلا كهذا. مرة ثانية يتضح، أن الرُبط العائلية، بتقدير يسوع، يجب أن تأخذ المحل الثاني بعد الملكوت الذي كان ينادي به.

تضمن جوابُ يسوع، كما تضمنت قصةُ دعوة أليشع، إشارةً إلى الحراثة، لكن ذلك كان أمرا اتفاقيا على الأرجح. في أي مجتمع زراعي يمكن أن نتوقع قولا مَثَليا proverbial بشأن أهمية التطلع إلى الأمام عندما تكون يد المرء على المحراث: فالفلاح الذي ينظر إلى الوراء لن يشق بمحراثه تلَما مستقيما. يجوز كل الجواز أن يسوع حوَّر قولا كهذا: فالفلاح الذي ينظر إلى الوراء هو شخص غير ملائم لملكوت الله. الفلاح الذي ينظر إلى الوراء هنا، هو شخص راغب في التلمذة لا يزال ذهنه متعلقا جزئيا بالحياة التي تركها ليتبع يسوع. إن عمل الملكوت يتطلب فردية القصد.

حاول بعضهم احيانا أن يستكشف هنا إشارة إلى امرأة لوط، التي نظرت إلى الوراء، بينما كانت هاربة مع عائلتها من سدوم، فأدت نظرتها إلى هلاكها (تكوين ١٩:٢٦). من غير المحتمل وجود هذه الإشارة في السياق الحالي. قال يسوع في مناسبة أخرى، "اذكروا امرأة لوط" (لوقا ١٧:٣٢)، لكنه قال ذلك بينما كان ينبه سامعيه إلى ضرورة الهرب من دمار في المستقبل مماثل للدمار الذي حل بسدوم.

الفصل الثالث والأربعون

أريكم ممن تخافون

"أقول لكم يا أحبائي ، لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد، وبعد ذلك ليس لهم ما يفعلون أكثر. بل أريكم ممن تخافون: خافوا من الذي، بعد أن يقتل، له سلطان أن يلقي في جهنم ؛ نعم أقول لكم من هذا خافوا !" (لوقا ١٢:٤-٥؛ قارن مت ١٠:٢٨)

لا يمثل الجزء الأول من هذا القول أي صعوبة. فيسوع نفسه واجه موتا عنيفا، وقد نبه تلاميذه أكثر من مرة إلى أنهم قد يواجهون ما لا يقل عن ذلك. وقال لهم "سيسلم الأخ أخاه إلى الموت،... وتكونون مبغضين من الجميع من أجل اسمي، (متى ١٠:٢١-٢٢). ويقول لهم في الإنجيل الرابع بكلمات نظيرة لهذه الكلمات أنه "ستأتي ساعة فيها يظن كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله" (يوحنا ١٦:٢). لكن الذين يقتلونهم لن يستطيعوا أن يلحقوا بهم مزيدا من الأذى. لقد أمكن رجم استفانوس حتى مات، لكن عينيه ظفرتا بمرأى ابن الانسان واقفا عن يمين الله يرحب به بصفته شفيعه وصديقه (أعمال ٧:٥٥-٦٠). كذلك استطاع بولس عشية إعدامه، أن يقول بثقة، "وسينقذني الرب من كل عمل ردئ ويخلصني لملكوته السموي" (٢ تي ٤:٦، ١٨).

الجزء الثاني من القول هو الذي يثير السؤال. وفي حين أن "الذين يقتلون الجسد"، يشار إليهم في كلا الإنجيلين بصيغة الجمع ، فإن الذي ينبغي أن يُخاف منه بالحقيقة يذكر هنا بصيغة المفرد: فهو "الذي، من بعدما يقتل، له سلطان أن يلقي في جهنم" أو كما ورد في إنجيل متى، هو "الذي يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما في جهنم" (مت ١٠:٢٨). فمن هو هذا؟

هناك من "يقتلون الجسد، ولكن النفس لا يقدرون أن يقتلوها"، كما جاء في متى؛ وهناك آخرون يسببون أذى خطيرا لنفوس الرجال، والنساء والأولاد بتصغيرهم إلى أشخاص آليين مطيعين، بجرهم إلى الخطية أو بطرق أخرى. فهل يجب أن يُخاف من هؤلاء الناس أكثر مما يُخاف من القتلة العاديين؟ ربما يجب ذلك. إن اسم الإشارة "هذا"، في عبارة "من هذا خافوا!"، يمكن أن يعني "من شخص كهذا". لكن يسوع قصد على الأرجح، "خافوا من دينونة الله أكثر مما تخافون من حكم الموت الذي يصدره البشر." لا يخلو الأدب اليهودي في تلك الحقبة من نظير لهذا المعنى. جاء في وثيقة من الكتابات اليهودية الاسكندرية، هي كتاب المكابيين الرابع (الذي لم يؤثر بكل تأكيد في قول يسوع الحالي أو لم يتأثر به)، أن سبعة إخوة كانوا على وشك الاستشهاد لأنهم رفضوا أن ينكروا إيمانهم؛ فشجع بعضهم بعضا بهذه الكلمات: "لا نَخَفْ ممن يظن أنه يقتلنا؛ لأن ضيقا شديدا وخطرا ينتظران أولئك الذين يتعدون وصية الله" (٤ مكابيين ١٣:١٤-١٥). فإذا قُتلوا بسبب ولائهم لله، فلديهم الرجاء الأكيد بالحياة الأبدية؛ أما إذا تبين عدم ولائهم له بسبب الخوف من الموت الجسدي فهناك عقوبة مؤكدة تنتظرهم. المعنى مشابه تقريبا لقول يسوع الحالي. إن الذي له سلطان أن يلقي في جهنم ليس إبليس ، كما اقترح البعض؛ لأنه إذا قوبل بالمقاومة، لن يستطيع إلحاق أذى حقيقي بتابعي يسوع. فالله هو الذي يجب أن يُخاف:

خافوه أيها القديسون، وعندئذ لن يكون
لديكم ما تخافون منه.

"جهنم" المذكورة هنا هي مكان العذاب الأبدي بعد الموت. هناك اعتقادات يهودية مماثلة للاعتقاد، الذي تشهد بصحته صيغة هذا القول كما رواه متى، بأن النفس والجسد على السواء يحترقان في نار جهنم.

جدير بالذكر أن التنبيه، الوارد في كلا الإنجيلين، إلى أنه ينبغي الخوف من دينونة الله، يُتبَع مباشرة بتشجيع وهو أنه يجب الوثوق بمحبة الله الحامية: إن الله الذي يلاحظ سقوط عصفور واحد يعرف كل شعرة من شعور رؤوس أولاده (لوقا ١٢:٦-٧؛ متى ١٠:٢٩-٣١).

الأخ الأكبر

"ابنه الأكبر ... غضب ولم يرد أن يدخل" (لوقا ١٥:٢٥-٢٨)

إن الأخ الأكبر للابن الضال يستحق عطفنا. إنه لم يسبب لأبيه القلق ولو للحظة واحدة، ولكن أحدا لم يبد عاطفة نحوه ولا إعجابا به. طبعا لم يفعل ذلك أحد؛ فالناس الذين يكونون دوما في المتناول ويمكن الاعتماد عليهم لن يبدي أحد عاطفة نحوهم و لا إعجابا بهم. هناك ميل بالأحرى إلى أن لا يحسب لهم حساب، وأولئك الذين لا يحسب لهم حساب دوما، يصبحون مدركين لهذه الحقيقة ولا يحبونها.

وكم اختلف الحال بالنسبة إلى الابن الأصغر! كان طلبه الأصلي معقولا: لأن اشتراك الولدين في حقل العائلة ما كان ليكفيهما على الأرجح. فكان من الأفضل للابن الأصغر أن يأخذ حصته نقداً، ويسعى إلى رزقه في مكان آخر. إلا أن حصته كانت هي الحصة الأصغر؛ وكان الابن الأكبر سيأخذ نصيبه من الأرض وهو حصة مضاعفة.

نشأت المشكلة عندما بدد الابن الأصغر ماله بدلا من أن يستثمره بحكمة. ولم يكن أمامه مفر من يوم الحساب. كان انحدار اليهودي إلى مرتبة رعي خنازير شخص أممي أمرا مهينا حقا؛ ومع ذلك فإنه كان سيسعد لو أمكنه أن ينضم إلى الخنازير ليتناول من معلفها قسطا من قرون الخرنوب الذي كانت تمضغه بصوت طاحن، فما أشد ما كان جوعه. إن فكرة رجوعه وطلب الاستخدام كعامل لا نظامي في أرض أبيه كانت تنطوي على إذلال، لكنه لم يستطع أن يفكر فيما هو أفضل من ذلك. قد لا يحصل العمال اللانظاميون إلا على دينار في اليوم (راجع ص ٢٠١)، لكن من المرجح أن ذلك المبلغ يزيد عما كان يحصله من صاحب الخنازير؛ وكان

باستطاعة العمال اللانظاميين، أثناء عملهم أن يأكلوا قدر ما شاءوا. لهذا غض من كبرياء نفسه ورجع.

كان من الممكن أن يقول الوالد، "حسنا كما ترى، أيها الفتى؛ لقد سمعنا من قبل الكثير من الخطب. والآن شدّ حزامك واعمل كما لم تعمل من قبل، فإذا رأينا أنك حقا تعني ما قلت، أمكن أن ندعك تدفع جُعْل الإقامة بالعمل. لكنك لن تستطيع أبدا أن تعوض عن الأذى الذي ألحقته بسمعة العائلة الطيبة وبملْكها." ولو فعل الوالد ذلك لكان هذا بحد ذاته إنعاما منه؛ ولربما قدم للفتى خيرا جزيلا، ولما اعترض أخوه الأكبر على الأرجح. ولكن ـ وهذه نقطة المثل ـ ليست هذه هي الطريقة التي يعامل بها الله الخطاة. فهو لا يضعهم أولا قيد الاختبار، ليرى كيف سيصبحون. إنه يرحب بهم بمحبة وسخاء غامرين. ويسوع، بمصادقته لنماذج غير مرغوبة، كان يبدي للعيان محبة الله السخية (راجع ص ٢٩).

إن أولئك الذين دخلوا في جدل لاهوتي مع يسوع ما كانوا ليتكروا أن الله كان هكذا. في عمل أدبي رابيني متأخر، يصور الله وكأنه يقول للإسرائيليين، "افتحوا لي بابا للتوبة لا يزيد عرضه عن ثقب إبرة، فأسوق من خلاله مركبات وخيلا."[1] ولكن ليس من السهل دوما وضع النظرية اللاهوتية موضع التطبيق. فربما يُعَظِّمون نعمة الله، كما يمكن أن نفعل نحن، ولكن ألا يبدو من الحصافة أن يوضع الخطاة التائبون قيد الاختبار أولا؟ هل يمكن أن نقبل اشتراكهم معنا في المائدة المقدسة، هذا إذا تجاوزنا ذكر اشتراكهم معنا في مواند بيوتنا، دون مزيد من اللغط؟

هكذا شعر الأخ الأكبر للابن الضال. لقد بقي في البيت طوال الوقت، وعاش حياة لا غبار عليها، وعمل في الحقل، ونفذ أوامر أبيه. ولم يخطر بباله أن يتوقع الكثير من التقدير إلى أن عاد عُرَّةُ * العائلة حاملا معه قصة حظه التعس فاحتُفِل بالمناسبة

---

[1] *Shir ha - Shirim Raba* 5:2

* عرة = black sheep : شخص تخزى به العائلة (معجم المغني الأكبر) [المترجم]

بإقامة وليمة مسائية رافقها ابتهاج صاخب ــ ذُبِح العجل المسمن ودُعِي الجيران وصدحت الموسيقى وعقِدت حلقاتُ الرقص ولم يُضَنَّ بنفقة !

ولكن الحياة هكذا. وكما أوضح مثل الخروف الضال ومثل الدرهم المفقود، تلقى استعادة شئ مفقود اهتماما واهتياجا أكثر مما يلقاه حفظ ما كان موجودا طوال الوقت، وعندما يتعلق الأمر بالبشر يصبح الاهتمام والاهتياج أعظم بكثير.

هناك شباب واظبوا على حضور المدرسة الأحدية ودرس الكتاب المقدس، وانضموا إلى عضوية الكنيسة وهم يحضرون كل الاجتماعات أسبوعا بعد أسبوع ــ وربما انتبه أحد إليهم أو لم ينتبه أحد. ولكن الآن يأتي شخص غريب تماما عن الجماعة غير مرغوب فيه ــ ربما نزيل سابق في إصلاحية للأحداث ــ دُفِعَ دفعا لحضور أحد اجتماعات بلي غراهام أو اجتماع مشابه، وتقدم إلى الأمام عندما وجهت الدعوة لقبول المسيح؛ فيا للعاطفة والإعجاب اللذين يحاط بهما، يُنْزَل في كل احتفال للشباب، ويدعى لتقديم شهادته في كل مناسبة (يمكن الاعتراف بأن شهادته نابضة بالحياة أكثر من شهادة شخص آخر لم يضل أبدا عن طريق الاستقامة والفضيلة) ــ لكن إذا شعر بعض الناس بأن هذا مقزز حقا، يستطيع المرء أن يفهم وجهة نظرهم.

لا لوم على الأخ الأكبر؛ وهو يظل الوريث الوحيد لكل ملك أبيه. إنه ببساطة لا يشعر بما يشعر به أبوه تجاه عودة الابن الضال. مكذا يشعر الأب الأرضي، وهكذا يشعر الآب السماوي. "هكذا يكون فرح في السماء بخاطئ واحد يتوب أكثر من تسعة وتسعين بارا لا يحتاجون إلى توبة" (لوقا ١٥:٧). لا لوم على التسعة والتسعين؛ طبعا لا لوم عليهم. لكنهم لم يضلوا أبدا؛ وهذا هو سبب الفرق.

الفصل الخامس والأربعون

لماذا تدعوني صالحا؟

"لماذا تدعوني صالحا؟ ليس أحد صالحا إلا واحد وهو الله" (مر ١٠:١٨؛ لو ١٨:١٩)

ليس هذا قولا صعبا جدا. وعلى أي حال فقد أدرجه شميدل Schmiedel في قائمة النصوص الأركان التي أنشأها، محاولا أن يبرهن (على نحو مقنع تماما) أن من المحتمل جدا أن يكون هذا القول قد صدر عن يسوع نفسه نظرا إلى أنه لم يكن من المحتمل أن يلقي أحد على لسان يسوع كلمات يبدو أنها تلقي ظلا من الشك على صلاحه. ذات مرة ركض إلى يسوع واحد (وكان رجلا غنيا، كما تظهر تكملة القصة، لكن هذا لا صلة له بالموضوع في هذه المرحلة) يرغب في أن يكون تلميذا له وقال، "أيها المعلم الصالح، ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟" وقبل أن يجيب يسوع عن سؤاله، تصدى لاستخدامه للقب "صالح". وهذه كلمة، إذا استخدمت بمعناها الحقيقي، تخص الله وحده، وينبغي ألا تستخدم باستخفاف كمجرد تعبير عن الكياسة، وقد اشتبه يسوع في أنها كانت مجرد طريقة مهذبة للمخاطبة استخدمها الرجل. لم يرفض يسوع نفسه أن يصف الناس بأنهم صالحون عندما قصد حقا أنهم "صالحون". وإذا سأل سائل كيف تتفق لغة كهذه مع تأكيده هنا على أنه "ليس أحد صالح إلا واحد وهو الله"، فالجواب واضح: ما من أحد صالح تماما، كالله، لكن الرجال والنساء صالحون بمقدار ما يعكسون صلاح الله.

يبدو بالحقيقة أنه كان هناك اعتقاد بأن الصيغة التي حفظ بها مرقس (وحذا لوقا حذوه) كلمات يسوع هذه مثلت صعوبة في مرحلة مبكرة جدا من تدوين الأناجيل. ففي المقطع النظير الوارد في إنجيل متى ١٩:١٦–١٧ تؤيد الحجة القوية المستمدة من النصوص إعادة صياغة سؤال الرجل كالتالي "يا معلم، أي صلاح أعمل لأرث

الحياة الأبدية؟" ـ فيرد عليه يسوع، "لماذا تسألني عما هو صالح؟ هناك واحد صالح هو الله." إلا أن هذه الإعادة لصياغة السؤال والجواب لم تستخدم في بقية الأناجيل. ففي حين يتجه نقل النص الإنجيلي، بالطريقة المعهودة، إلى المطابقة بين صياغة البشيرَيْن الآخرَيْن وصياغة متى، جعلت صياغة متى هنا مطابقة لصياغة مرقس ولوقا في معظم المخطوطات المتأخرة، وهي التي اتبعتها A V و ترجمة فانديك ـ بستاني "أيها المعلم الصالح، أي صلاح أعمل لأرث الحياة الأبدية؟" .... "لماذا تدعوني صالحا؟ ليس أحد صالحا إلا واحد وهو الله." ولو كان هناك شعور بأن القول على درجة بالغة من الصعوبة، لعمّت صيغة متى في رواية الأناجيل الإزائية للحادثة.

الفصل السادس والأربعون

بِعْ مالك

"يعوزك شئ واحدا اذهب بع كل ما لك وأعط الفقراء ، فيكون لك كنز في السماء ، وتعال اتبعني" (مرقس ١٠:٢١)

لا شك في أن الرجل الذي قيلت له هذه الكلمات وجدها صعبة. كان ذلك الرجلُ الشابَ الغني الذي جاء إلى يسوع وسأله عما يجب عليه فعله لكي يرث الحياة الأبدية. أجابه يسوع "أنت تعرف الوصايا"، وذكر تلك التي تلخص واجب الانسان نحو قريبه. كان حفظ الوصايا هو الطريق إلى الحياة كما هو مبين في الناموس نفسه: "فتحفظون فرائضي وأحكامي التي إذا فعلها الانسان يحيا بها. أنا الرب" (لا ١٨:٥). أجاب الرجل بأنه حفظ كل هذه منذ حداثته ـ كما يفترض من سن الثالثة عشر، عندما أصبح *بارًا متزنًا*، أي مسؤولا بصورة شخصية عن حفظ الوصايا .

لكن من الواضح أنه كان ينتظر أن يقول يسوع شيئا أكثر من ذلك:إنه لم يأت إليه لمجرد أن يتعلم أن حفظ الوصايا كان الطريق إلى الحياة. وسرعان ما جاءه الشيء الإضافي الذي كان ينتظره: قال له يسوع، "هناك أمر واحد لم تعمله بعد، وبإمكانك أن تعمله الآن: بع ما تملك، وأعط المال الذي تقبضه للفقراء، وتعال انضم إلى تلاميذي. سوف ترتاح من عبء الثروة المادية، وسوف تكنز لنفسك كنزا في السماء." لكن الرجل، ومن الجلي أنه كان ذا شخصية ساحرة وصادقة، وجد هذه النصيحة صعبة القبول جدا. وتوصف أحيانا بالنصيحة الداعية إلى الكمال، بناء على صياغة متى لها: "إن أردت أن تكون كاملا، فاذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء" (مت١٩:٢١). لكن هذا لا يعني أن حفظ الوصايا هو واجب الجميع، في حين أن تقديم كل الأملاك لإطعام الفقراء هو امتياز أولئك الذين يودون بلوغ مستوى أسمى

من التكريس. يذكرنا بولس بأن العطاء وحتى عطاء كل أملاكنا لإطعام الفقراء لا قيمة له بدون محبة في القلب(١كو ١٣:٣). يمكن أن يفسر تعيير متى بما يلي: "إذا شئت أن تمضي إلى آخر الطريق في إتمام إرادة الله، فهذا ما يجب أن تفعله."

أما لأولئك الذين يرغبون في أخذ تعليم يسوع مأخذ الجد، ويريدون أن يجعلوه، قدر الإمكان، دستورا لحياتهم، فيظل هذا قولا صعبا. من السهل القول، "بهذه الطريقة امتحن يسوع تكريس رجل واحد ، لكنه لم يطلب من جميع سامعيه أن يتخلوا عن أملاكهم بنفس الطريقة." صحيح أن الذين انضموا إلى صحبته وجالوا معه كتلاميذ له تركوا على ما يبدو كل شئ وتبعوه. ولكن ماذا يقال بشأن الصديقات اللواتي أمّنّ حاجتهم بفضل سخائهن ــ أولئك النسوة الثريات اللواتي، كما يخبرنا لوقا، "كنّ يساعدنهم بأموالهن" (لوقا ٨:٣، ت ع ج)؟ لم يطلب منهن أن يقمن بالتضحية التي طلب من الرجل الغني أن يقوم بها؛ يمكن أن يقال، بالطبع، أنهن كنّ يقمن بعمل مشابه، إذ كن يقدمن ليسوع والاثني عشر من مواردهن. عندما دعا يسوع نفسه إلى غداء في بيت رئيس العشارين في أريحا، لم يضع على زكا، كما يبدو، أي ضغط ليعلن بصورة تلقائية: "ها أنا يا رب أعطي نصف أموالي للمساكين" (لو ٨:١٩). يستدل عادة أنه طبق هذا منذ ذلك الوقت فصاعدا؛ إلا أن من الممكن تماما أن يكون قد عنى أن هذا هو ما كان يفعله بصورة منتظمة. في كلا الحالين اعتبره يسوع أنه، بصفته "ابن ابراهيم" بالمعنى الحقيقي، رجل إيمان. لكن يسوع لم يطلب منه أن يتخلص أيضا من النصف الباقي من أمواله، ولم يقترح عليه أن يترك جباية الضرائب وينضم إلى صحبته، كما فعل جابي ضرائب آخر في كفرناحوم في وقت سابق.

ومع ذلك، ليست نصيحة يسوع للرجل الغني، بأية حال، نصيحة معزولة؛ إنها مَعلم منتظم في تعليمه. على نفس الوتر تضرب كلمات يسوع التي تظهر دون سياق قصصي في لوقا ١٢:٣٣-٣٤: "بيعوا ما تملكون وأعطوا صدقة، واعملوا

لكم أكياسا لا تفنى، وكنزا لا ينفد في السموات، حيث لا يقرب سارق ولا يُبلِي سوس. لأنه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضا." تتضمن العظة على الجبل حسب صياغة متى الرسالة نفسها (متى ٦:١٩-٢١)، في صيغة شعرية ربما صممت هكذا لتسهيل حفظها غيبا:

لا تكنزوا لكم كنوزا على الأرض،
حيث يفسد السوس والصدأ،
وحيث ينقب السارقون ويسرقون؛
بل اكنزوا لكم كنوزا في السماء،
حيث لا يفسد سوس ولا صدأ،
وحيث لا ينقب سارقون ولا يسرقون.
لأنه حيث يكون كنزك،
هناك يكون قلبك أيضا.

(لو بذلت محاولة لإرجاع هذه الكلمات من اليونانية التي حفظها البشير بها إلى الآرامية التي قال بها يسوع هذه الكلمات ، فإنها لا تكشف عن إيقاع شعري فحسب بل عن سجع أيضا).

هذا التعليم لم يُعْطَ لفرد معين؛ بل قُصِدَ به أن يكون لكافة تابعي يسوع. لقد ألح عليهم باختيار الأولويات الصحيحة، وهي أن يطلبوا ملكوت الله وبرّه قبل كل شئ آخر (مت ٦:٣٣). واعتقد يسوع أن فعل ذلك أمر صعب جدا، إذا كان الغنى المادي يستأثر باهتمام المرء. تظهر الخبرة أن بعض الرجال والنساء الأثرياء قد علوا منزلة ملكوت الله فوق اهتماماتهم العالمية ــ حتى أنهم، بالحقيقة، استخدموا اهتماماتهم العالمية لإعلاء شأن ملكوته. لكن الخبرة تظهر أيضا أن عددهم قليل جدا. ثمة شيء

يتعلق بالتركيز على المغنم المادي الذي لا يتعدى تدريجا فقط على الجهد والوقت اللذين يمكن لولا ذلك أن يكرسا لمصالح ملكوت الله؛ إنه يجعل المرء أقل اهتماما بتلك المصالح وأقل ميلا إلى الاهتمام بها. هذا أمر طبيعي: كان يسوع يبين قانونا حياتيا عندما قال إنه حيث يكون كنز المرء هناك يكون قلبه أيضا. من الواضح أن يسوع كان يود أن يُدرج الرجل الغني في عداد تلاميذه، ولم يكن الرجل إلى حد ما غير راغب في أن يصير واحدا منهم. لكن النقطة التي وقف عندها وعجز عن التقدم هي عندما طلب إليه أن يحرر نفسه من عبء ما يملك.

الاستغناء عن حمل كهذا ضروري
لمن يعزم أن يحج إلى المدينة السماوية.[1]

لكنه قرر أنه يفضل أن يسارع إلى المضي قدما حاملا عبئه على أن يصبح حاجّاً. لم تكن كلمات يسوع موجهة إليه وحده؛ إنها تظل تحديا، لا يجوز تحاشيه، لكل الذين يرغبون في أن يكونوا تلاميذه.

---

[1] Bunian, *The pilgrim's progress*, Part 2.

الفصل السابع والأربعون

أعطوا ما في الداخل صدقة

"بل أعطوا ما في الداخل صدقة ؛ فهوذا كل شئ يكون نقيا لكمّ (لوقا ١١:٤١ ، حسب RSV)

هذا القول صعب حيث أنه لا يفهم بسهولة. بقية الأقوال المتعلقة بالصَّدقة صعبة، حيث أن تطبيقها يعاكس ميل المرء الفطري، في حين أن معناها واضح كل الوضوح. أحد هذه الأقوال "بيعوا ما تملكون وأعطوا صدقة" (لوقا ١٢:٣٣)؛ وحتى التيقن من أن هذه طريقة لكَنْزِ كنزٍ في السماء لا يجعل إطاعة هذا الأمر سهلة تماما. ولكن ما هو "ما في الداخل" الذي يجب أن يعطى صدقة؟

ورد هذا القول في سياق توبيخ يسوع لبعض الناس المتدينين على إصرارهم على تطبيق التقاليد الدينية الخارجية بينما أهملوا الحقائق الأساسية الباطنية. لن ينفع أي قدر من الغسل الطقسي لليدين أو أي أجزاء أخرى من البدن إذا لم يكن القلب طاهراً. لن يحرصَ على غسل خارج الكأس أو الطبق بعد استعماله دون أي اهتمام بداخله سوى رجل أحمق؛ غسلُ داخل الكأس عادة يتطلب عناية أكثر مما يتطلب غسلُ خارجه. وإنه لأمر أكثر حمقا أن يهتم المرء بأدق تفاصيل الشعائر الخارجية في حين أنه داخليا "مملؤ اختطافا وخبثا". فما هو، إذاً، المقصود بالحث الذي جاء بعد هذه العبارة مباشرة، "بل أعطوا ما في الداخل صدقة"؟ كيف يستطيع ذلك أن يجعل "كل شئ نقيا لكم"؟

لكن إذا عدنا إلى النص اليوناني، وجدنا أن أول عبارة من لوقا ١١:٤١ يمكن أن تترجم بصورة مختلفة: "بل تصدقوا بتلك الأشياء التي تحت سيطرتكم (أو تحت تصرفكم). هل يمكن ان ينسجم هذا مع العبارة التالية: "فهوذا كل شئ يكون نقيا

لكم"؟ ربما أمكن ذلك: ولن يكون هذا النص الوحيد في الكتاب المقدس الذي يشير ضمنا إلى أن التصدق طريقة للتطهير الأخلاقي. في سعي من دانيال، ليطبع في ذهن الملك نبوخذ ناصر حاجته الملحة إلى إصلاح طرقه، نصحه: "فارق خطاياك بالبر [الذي يجوز كل الجواز أن يعني التصدق]، وآثامك بالرحمة للمساكين" (دانيال ٤:٢٧).

ولكن هل يمكن للترجمة أن تكون عبارة "اعطوا صدقة مما في الداخل" ترجمة منسجمة مع ما سبقها؟ قد يجادل أحدهم بالقول إنه، نظرا إلى أن يسوع قد ذكر الخطف قبل قليل باعتباره أحد الأمور التي تدنس حياة الانسان الباطنية، فإن التصدق، الذي هو عكس الخطف، سيكون له مفعول تطهيري بدلا من المفعول التدنيسي. ومع ذلك فإن هذه الطريقة في التفكير ليست سهلة.

مهما يكن من أمر فلا يمكن أن نفكر في صيغة هذا القول كما وردت في لوقا بمعزل عن النص النظير في متى ٢٣:٢٦. فالكلمات هناك أيضا ترد في سياق انتقاد يسوع لأولئك الفريسيين الذين، قال لهم يسوع، "تنقون خارج الكأس والصحفة وهما من داخل مملوان اختطافا ودعارة". ثم تأتي نصيحته: "نقّ أولا داخل الكأس والصحفة، لكي يكون خارجهما أيضا نقيا". بعبارة أخرى، الأمور الأولى أولا. لكن الصعوبة التي أثارتها صيغة القول بحسب لوقا قد اختفت: إن عبارة "نق الداخل" مفهومة أكثر من عبارة "تصدقوا مما في الداخل".

هل سهّل متى بنية صعبة، تركها لوقا دون تغيير كما وجدها؟ هذا أمر ممكن. لكن بعض العلماء يشيرون إلى إمكانة أخرى. ففي حين يبدو أن متى ولوقا يستخدمان أحيانا الترجمة اليونانية نفسها للأقوال Q ، فإنهما في أحيان أخرى يستخدمان ترجمتين مختلفتين للأصل الآرامي نفسه. يمكن أن يكون "ينقي" و"يتصدق" هنا ترجمتين لفعلين آراميين متشابهين تماما؛ بل يمكن أن تكونا ترجمتين بديلتين للفعل الآرامي نفسه، بمعنيين مختلفين. قد يكون هذا هو تفسير

الاختلاف بين صيغة متى وصيغة لوقا، ولكن نظرا إلى أن التعبير الآرامي الأصلي للقول لم يحفظ ، فلا بد أن يكون التفسير تحزريا.

الجمل وثقب الإبرة

"مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غني إلى ملكوت الله" (مرقس ١٠:٢٥)

لهذا القول ما يماثله في متى ١٩:٢٤ ولوقا ١٨:٢٥. وهو يأتي، في الأناجيل الإزائية جميعها، بعد حادثة الرجل الغني الذي كان تواقا إلى معرفة كيف يرث الحياة الأبدية ـ ووراثة الحياة الأبدية، بحسب لغة الأناجيل مرادفة للدخول إلى ملكوت الله. كان سجله في حفظ الوصايا لا يرقى إليه شك ـ لقد أكد ليسوع أنه حفظها جميعا منذ بلغ سن الرشد، ولم يقل يسوع شيئا يوحي بأنه كان مبالغا في ادعائه. لكن يسوع، بغية اختبار قوة التزامه، أمره بأن يبيع ما يملك ويوزع العائدات على الفقراء. ثم قال له: "فيكون لك كنز في السماء؛ وتعال اتبعني." عند هذا بدت عليه أمارات الخيبة: كانت هذه التضحية أكبر مما كان مستعدا لتقديمه. توضح الحادثةُ الطبيعةَ الجوهرية للتلمذة التي دعا يسوع الناس إليها.

وليوضح، "ما أعسر دخول ذوي الأموال إلى ملكوت الله" استخدم هذه الاستعارة اللافتة للنظر. لقد عرف سامعوه للتو أن هذا قول صعب. فكما أن دخول جمل من ثقب إبرة ـ حتى ولو كانت أكبر إبرة، ليس مجرد أمر صعب بل مستحيل، كذلك فإن دخول غني إلى ملكوت الله ليس مجرد أمر صعب، بل مستحيل. وفزع السامعون، وسألوه: "فمن يستطيع أن يخلص؟".(أن يخلص المرء، بحسب الأناجيل مرادف للدخول إلى ملكوت الله ولوراثة الحياة الأبدية.) لم يكن التلاميذ موسرين: لقد تكلم بطرس نيابة عن التلاميذ عندما قال، "ها نحن تركنا كل شيء وتبعناك" (مر ١٠:٢٨). لكن ربما لم يدركوا كم كانت شروط الدخول إلى الملكوت صارمة ـ وما تزال.

ليس الذين سمعوا هذه الكلمات عندما قيلت لأول مرة هم وحدهم الذين وجدوا القول صعبا، بل وجده كذلك كثيرون منذ ذلك الحين. لقد بذلت محاولات لتليينه إلى حد ما. فبعضهم يؤكد لنا أن ثقب الإبرة استعارة: الإشارة إلى فتحة صغيرة، في بوابة المدينة الكبيرة، تسهل الدخول أو الخروج مع بقاء البوابة الكبيرة موصدة. تعرض على الزائرين أحيانا مثل هذه الفتحة الصغيرة في إحدى بوابات أورشليم، أو أي مدينة شرقية أخرى ويقال لهم هذا ما فكر فيه يسوع. إذا قدم أحد إلى المدينة على ظهر جمل والبوابة موصدة، يستطيع أن يترجل عن الجمل ويمر عبر الفتحة الصغيرة، ولكن لا سبيل أمام الجمل ليمر، ولاسيما إذا كان مُحَمَّلا: فلا بد له من انتظار فتح البوابة الكبيرة لكي يتمكن من الدخول إلى المدينة. وإذا حاول جمل غير مُحَمَّلٍ أن يدخل من الفتحة الصغيرة فسيكون عرضة ليعلق في وسط الفتحة. يستحيل في الأحوال العادية على الجمل أن يمر عبر فتحة ضيقة كهذه، ولكن ذلك ليس مستحيلا بصورة تبعث على الضحك بسبب غرابتها كمحاولة رجل إدخال جمل من ثقب إبرة. لكن هذا التفسير الأسر جاء في زمن متأخر نسبيا: ليس هناك دليل على أن مثل هذه الفتحة الصغيرة كانت تدعى ثقب إبرة في الأزمنة التي تناولها الكتاب المقدس.

أشار آخرون إلى وجود كلمة يونانية (*kamilos*) معناها "حبل غليظ" شبيهة جدا من حيث المظهر واللفظ بكلمة (*kamelos*) التي معناها "جمل". بالحقيقة وردت الكلمة التي تعني "حبلا غليظا" في قراءات* لنص الإنجيل وردت في عدد قليل من المخطوطات المتأخرة. وتنعكس هذه القراءات في ترجمة انكليزية للعهد الجديد عنوانها *The Book of Books* صدرت عام ١٩٣٨ وقد أعدت للاحتفال بالعيد المئوي الرابع للأمر الذي أصدره الملك هنري الثامن وطلب فيه أن توضع نسخة

---

* أي خلال الفترة ما بين القرن ٦ م والقرن ١٠ م (المترجم)

من الكتاب المقدس باللغة الانكليزية في كل كنيسة من كنائس أبرشيات انكلترا: "دخول حبل من ثقب إبرة أسهل من أن يدخل غني إلى ملكوت الله". ولم يُلْزِمْ محررو *The Book of Books* أنفسهم بالنظرة القائلة بأن الكلمة التي تعني "حبلا غليظا" أو "حبلا" وردت في النص الأصلي: لقد اكتفوا بإضافة ملاحظة تفيد أنه في حين أن الصيغة المألوفة التي تتضمن "جملا" ستكون "مفضلة من دون ريب لدى القراء الشرقيين"، فإن قراءتهم المختارة "تشكل إغراء شديدا للغرب". هذا أمر مشكوك فيه. على أي حال إن إبدال "الحبل الغليظ" أو "الحبل" بـ "الجمل" ستعتبر على الأرجح "محاولة لتليين شدة القول".[1] "إن مقارنة بين الحيوان الذي يحمل أكبر حمل في فلسطين وبين أصغر الثقوب التي صنعها الانسان ينسجم حقا مع طريقة المسيح المميزة في أقواله المثلية proverbial."[2] إن مرور *فيل* من ثقب أبرة في الأدب الرابيني اليهودي كناية عن الاستحالة المطلقة.[3]

لا ريب في أن يسوع كان يستعمل لغة المبالغة، مثلما فعل عندما تكلم عن الرجل الذي يبرز لوح خشب من عينه بينما يعرض على قريبه أن يرفع القذى من عينه (مت ٧:٣-٥؛ لو ٦:٤١-٤٢). لكن يسوع قصد من لغة المبالغة أن تصل الأمثولة إلى ذهن السامع: يستحيل على غني أن يدخل إلى ملكوت الله ــ يسلم يسوع بأنه، من وجهة بشرية، يستحيل على الله، الذي لا يستحيل عليه شئ، أن يخلص انسانا غنيا. ولكن إذا كان الأمر كذلك، فيجب أن يتغير قلب الرجل الغني، فيتخلى عن تعلقه بالغنى المادي وبدلا من ذلك يتعلق بالغنى الحقيقي الذي هو "الكنز في السماء".

---

1 B.M. Metzger, *A Textual Commentary on the Greek New Testament* (London / New york, 1971), p. 169.

2 H.B. Swete, *The Gospel according to St. Mark*, third edition (London, 1909), p 229.

3 Babylonian Talmud , tracate *Berakot* 55 b.

ليس من السهل على أي انسان أن يدخل ملكوت الله ـ "ما أضيق الباب وأكرب الطريق" (مت ١٤:٧) ـ ولكن دخول الغني هو الأصعب. إن بيان يسوع المطلق في مرقس ٢٤:١٠، "ما أصعب الدخول إلى ملكوت الله!" قد توسع في قراءات للنص وردت في مخطوطات تاريخها متأخرعن المخطوطات الاتفة الذكر جاء فيها: "ما أعسر دخول *المتكلين على الأموال* إلى ملكوت الله!". يمكن أن تكون هذه محاولة أخرى لتليين صعوبة كلماته، بجعل القارئ يعزي نفسه بفكرة كهذه: " في الواقع أنا أملك ثروة لكنني لا أتكل عليها: فأنا بخير." لكن، وفقا لتعليم يسوع، كان من الصعب جدا ألا يتكل الناس على الثروة التي يملكونها. ولسوف يظهرون ما إذا كانوا يتكلون على الثروة أم لا باستعدادهم للتخلي عنها. لكن عبارة " المتكلين على الأموال"، المدخلة في القول لا تحيد عن الهدف. ما عيب الغنى حتى حسبه يسوع عقبة تقف في طريق الدخول إلى الملكوت؟ السبب ببساطة هو أن أولئك الذين يملكون الثروة يتكلون عليها، كالمزارع الغنى الذي ضرب به يسوع مثلا (لو ١٢:١٦-٢١؛ راجع ص ١٩٠)، والذي شجع نفسه بالتفكير في الثروة الطائلة التي ادخرها للمستقبل المديد، أو كأنداده اليوم الذين تجلب لهم استثماراتهم دخلا وفيرا منيعا على التضخم.

لا قول على الأرجح من بين أقوال يسوع "أصعب" على الفكر الغربي اليوم من قوله بشأن الجمل وثقب الإبرة ولا قول سواه يحمل معه مثل هذا الإغواء القوي للتلطيف منه.

خدمة الله ومامّون [المال]

"*لا تقدرون أن تخدموا الله و مامون* [المال]" (مت ٦:٢٤؛ لو ١٦:١٣)

"مامون" اصطلاح استخدمه يسوع أحيانا ليشير إلى الغنى. ولم يكن هو المُعَلِّم الوحيد في اسرائيل الذي استخدم هذا الاصطلاح، وكلما استُخدِم أشار على ما يبدو إلى جانب تافه من جوانب الغنى ـ ربما ما كانت الإشارة إلى تفاهة الغنى بقدر ما كانت إلى تفاهة مواقف الناس من الغنى. إن اشتقاق الكلمة غير مؤكد. البعض يظنون أنها كانت تعني في الأصل ما يتكل عليه الناس؛ ويظن آخرون أنها عنت بالأصل "تجميع" ، "تكديس". لكن الاشتقاق ليس مهما جدا؛ فما يحدد معنى الكلمة ليس اشتقاقها، بل استخدامها.

ونظرا إلى أن خدمة مامون تعرض في هذا القول كبديل لخدمة الله، فإن مامون يبدو كمنافس لله. إن خدمة الله وخدمة مامون مَنْعِيَّتان بالتبادل mutually exclusive لا يمكن الجمع بينهما. بعبارة أخرى إن خادم مامون هو عابد وثن: لقد أصبح مامون أو الغنى أو المال وَثَنَه أو موضوعَ عبادته.

إن الرجل الذي يعتمد في يومه على إيجاد عمل يكفي لشراء طعام له و لعائلته لليوم التالي، يستطيع أن يصلي ولسان حاله، "خبزنا كفافنا أعطنا اليوم" (متى ٦:١١) أو، كما ترجمها موفات Mofatt ، "أعطنا اليوم خبزا للغد". لكن الذي عَرَف أنه ادخر ما يكفيه وعائلته، سواء اشتغل أم لم يشتغل، وسواء كان معافى أم كان مريضا، لن يلح في صلاته بنفس القدر. فكلما زادت موارده المادية كلما مال إلى تقليل اعتماده القلبي على الله. يتميز أبناء الملكوت، وفقا لتعليم يسوع، باتكالهم

الآتي والثابت على الله؛ وسيضعف ذلك الاتكال إذا كان لديهم شئ آخر يتكلون عليه.

في العالم الغربي اليوم نتوسد الضمان الاجتماعي وما شابهه، ليحمينا من مجاهيل الحياة ومصاعبها بطريقة لم يفكر فيها أحد في أزمنة العهد الجديد. إن كلمات ١تيموثاوس ٥:٥ كُتِبت، في مجتمع لم يُعنَ بتأمين معاش الأرامل، ودعت إلى إكرام : "التي هي بالحقيقة أرملة ووحيدة فقد ألقت رجاءها على الله وهي تواظب الطلبات والصلوات ليلا نهارا." ليس هذا انتقادا للضمان الاجتماعي (الذي نشكر الله عليه)؛ إنها تذكرنا بالصعوبة التي نجدها في تطبيق أقوال يسوع ورسله في حالتنا نحن. ولكن عندما نفكر في الكاراماجونغ Karamajong الذين يتضورون جوعا في أوغندا أو في الفيتناميين الذين يهربون في القوارب، يمكن أن نحاول تصور ما معنى أن نكون في مكانهم، ونفكر في ما يحق لهم أن يطالبوا به من مواردنا. هذا لن يدخلنا إلى ملكوت الله، لكنه ربما يعلمنا على الأقل أن نستخدم ما نملك بطريقة أكثر تقديرا من مجرد حسبانها وكأنها شئ تتعلق قلوبنا به أو نضع ثقتنا فيه.

يقول بولس، إن الطماع عابد وثن (أف ٥:٥)، وبقوله هذا يعبر عن الفكرة نفسها التي عبر عنها يسوع عندما تحدث عن مامون. قال يسوع في مناسبة أخرى "انظروا وتحفظوا من الطمع، فإنه متى كان لأحد كثير فليست حياته من أمواله" (لوقا ١٢:١٥). يجب أن يعلمنا هذا ألا نقول "كم يساوي فلان؟" حين نقصد بالحقيقة "كم يملك؟" يورد لوقا بعد القول الأخير مثل الغني الغبي، وهو الرجل الذي كانت لديه أملاك كثيرة ظن معها أنه يستطيع أن ينعم بحياة رغيدة لسنين كثيرة قادمة. وأوى إلى فراشه هانئا بهذه الفكرة، لكنه في الصباح غدا شديد الفقر ـ إذ مات، ولم يأخذ معه شيئا من مِلْكه. لقد عامل مِلْكه كمامون، أي اعتبره موضوع اهتمامه الأساسي، وفي ساعة حاجته العظمى إليه لم ينفعه بشئ. ولو وضع ثقته في الله وكدس الغنى الحقيقي الباقي، لما وجد نفسه معدما بعد موته.

الفصل الخمسون

استخدام مال الظلم لكسب الأصدقاء

"وأنا أقول لكم ، اصنعوا لكم أصدقاء بمال الظلم، حتى إذا نفد قبلوكم في المساكن الأبدية" (لوقا ١٦:٩)

هذا هو التعليم الأخلاقي الذي هدف إليه مثل الوكيل غير الأمين، وهي قصة تعرض مشكلات خاصة بها. كان على الوكيل أن يعنى بممتلكات سيده، ويتولى أمر بقية المستخدمين والمستأجرين، ويحل محل سيده في كل الأمور ويدير شؤونه التجارية اليومية. لكنه أساء إدارة الممتلكات، و ليس فقط (كما يبدو) بإظهار عدم الصلاحية أو الإهمال، إلى أن جاء الوقت الذي اكتشف فيه سيده أن شؤونه التجارية كانت في حالة سيئة فأمر الوكيل أن يسلم دفاتره، نظرا إلى أنه قرر صرفه من الخدمة.

وقبل أن يسلم الوكيل دفاتره، اتخذ بعض التدابير السريعة، آخذا بالحسبان مصالحه المستقبلية. فاستدعى مديني سيده وأنقص ديونهم بصورة جوهرية وهكذا بدل المبالغ المستحقة عليهم. قد نفهم أنه عوض الخسارة من جيبه الخاص: ولو فعل، لأحسن استثمار ماله. أراد أن يضمن الطعام والمنامة، متى صرف من الخدمة محروما من مكافأة الفصل. ما كان سيستخدمه أحد كوكيل (ما كان سيده على الأرجح ليمنحه ذلك النوع من الشهادة التي ستشجع أي صاحب أرض آخر على استخدامه)؛ كانت البدائل هي العمل اللانظامي (الحفر مثلا) أو الاستجداء. لم يجد لديه القوة البدنية الكافية ليعمل عملا يدويا ورأى أن الاستجداء سيكون أمرا مشينا لا يطاق. فإذا استطاع الآن أن يكسب بعض الأصدقاء عن طريق انفاق رشيد

لموارده المالية ربما أعطوه مأوى متى طرد من الكوخ المؤجر له ما دام مرتبطا بالعمل.

وعلم سيده بما فعل ودعاه وغدا ذكيا. هذا كل ما يلزمنا أن نفهمه، من ملاحظة يسوع "فمدح السيد الوكيل غير الأمين بسبب فطنته" (لو ١٦:٨). يجوز كل الجواز أن يكون السيد قد أقر ببعض الشبه بين سلوك الوكيل وبين الطرق التي بها كدس هو ثروته. قال يسوع: "أنتم ترون، أن أهل هذا العالم، الذين لا تتعدى أفكارهم هذه الحياة الحاضرة، يتصرفون أحياناً بتدبر وتعقل أكثر من الناس المهتمين بالآخرة، "أبناء النور". *إنهم* سوف يستخدمون الغنى المادي للإعداد لمستقبلهم الأرضي؛ فلماذا لا يستطيع أبناء النور أن يستخدموه للإعداد لمستقبلهم الأبدي؟ استخدموا 'مال الظلم' لتكسبوا أصدقاء لكم في العالم الآتي." إنه يدعى "المال الحرام" لأنه غالبا ما يُحَصَّل بطرق غير عادلة وينفق لأغراض غير عادلة. المال بحد ذاته حيادي أخلاقياً؛ فمواقف الناس منه وطرق تعاملهم به هي ما يستحق اللوم. وكما أشير مرارا، ليس المال بذاته بل "محبة المال"، كما يؤكد الكتاب، "أصل لكل الشرور" (١تي ٦:١٠).

ولكن كيف يمكن أن يستخدم المال لتأمين أصدقاء يقبلون المرء "في المساكن الأبدية" عندما لا يمكن الوصول إلى هذا المال؟ هذا المثل يُتبَع بمجموعة من الأقوال المعزولة يُعنى العديد منها بموضوع الغنى وبعد ذلك تأتي قصة أخرى — قصة الرجل الغني ولعازر. في هذه القصة نلتقي بإنسان كان لديه الكثير من "مال الظلم" واستخدمه كله ليضمن الراحة والبهجة لنفسه في هذه الحياة، دون أن يبالي بالحياة القادمة. جاء الوقت الذي كان سيسعد فيه جدا لو جاء حتى صديق واحد يرحب به في "المساكن الأبدية"، ولكنه لم يجد أحدا. ومع ذلك فقد كانت لديه كل الفرص ليحصل على صديق كهذا. فعند بابه كان يستلقي المعدم لعازر المغطى بالقروح، الذي كان سيسعد كثيرا لو التقط وأكل قطع الخبز التي كان الرجل الغني

وضيوفه يستعملونها لمسح أصابعهم على المائدة ثم يطرحونها للكلاب خارجا. لو استخدم الرجلُ الغني القليلَ من غناه ليساعد لعازر، لكان لديه صديق يدافع عنه في العالم الآخر. وكان من الممكن أن يقول لعازر لابراهيم: "هذا الرجل أظهر لي لطف الله على الأرض." لكن لم يكن لدى لعازر أساس ليقول شيئا كهذا. لقد وجد الرجل الغني نفسه في الهاوية بدون صديق ــ عندما كان في أشد الحاجة إلى صديق ــ ولا يمكنه أن يلوم أحدا على ذلك سوى نفسه.

الهوة العظيمة

"بيننا وبينكم هوة عظيمة قد أثبتت، حتى أن الذين يريدون العبور من ههنا إليكم لا يقدرون ولا الذين من هناك يجتازون إلينا" (لوقا ١٦:٢٦)

هذه الكلمات جزء من جواب ابراهيم للرجل الغني، مفسرا له لماذا لم يكن باستطاعة لعازر أن يذهب ويبرد لسانه بقطرة ماء وهكذا يخفف ألمه المبرح.

نظرا إلى ما قيل عن فشل الرجل الغني في كسب أصدقاء بوساطة ثروته، فربما توجد مشكلة هنا. فحتى لو كان قد استخدم بعضا من ثروته ليساعد لعازر على الأرض، وكان لعازر بالتالي راغبا في فعل شئ لأجله في العالم الآخر، فكيف كان بوسع لعازر أن يعبر الهوة العظيمة التي تفصل بينهما؟ لكن الهوة ليست هوة جغرافية، يمكن قياس عرضها وعمقها. عندما يقرأ المرء القصة اليوم في AV يمكن أن يخرج بانطباع خاطئ من البيان الذي يفيد، أن الرجل الغني عندما مات ودفن، "رفع عينيه في الجحيم، وهو في العذاب" (لوقا ١٦:٢٣). وكما تشير ترجماتنا الأحدث، فإن كلمة "الجحيم" تعني الهاوية Hades ، مقر الموتى جميعا دون تفريق. فلم يكن عذاب الغني بسبب كونه في الهاوية، بل بسبب حياته الماضية. فلو صادق لعازر بمساعدته في تعاسته، لما كانت هناك الهوة التي منعت لعازر من المجئ لمساعدته. كانت الهوة التي لا يمكن اجتيازها من صنع الرجل الغني نفسه. قد يعني هذا تقريبا ما عبر عنه سي. إس. لويس C. S. Lewis باستعارة أخرى عندما اقترح أن "أبواب الجحيم" (قاصدا بذلك مسكن المحكوم عليهم بالهلاك الأبدي، وليس فقط مسكن الموتى) "مغلقة من *الداخل*".[1]

---

[1] C.S. Lewis, *The Problem of Pain* (London, 1940), p115.

يبدو أن قصة الرجل الغني ولعازر لها تاريخ أدبي وشفهي سابق لزمن يسوع، واستكشافها أمر مشوق. لكن مثل هذا الاستكشاف لن يساعدنا كثيرا في فهمها في السياق الذي أورده فيها لوقا (لوقا هو البشير الوحيد الذي دونها).

وإذ سمع الرجل الغني أنه يستحيل على لعازر أن يأتي لمساعدته، انصرف ذهنه إلى أمر آخر. ليُرْسَلْ لعازر إلى الأرض لكي ينبه إخوة الرجل الغني الخمسة بوجوب إصلاح طرقهم، لئلا يجدوا أنفسهم بعد الموت يشاركونه المصير المحزن نفسه. ربما يوجد هنا معنى متضمن هو: "لو عاد أحدهم إلى الأرض وأنذرني، لما وجدت نفسي في هذه البلية." لكن ابراهيم أجاب بأن عندهم إنذاراً كافياً: "عندهم موسى والأنبياء"، أي الكتاب المقدس. وكان من الأفضل للرجل الغني لو أنه أصغى إلى ما يقوله موسى والأنبياء عن الغبطة التي يحظى بها أولئك الذين يهتمون بالفقراء ـ وهو موضوع معمم إلى درجة أنه لا يمكن أن يهمل.

لكن الرجل الغني جادل بالقول إن موسى والأنبياء لا يكفون. فَلْتَعْطَ لإخوته آية استثنائية تجبرهم على التوبة. كان جواب ابراهيم ذا علاقة خاصة بما كان يحدث في مسار خدمة يسوع. لقد طلب الناس منه أن يصادق رسميا على ادعائه بأن ملكوت الله قد اقترب إليهم في خدمته وذلك بأن يظهر لهم آية من السماء ـ شيئا مشهديا يجبرهم على الإقرار بسلطته فيما تكلم به و ما عمله. رفض يسوع أن يستجيب لطلبهم: إذا لم تُثبِتْ أعمالُه وكلماتُه نفسُها أصالتَها، فلن تستطيع آية خارجية، مهما كانت مؤثرة، أن تكون أكثر إقناعا (راجع ص ٩٨). ورد عليه الرجل الغني، إن موسى والأنبياء لا يستطيعون أن يقنعوهم بدرجة كافية، "ولكن إذا قام واحد من الأموات يتوبون". لكن ابراهيم حسم الأمر بهذه الكلمات: "إذا كانوا لا يسمعون موسى والأنبياء، ولا إن قام واحد من الأموات يصدقون" (لوقا ١٦:٣١). أو، كما ترجمها جيمس دني James Denney ترجمة تفسيرية، "إذا كانوا قساة تجاه الكتاب

الذي بين أيديهم ولعازر الـذي عند بـابهم، فلن ينجـح أي إعـلان لروائـع السـماء أو كرب الجحيم في أن يغير من حالهم شيئا."[٢]

هل بمحض الصدفة يخبرنا بشير آخـر عن لعـازر الـذي عـاد مـن الأمـوات؟ إن إعادته إلى الحياة كانت من دون ريب آية مؤثرة، قوّت إيمان الذين كـانوا قد آمنـوا بيسوع، أو كانوا ميالين إلى الإيمان به، ولكن بحسب ما دوّنه يوحنا قوّت عزم أولئك الذين كانوا مقتنعين بأن سلامة الأمة كانت تتطلب موت يسوع ـ بالحقيقة، "تشـاوروا ليقتلوا لعازر أيضا، لأن كثيرين من اليهود كانوا يذهبون [ينصرفـون عنهـم]* بسـببه ويؤمنون بيسوع" (يوحنا ١٢:١٠-١١).

ولكن في الوقت الذي كتب فيه لوقا إنجيله كان قد قام من الأموات من هو أعظـم من لعازر. إن إعلان أن المسيح قد قام من الأموات "بحسب الكتب" (١ كو١٥:٤) قاد كثيرين إلى الإيمان به، لكنه لم يجبر أحـدا علـى الإيمـان؛ فحتـى قيامتـه لـم تُقنِـع أولئك الذين قد قرروا ألا يؤمنوا.

---

[٢] J. Denney, *The Way Everlasting* (London, 1911), p.171. جدير بـالذكر أن عبـارة "اذهبوا عني ... إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته" (متى ٢٥:٤١)، ستقال عندما تدان جميع الشعوب، من جرى فشل مماثل في العناية بذوى الحاجة.

* بحسب الترجمة اليسوعية (بيروت ، ١٩٩١)

الفصل الثاني والخمسون

هل سيجد ابن الانسان إيمانا على الأرض؟

"ولكن متى جاء ابن الانسان ألعله يجد الإيمان على الأرض؟" (لوقا ١٨:٨)

هذا قول صعب بمعنى أن أحدا ما لا يستطيع أن يكون متأكدا مما يعنيه، ولاسيما من حيث علاقته بسياقه. عندما يُسأل سؤال باليونانية، في كثير من الأحيان يمكن، بناء على نوع الأداة الموجودة، تحديد ما إذا كان الجواب المتوقع هو "نعم" أم "لا". ولكن هذه الوسيلة المساعدة غير موجودة في هذا السؤال. يفترض مفسرون كثيرون أن الجواب الضمني هنا هو "لا"، ولكن السؤال من حيث الشكل على الأقل هو دون جواب .

لوقا وحده هو البشير الذي يسجل هذا السؤال، ويضعه في نهاية مَثَل الأرملة المثابرة ـ الأرملة التي رفضت أن تقبل بـ "لا" جوابا. يقول لوقا إن يسوع ضرب هذا المثل ليعلّم تلاميذه أنهم يجب عليهم "أن يصلّوا ولا يملّوا"(لوقا ١٨:١). ولكن ما علاقة هذه الغاية بإيجاد ابن الانسان إيمانا على الأرض متى جاء؟

لقد أظهرت الأرملة في المثل إيمانا اتصف بمثابرة غير عادية ـ ليس إيمانا بشخص القاضي الظالم الذي ضايقته حتى منحها طلبتها لكي تهدأ ولا تزعجه، بل إيمانا بفعالية "الصلاة" المثابرة. يبدو أن غرض القصة هو: إذا كان القاضي، حتى ذلك القاضي الخالي من الضمير، الذي "لا يخاف الله ولا يهاب انسانا"، يحرص على أن تنال المرأة حقوقها، لا بقصد إحقاق العدالة بل ليستريح من إلحاحها، فكم بالأحرى جدا سيصغي الله، الذي ليس قاضيا ظالما بل أبا محباً، إلى توسل أولاده طلبا للإنصاف! إنهم يطلبون الإنصاف، مثلما ألحت الأرملة على أن تحصل على حقوقها، التي حاول أحدهم أن يجردها منها.

بعدئذ ورد السؤال: "متى جاء ابن الانسان، هل سيجد إيمانا على الأرض؟" من الممكن في الواقع أن يكون لوقا هو الذي ألحق السؤال بالمثل، وأن السؤال جزء من تعليم يسوع ورد في سياق آخر لا يمكن بعد الان استرداده. لقد مال ت. و. مانسون T.W. Manson إلى الرأي القائل إن تعبير "ابن الانسان" لا يحمل معناه الخاص هنا ـ وأن المعنى هو: "يجب أن يكون لدى الرجال والنساء إيمان واضح بأن الله سوف ينصف مختاريه، وأن البر سوف ينتصر على الشر. ولكن عندما يأتي المرء ويبحث عن إيمان كهذا ـ عندما آتي، مثلا، وأبحث عنه ـ هل سأجده في مكان ما؟ الجواب الذي يدل عليه هذا التفسير ضمنا هو "لا" ـ فالناس عامة، كما يقترح، لا يتوقعون حقا أن ينصف الله مختاريه، ولا يرغبون في قلوبهم أن ينتصر البر على الشر.[1]

ولكن ربما يجب علينا أن نبحث عن سياق أوسع من هذا المثل وحده. إن مجئ ابن الانسان موضوع رئيسي في المقطع السابق حيث دوّن لوقا، حديث يسوع عن "اليوم الذي فيه يُظهَر ابن الانسان" (لو ١٧:٢٢-٣٧). إن الأمثولة التي طبعها هذا الحديث في أذهان سامعيه هي أنه يجب عليهم أن يبقوا ساهرين ويستعدوا ليوم مجيئه. فمتى جاء ذلك اليوم سوف يبرئ الله قضيته البارة ومعها قضية شعبه الذين وثقوا به. ولكن يجب أن يثقوا به ولا يقنطوا؛ يجب عليهم الآن وفي هذا العالم أن يستمروا في أداء العمل الموكول إليهم بأمانة. (هذه أيضا الأمثولة من مثل الوزنات في لوقا ١٩:١١-٢٧). إن ابن الانسان الذي سيكون ظهوره كالبرق، الذي يضئ "من ناحية تحت السماء إلى ناحية أخرى" (لو ١٧:٢٤)، سيكون قادرا على أن يلقي نظرة شاملة على الأرض ليرى إن كان فيها أي إيمان، أي إن كان فيها "وكيل أمين حكيم" متى جاء سيده يجده يؤدي خدمته بأمانة (لو ١٢:٤٢-٤٤).

---

[1] *The Sayings*, p.308.

فالسؤال "هل يجد إيمانا على الأرض؟" يبقى دون جواب في واقع الحال كما هو في الشكل: وجوابه يعتمد على الطاعة الأمينة طاعة أولئك الذين ينتظرون ليؤدوا الحساب عن وكالتهم عندما يطلب منهم ذلك.

الأجر والعمل

"خذ الذي لك واذهب؛ فإني أريد أن أعطي هذا الأخير مثلك. أو ما يحل لي أن أفعل ما أريد بمالي ؟ أم عينك شريرة لأني أنا صالح" (متى ٢٠:١٤-١٥)

أحد أشكال الشكوى من يسوع التي أبداها الناس المتدينون الذين يحيون حياة فاضلة نشأت من تعامله مع الأفراد الأسوأ سمعة في المجتمع. ربما كانوا يوافقون على أن أشخاصا كهؤلاء لا يجوز أن يُقصوا تماما عن رحمة الله الكلي المحبة. فهناك رجاء حتى لهم، إذا أظهروا بتوبتهم العملية وتحسين حياتهم على نحو لا يقبل الشك، أنهم ليسوا خارج مجال الفداء. ولكن قبولهم كأصدقاء وأقرباء ما كان ليبدأ إلا إذا قدموا دليلا كهذا.

غير أن يسوع قبلهم مباشرة؛ لم ينتظر حتى يرى ما يحدث لهم قبل أن يلزم نفسه بهم. كان هذا مقلقا؛ وكان الأمر الأكثر إقلاقا أنه على ما يبدو كان ينظر إليهم نظرة تقدير تفوق نظرته إلى الذين لم يلطخوا سجلهم الاجتماعي. وترك انطباعا في النفوس بأنه في الواقع كان يفضل صحبة المرفوضين في المجتمع: فهو لم يجعلهم يشعرون بصحبته كأنهم مع واحد من أهلهم وذويهم فحسب، بحيث شعروا بأنهم أحرار في رفع الكلفة بينهم وبينه في أمور لم يفكروا أبدا برفع الكلفة فيها بينهم وبين أي راباي rabbi عادي ، بل إنه قبل دعواتهم ليشاركهم في موائد الطعام وبدا أنه يستمتع بصدق بمناسبات كهذه. وعندما اعتُرِض عليه بسبب هذا السلوك غير الملتزم بالعرف، كان جوابه هذه هي الطريقة التي يعامل بها الله الخطاة؛ وضرب لهم عدة أمثال لكي يدعم هذا الدرس الذي أراد أن يعلمهم إياه.

أحد هذه الأمثال يتحدث عن رجل استأجر في موسم القطاف عددا من العمال اللانظاميين ليقطفوا العنب من كرمه. هذا المثل مربك على أكثر من صعيد. يقال إن أحد القادة المحترمين في اتحاد العمال العام في أيامنا شعر بأنه مغموم جدا عندما طُلِب منه في الكنيسة أن يقرأ هذا المثل كنص سيُبنى عليه الدرس الكتابي، لأنه بدا أنه يدافع عن مبدأ دفع أجر مماثل لأعمال غير متماثلة.

في مواسم معينة يحتاج المزارع أو الكرام عددا كبيرا من العمال لفترة محدودة. حتى وقت قريب كانت عطلة الخريف نصف الفصلية في المدارس تعرف في اسكتلندا باسم عطلة "قلع البطاطا" ، لأنها تقع في الوقت الملائم لاستئجار عدد وفير من الشبان الذين يتقاضون أجرا منخفضا للمساعدة في جمع البطاطا من الحقول. كانت معظم أنحاء فلسطين في زمن يسوع تعاني من ركود اقتصادي، فإذا رغب أحد في الحصول على عمال لفترة محدودة من هذا النوع وجدهم بالتأكيد. كان على الكرّام في المثل أن يذهب فقط إلى سوق القرية ليجد هناك عددا من الرجال العاطلين يتسكعون أملا في أن يأتي أحد ويعرض عليهم عملا.

فعند الفجر توجه هذا الكرّام إلى السوق واستأجر عدة رجال ليعملوا لديه ليوم واحد في قطف العنب. كان الأجر المتفق عليه لقاء عمل يوم واحد دينارا واحدا، وهو يضمن كما هو واضح للعامل وعائلته أن يعيشوا على مستوى الكفاف ليوم واحد. ويبدو أن الكرّام أراد أن ينجز العمل في يوم واحد. وإذ أخذ بعين الاعتبار مقدار العمل الذي يجب القيام به والسرعة التي كان الرجال يعملون بها، قرر أنه يحتاج إلى مزيد من الأيدي العاملة، وهكذا ذهب ثلاث مرات بفواصل كل منها ثلاث ساعات واستأجر مزيدا من العمال. لم يتفق معهم على دينار أو جزء منه: وعد بأن يعطيهم ما يحق لهم. ثم قبل مغيب الشمس بساعة واحدة ، بغية التأكد من أنه لن يتبقى من العمل شئ غيرمنجز، عاد ووجد بضعة رجال لم يستخدمهم أحد، وهكذا أرسلهم لينضموا إلى الباقين الذين كانوا يعملون في الكرم.

بعد ذلك بساعة أُنجز العمل، واصطف العمال ليتلقوا أجرهم، فوقف الذين استُأجِروا آخر الكل في مقدمة الصف. ولم تكن لديهم فكرة عن الأجر الذي سيأخذونه لقاء عمل ساعة واحدة؛ في الواقع أخذ كل منهم دينارا. وهكذا أخذ الذين عملوا ثلاث ساعات وست ساعات وتسع ساعات. أخيرا جاء الذين استُأجِروا عند الفجر وعملوا اثنتي عشرة ساعة: فماذا سيأخذون؟ أخذ كل منهم دينارا على غرار الآخرين. فتذمروا قائلين، "لماذا يأخذ هؤلاء بقدر ما أخذنا ؟ لماذا لا نأخذ أكثر منهم بعدما كدحنا طول النهار؟" لكن الكرّام قال لهم إنه لا موجب لشكواهم. لقد اتفقوا معه على أن يعملوا النهار بطوله لقاء دينار واحد، وقد وفى بما وعدهم به. ولا شأن لهم بما أعطاه للآخرين الذين لم يتفق معهم على أجر محدد. كان بإمكانه أن يقول لهم، "من حقهم وحق عائلاتهم أن يحيوا." لكنه لم يقل ذلك: قال ببساطة، "ألا يحل لي أن أفعل ما أريد بمالي؟"

إن المتقيدين بالشريعة الذين عرفهم يسوع كانوا يميلون إلى الاعتقاد بأنهم قد عقدوا صفقة مع الله: إذا حفظوا وصاياه، أعطاهم البركات التي وعد بها أولئك الذين يحفظون الوصايا. ما كان لديهم ما يشْكون منه إذا ما عاملهم الله بإنصاف وحفظ وعوده. ولكن ماذا بشأن الآخرين الذين كانوا قد خالفوا وصاياه، ثم بدأوا بعمل إرادته في آخر النهار بعدما التقوا بيسوع وبطريق الملكوت ؟ لم يكن في مقدورهم عقد صفقة مع الله: لم يكن بوسعهم فعل شئ سوى الارتماء على نعمته، كجابي الضرائب [العشّار] في مثل آخر؛ فهو لم يستطع أن يفعل شيئا سوى أن يقول، "اللهم ارحمني أنا الخاطئ!" (لوقا ١٨:١٣). ماذا كان بإمكانهم أن يتوقعوا؟ يبدو أن الأمثولة من الدرس هي: عندما يتفق الناس مع الله، سوف يكرم وعده ولا يترك لهم موجبا للشكوى؛ ولكن لا حدود لما يمكن أن تفعله نعمته لأولئك الذين لا حق لهم مطلقا في مطالبته بأي شئ لكنهم يثقون ثقة تامة بجودته. إذا قيل إن هذا يمنحهم ميزة بصورة غير منصفة، فيجب أن يؤخذ بالاعتبار أنهم كانوا في البداية محرومين

بصورة فظيعة. وإذا ألح أحد ما بأن إعادة تأهيلهم ينبغي أن تتضمن بعض الدفع عن سيئاتهم الماضية، فالحقيقة إنهم قد دفعوا من قبل ما يكفي. فهل من العدل أن ينال الذين رجعوا إلى الله في الساعة الحادية عشر وأعطوه الجزء الأخير فقط من اثني عشر جزءا من حياتهم قدرا من السماء يعادل ما يناله منها الذين أعطوه حياتهم بكاملها؟ إذا رضي الله بأن يعطيهم هذا القدر فمن سيقول له كم يجب أن يعطي؟ ولو كان الله لا يسر بالرأفة لصعب الأمر على أفضلنا:

تأمل في هذا، مع أنك تنشد العدالة،
ففي سياق العدالة ، ما من أحد منا
سيرى الخلاص.[1]

لو دُفع للواصلين أخيرا جزء قليل فقط مما أخذه الواصلون أولا فربما ما اشتكى هؤلاء الآخرون. بالحقيقة توجد، كما أشار ت. و. مانسون في بحثه للمثل، قصة نقدية تعادل جزءا من اثني عشر جزء من الدينار: كانت تدعى *بونديون*. لكن لا يوجد شئ من قبيل جزء من اثني عشر جزء من محبة الله."[2]

---

[1] Shakespeare, *The Merchant of Venice*, IV , i.

[2] *The Sayings*, p. 220.

الأولون يكونون آخِرين

"لكن كثيرون أولون يكونون آخرين ، والآخِرون أولين" (مر ١٠:٣١؛ مت ١٩:٣٠؛ قارن لو ١٣:٣٠؛ مت ٢٠:١٦).

ليس هذا القول، بشأن الأولين الذين يكونون آخرين والآخرين الذين يكونون أولين وقفا على تعليم يسوع؛ إنه جزء من حكمة شعبية تجد تعبيرا عنها جديرا بالتذكر في إحدى حكايات إيسوب Aesope وهي حكاية الأرنب والسلحفاة. لكنها في الأناجيل تطبق على موقف مفعم بالحيوية خلال خدمة يسوع.

يرد القول في سياقين في الأناجيل. السياق الأول (في مر ١٠:٣١ ومثيله في متى ١٩:٣٠) تكملة لحادثة الرجل الغني الذي لم يستطع أن يقنع نفسه ببيع ملكه ليعطى ثمنه للفقراء. وعلق يسوع على الحادثة مشيرا إلى الصعوبة التي اختبرها أي غني حاول أن يدخل إلى ملكوت الله، ثم عبر بطرس عن رأيه بحرية ووضوح: "حسنا، نحن على الأقل لسنا أغنياء؛ لقد تركنا كل شئ وتبعناك" (راجع ص ١٨٥-١٨٨). ورد عليه يسوع مؤكداً، إن الذين تخلوا عن أي شئ لأجله سينالون أكثر من مكافأة وافرة، حتى في هذا الدهر، فوق الاضطهادات التي لا بد أن تكون من نصيب تابعيه، بينما في الدهر الآتي سينالون الحياة الأبدية. ثم أضاف، "لكن كثيرون أولون يكونون آخرين، والآخرون أولين."

ما المقصود من هذا القول في هذ االسياق؟ يبدو أنه موجه إلى التلاميذ، وربما كان المقصود هو أن الذين قد تركوا أكثر مما ترك غيرهم ليتبعوا يسوع يجب ألا يفترضوا أن المكان الأول في الملكوت مضمون لهم بسبب ذلك. من الممكن أن يفتخر المرء بإنكاره لنفسه ويفترض أنه بهذه الوسيلة قد صار له حق خاص

يطالب الله به. "قما من جهد مهما بلغ، حتى إنكار النفس أو التقشف، يستطيع أن يجعل الانسان تلميذا. التلمذة هبة خالصة من الله."[1] وحتى أولئك الذين قدموا تضحيات عظيمة في سبيل الله لا يبرُرون قدامه لهذا السبب؛ وحتى بطرس وأصحابه، الذين تخلوا عن كل شئ ليتبعوا يسوع، قد يفاجأون في يوم الحساب والمكافأة برؤية الآخرين يُفضَّلون عليهم.

إن الكلمات الواردة في لوقا ١٣:٣٠ (لكن بترتيب معكوس: "هوذا آخرون يكونون أولين، وأولون يكونون آخرين") أضيفت إلى توكيد يسوع بأنهم "سيأتون من المشارق والمغارب ومن الشمال والجنوب، ويتكئون في ملكوت الله" (في متى ٨:١١ هذا التأكيد يُقرَن بحادثة خادم قائد المئة). من الواضح أن الذين يأتون من أطراف الأرض الأربعة هم أمميون، بينما البعض من سامعي يسوع اليهود، الذين كانوا يتطلعون بثقة إلى مكان في الملكوت، إلى جانب "ابراهيم واسحق ويعقوب وجميع الأنبياء"، سيجدون أن الباب قد أوصد في وجههم. إن هبة الإنجيل المجانية يمكن أن تُبسَط "لليهود أولا" (رو ١:١٦)، لكن إذا كان الذين قُدِّمت لهم أولا لم يلتفتوا إليها، فإن الأمم، مع أنهم بدأوا متأخرين، سينالون بركاتها أولا (راجع ص ١٠٦-١٠٧).

يُختَم مثل عمال الكرم الوارد في متى٢٠:١٦(راجع ص ٢٠١) يختم بهذه الكلمات: "وهكذا يكون الآخرون أولين، والأولون آخرين." يذكر المثل أن العمال الذين استُأجِروا أخيرا نالوا في آخر اليوم الأجر نفسه الذي ناله الذين استُأجِروا عند الفجر. قد يقال بالحقيقة إنه في هذا الموقف لم يكن هناك أولون ولا آخرون: فقد عومل الجميع بالتساوي. لكن لهذه الكلمات تطبيق أوسع في خدمة يسوع. فالذين كانوا متقدمين في الفهم وممارسة الشريعة وجدوا انفسهم يتخلفون عن أولئك الذين احتقروهم بسبب قبولهم لبشارة ملكوت الله. فالابن الذي قال عندما سمع أمر أبيه،

---

[1] E. Schweizer, *The Good News According to Mark* (London, 1971,) p.215.

"ها أنا ياسيد" ولكنه لم يفعل شيئا سيعطي الأسبقيةَ بالطبع للابن الذي قال في البدايةَ، "ما أريد" ولكنه ندم أخيراً وعمل ما أمره أبوه. وبالمِثْل، قال يسوع لرؤساء الكهنةَ والشيوخ في أورشليم، "العشارون والزواني يسبقونكم إلى ملكوت الله" (متى ٢١:٢٨-٣٢). كان هذا قولا صعبا على الذين سمعوه، و لابد أن يكونوا قد حسبوه إهانةَ ـ كما يحسبه كثيرون من نظرائهم اليوم. لكن عمل يسوع يعكس أمورا كثيرة، وسيكون يوم الدين مليئا بالمفاجآت .

الفصل الخامس والعشرون

كثيرون يُدْعون لكن قليلون يُنْتَخبون

"لأن كثيرين يدعون ولكن قليلون ينتخبون" (مت ٢٢:١٤)

تظهر هذه الكلمات مرة واحدة، في نص الأناجيل الأصلي ــ كتعليق على مثل وليمة العرس الواردة في متى. في سياق نقل النص أصبح مقترنا بمثل عمال الكرم أيضا (مت ٢٠:١٦)، حيث يظهر مثلا، في A V ، لكن لا علاقة له بالحقيقة هناك.

هذا القول يبدو من حيث الصياغة قولا مثليا؛ توجد أقوال أخرى لها البنية نفسها في مواضع أخرى من الأدب القديم. يقتبس أفلاطون قولا يشير إلى سر الديانات: "كثيرون يحملون العصا السحرية، ولكن قليلون هم المدخلون في العضوية"[1]؛ أي، هناك كثيرون يسيرون في الموكب باتجاه مركز العبادة حاملين العصي المقدسة، ولكن قليلون فقط يسمح لهم بالدخول إلى معرفة السر الأعمق (الذي يمنح جائزة الخلود). ثمة قولان لهما هذه البنية نفسها ينسبان إلى يسوع أو إلى تلاميذه وردا في *إنجيل توما* الذي يعود إلى القرن الثاني. في القول ٧٤ يقول أحد تلاميذ يسوع له، "يا رب هناك كثيرون حول فوهة البئر، ولكن لا أحد داخل البئر." (البئر هي بئر الحق: كثيرون يدنون منها بدون أن يدخلوها. هذا القول بصيغته هذه يحمل طابعا غنوسيا؛ في الواقع يقتبس سلسوس celsus ، وهو كاتب معاد للمسيحية عاش في القرن الثاني، هذا القول من بحث غنوسي عنوانه *الحوار السماوي*.[2]) يرد جواب يسوع للتلميذ في القول ٧٥: "كثيرون يقفون خارج الباب، ولكن العازبين فقط هم الذين يدخلون حجرة الزفاف." (حجرة الزفاف بحسب المصطلحات الفنية الغنوسية هي

---

1 Plato, *Phaedo* 69 c.

2 Origen, *Against Celsus* 8.16.

المكان الذي تجتمع فيه النفس، بعد فراق، بعنصرها الملائم و"العازبون" هم أولئك الذن سموا فوق فوارق السن والجنس. من هنا فإن القول ٤٩ يَنسُب إلى يسوع قوله، "طوبى للعازبين والمنتخبين، لأنكم ستجدون الملكوت.")

لن تساعدنا الأفكار الغنوسية الواردة في *إنجيل توما* على فهم القول كما يرد في ختام مثل وليمة العرس. فـ "المدعوون" هناك هم الذين دُعوا إلى وليمة العرس؛ أما "المنتخبون" فهم الذين قبلوا الدعوة. لقد دعا الملك ضيوفا كثيرين إلى الوليمة، لكن قليلون فقط، من بين الذين دعوا جاءوا بالفعل، هذا إن جاء أحد، إلى الوليمة. الوليمة مَثَل عن الإنجيل والبركات التي يقدمها للمؤمنين. إن الدعوة للإيمان بالإنجيل و التمتع ببركاته تبسط لكل الذين يسمعونها. لكن إذا كان الجميع يتلقون الدعوة، فليس الجميع يستجيبون لها. إن الذين يستجيبون لها فعلا يظهرون بواقع استجابتهم أنهم "منتخبون". اعتاد اللاهوتيون البروتستانت أن يميزوا بين "الدعوة العامة"، الموجهة إلى جميع الذين يسمعون الإنجيل و"الدعوة المؤثرة فعلا"، التي يتلقاها الذين يستجيبون فعلا. يروي الجزء الثاني من كتاب *سياحة المسيحي* من تأليف جون بنيان كيف تعلمت كريستيانا وأسرتها هذا الدرس في بيت المفسر عن طريق الدجاجة وفراخها: "لديها دعوة عامة، تطلقها طوال النهار. ولديها دعوة خاصة، ولا تطلقها إلا بعض الأحيان. "الطريقة الوحيدة لتمييز الدعوة الفعالة عن الدعوة العامة هي أن الذين يسمعونها يستجيبون لها. "الدعوة الفعالة هي من عمل روح الله، وعن طريق هذه الدعوة يقنعنا، بخطيئتنا وتعاستنا، وينير أذهاننا بمعرفة المسيح، ويجدد إراداتنا فيحثنا على تقبل يسوع المسيح، المقدم لنا مجانا في الإنجيل، ويمكننا من ذلك."[3]

يصر بولس على "أنْ ليس الذين يسمعون الناموس هم أبرار عند الله بل الذين يعملون بالناموس يُبرَّرون" (رو ٢:١٣)، وأولئك الذين يسلكون "بحسب الروح" تتم

---

[3] *Westminister Shorter Catechism*, Answer to question 31.

فيهم "مطالب الناموس العادلة" (رو ٨:٤). بنفس المعنى يلح يعقوب على قرائه ليكونوا "عاملين بالكلمة، لا سامعين فقط" (يعقوب ١:٢٢).

إن المعلمين الغنوسيين الذين تنعكس أفكارهم في *إنجيل توما* كانوا يفضلون الفكرة القائلة أن "العازبين والمنتخبين" كانوا أقلية، شريطة أن يكونوا هم أنفسهم في عداد النخبة. في إحدى المناسبات حاول التلاميذ أن يجعلوا يسوع يبوح لهم بالعدد النسبي للمدعوين والمنتخبين، فسألوه، "يا سيد أقليل هم الذين يخلصون؟" (لو ١٣:٢٣). لكنه رفض أن يشبع فضولهم: لقد أمرهم ببساطة أن يتأكدوا من أنهم دخلوا من الباب الضيق، "فإني أقول لكم إن كثيرين سيطلبون أن يدخلوا ولا يقدرون."

كثيرا ما اعتبر أمرا مسلما به أن كلمات يسوع بشأن القلة النسبية للمخلَّصين لم تكن تشير فقط إلى فترة خدمته بل إلى كل وقت. في أواخر القرن الثامن عشر كان ويليام فيشر، شيخا في أبرشية موكلين Mauchline ، في آيرشاير Ayrshire ، وقد قدر النسبة بأنها واحد إلى عشرة. ولكن ذلك ليس إلا ضربا من التخمين، من قبل رجل، كان مقتنعا بأنه هو من المنتخبين، وقد فضل أن يبقي العدد صغيرا ومختارا. هذا التقدير، على أي حال، خلده شاعر اسكتلندا القومي.[4] مؤخرا قام السيد إنوك باول Enoch Powell بتفسير كلمات يسوع بصورة أكثر جدية، "قليلون ينتخبون" كتوكيد على "أن خلاصه لن يكون للجميع، وحتى ليس للأكثرية"، وقد أصر على أن "الجهل، وعدم الأهلية، والانحراف، والنزعة البشرية الطبيعية الصرفة إلى ارتكاب الخطأ، تكفي لتضمن معدل فشل مرتفعا".[5] بالحقيقة إنها تكفي لتكفل معدل فشل مائة بالمائة، لولا نعمة الله. ولكن عندما تبدأ نعمة الله بالعمل، يتحول الموقف.

---

[4] Burns, *Holy Willie's Prayer*, stanza 1.

[5] J. E. Powell, "Quicunque Vult", in *Sermons from Great St. Mary's*, ed. H. W. Montefiore (London, 1968), p. 96.

يجوز كل الجواز أن يسوع كان يتحدث على الخصوص عن الموقف إبان خدمته عندما تكلم عن القليلين والكثيرين. فحتى من يقرأ العهد الجديد بصورة متقطعة يستنتج أنه كان هناك زيادة عظيمة وسريعة في عدد تابعيه بعد موته وقيامته. فخلال بضعة اشهر بعد صلبه، تضاعف عدد تابعيه في فلسطين عشر مرات عما كان عليه خلال خدمته. ويتحدث بولس، أعظم لاهوتيي المسيحية الأصلية، عن أولئك الذين نالوا الفائدة الخلاصية من عمل يسوع باعتبارهم "كثيرين" (رو ٥:١٥،١٩). ما من تفسير معقول يمكن أن يجعل "الكثيرين" تعني الأقلية، لأنه، كما عبر جون كالفن في تفسيره لكلمات بولس، "إذا كان سقوط آدم قد أدى إلى تدمير كثيرين، فنعمة الله أشد فعالية بكثير وأقدر على تقديم النفع لكثيرين، نظرا إلى أن المسيح باعتراف الجميع يملك قدرة على الخلاص تفوق قدرة آدم على التدمير."[٦]

---

[6] J. Calvin, *Romans and Thessalonians*, English translation (Edinburhg, 1961), pp. 114-115.

لباس العرس

"يا صاحب، كيف دخلت إلى هنا وليس عليك لباس العرس؟" (متى ٢٢:١٢)

تُقرَن حادثة الرجل الذي لم يكن له لباس عرس، في إنجيل متى، بمثل وليمة العرس (متى ٢٢:١-١٠). لِمَثَلِ وليمة العرس نظير هو مَثَلُ الوليمة العظيمة في لوقا ١٤:١٦-٢٤ . توجد اختلافات في التفاصيل بين المثلين، لكن الموضوع الرئيسي للقصة واحد: المضيف (ملك في صيغة متى) يدعو كثيرين، ولكن في يوم الوليمة يستعفون لأسباب متنوعة. لكن جميع الاستعدادات قد اتخذت: الطعام (وهو متوفر بكثرة) ينتظر من يأكله. لذلك يرسل المُضيف عبيده إلى الشوارع والطرقات ليجمعوا من يجدونهم ويجلبوهم إلى قاعة الوليمة. وتمتلئ جميع الأماكن الفارغة، تمتلئ بأناس سعداء جدا لمجرد أنهم منحوا وجبة كاملة. إنهم يأكلون كل ما قدم لهم دون أن يتركوا منه شيئا، حتى لو لم يهتم بالوليمة الذين دعوا إليها بالأصل.

يُفهَم هذا المثل بسهولة باعتباره مثلا عن مناداة يسوع بملكوت الله. إن الناس المتدينين، الذين كانوا يواظبون على حضور المجمع بانتظام، لم يكونوا مهتمين حقا بما سيقوله واحتقروا البشارة التي جاء بها. أما منبوذو المجتمع فأقروا برسالته على أنها الشئ الذي كانوا ينتظرونه بالفعل. إن بركات الإنجيل، أي غفران الآب الحبي، لاءمت بالضبط حاجتهم و قد أمسكوا بتوق ما أعطاه يسوع.

لكن لباس العرس يمثل مشكلة. فكيف ينتظر أن تكون لدى من جُمِعوا من الشوارع ملابس ملائمة لمناسبة احتفالية؟ سئل أحدهم كيف دخل دون لباس العرس، لكن كان يمكن أن ينتظر منهم جميعا أن يكونوا مثله غير مزودين بملابس فاخرة. ولو جاء أحدهم مرتديا فعلا لباس العرس لعد ذلك أكثر بعثا على الدهشة.

قد يقترح أحدهم أن يكون المضيف الملكي قد زودهم بفطنة بالملابس الملائمة، ولكن هذا غير مذكور في المثل. والإشارة الضمنية هي أنه كان بوسع الرجل الذي لم يكن يرتدي ثيابا ملائمة أن يكون قد جاء مرتديا ما يلائم. وعندما اتهم بفشله لم يكن عنده عذر: لقد "عجز عن الكلام".

من المرجح جدا أن يكون هذا بالأصل مثلا مستقلا. إذا كان المضيف ملِكاً، كان المنتظر من أولئك الذين دعوا إلى الوليمة أن يأتوا مرتدين ثيابا ملائمة. فالتقصير في هذا المجال هو إهانة متعمدة للمضيف. قد يحسب المتهم نفسه محظوظا إذا لم يحدث له ما هو أسوأ من تقييده وطرحه في الظلمة الخارجية، لكي يصر بأسنانه حزينا على نفسه وآسفاً لكونه أحمق إلى هذا الحد. إن طلب لباس عرس، لا يلائم نهائيا أناسا جُمِعوا من الشوارع وأُلزِموا بالمجئ والتمتع بعشاء مجاني، لكنه ملائم جداً للضيوف الذين يدعوهم عادة ملك أو شخص عالي المكانة إلى الغداء معه. ما هي إذاً غاية اللباس في المثل، إذا كان بالأصل مثلا مستقلا؟ تستخدم الملابس في الكتاب المقدس في أحوال ليست قليلة كرمز يدل على الخلق الشخصي، ومن الممكن أن يفهم ضمنا أن البعض قد يظنون أنفسهم مخولين ليُحْسَبُوا بين "أبناء الملكوت" أو تابعي يسوع، غير أن أخلاقهم تتنافى مع اعتراف كهذا. فإذا كان الأمر كذلك، كان مَثَلُ لباس العرس تحذيرا من التلمذة الزائفة: فليس قول "يا رب، يارب" هو الذي يدخل المرء إلى الملكوت، بل فِعْل إرادة الآب السماوي (مت ٧:٢١).

لَعْنُ التينة

"*لا يأكل أحد منكِ ثمرا بعد إلى الأبد*" (مر ١١:١٤)

روى مرقس هذه الحادثة، ورواها متى بشكل أكثر تركيزا. بحسب ما روى مرقس، أمضى يسوع وتلاميذه الليلة التي أعقبت دخوله إلى أورشليم في بيت عنيا. في الصباح التالي عادوا إلى أورشليم. وفي الطريق أحس يسوع بالجوع، "فنظر شجرة تين من بعيد عليها ورق وجاء لعله يجد فيها شيئا. فلما جاء إليها لم يجد شيئا إلا ورقا، لأنه لم يكن وقت التين." بعد ذلك وردت الكلمات المقتبسة أعلاه. لقد تابعوا طريقهم إلى أورشليم، حيث قام يسوع في ذلك اليوم بتطهير الهيكل؛ وفي المساء عادوا إلى بيت عنيا. في الصباح التالي، فيما هم سائرون مروا من ذلك المكان، فرأوا التينة قد يبست من الأصول. وتذكر بطرس وقال له، "يا سيدي، انظر! التينة التي لعنتها قد يبست" (مر ١١:٢٠-٢١).

ألم يكن أمرا منافيا للمنطق لَعْنُ التينة لعدم حملها ثمرا، في حين أنه، كما بين مرقس، "لم يكن وقت التين"؟ هذه المشكلة تم توضيحها على خير وجه في مناقشة وردت في كتاب "التينة العقيمة" الذي نشره قبل عدة سنوات و. م. كريستي W. M. Christie ، وهو قس من كنيسة اسكتلندا كان يخدم في فلسطين إبان حكم الانتداب البريطاني. أشار أولا إلى الوقت الذي جرت فيه الحادثة (إذا كان صلب يسوع قد تم، كما يرجح، في السادس من نيسان عام ٣٠ م، فالحادثة وقعت خلال الأيام الأولى من نيسان). كتب كريستي، "لدينا هذه الحقائق المتعلقة بشجرة التين. حوالى نهاية آذار تبدأ الأوراق بالظهور، وخلال أسبوع تقريبا يكتمل كساء الشجرة الورقي. يتصادف مع [هذا] وحتى قبله أحياناً ظهورُ محصول لا يستهان به من ثمار التين

الصغيرة، التي ليست تينا حقيقيا، وإنما نوع من البواكير . تنمو هذه الثمار حتى تصل إلى حجم ثمار اللوز الخضراء، وفي هذه الحال يأكلها الفلاحون وغيرهم إذا كانوا جائعين. وعندما تصل هذه الثمار إلى نضجها الذي لا يمكن تحديده تسقط."[1] هذه البواكير التي تسبق الثمر الحقيقي تدعى *طقش* [فقاع] باللهجة الفلسطينية. وظهورها مؤشر إلى ظهور ثمار التين الحقيقية التامة التشكل بعد ذلك بستة أسابيع. وهكذا، كما يقول مرقس، لم يكن قد حان وقت ثمار التين. لكن إذا ظهرت الأوراق دون أي *طقش*، فهذه علامة على أنه لن يكون هناك ثمار تين. ونظرا إلى أن يسوع لم يجد "شيئا إلا ورقا" ـ ورقا دون أي *طقش* ـ فقد عرف أنها "كانت شجرة تين عقيمة ميؤوس منها تماما"، وهذا ما قاله.

ولكن إذا كان هذا هو التفسير الحقيقي لكلماته، فلماذا يكلف أحد نفسه عناء تدوين الحادثة وكأنها ذات دلالة خاصة؟ ذلك لأنها كانت ذات دلالة خاصة. هذه الحادثة كما رواها مرقس، هي مَثَلٌ مُمَثَّل يهدف إلى الدرس الذي يهدف إليه مثَلُ التينة العقيمة المَرْوِيّ، الوارد في لوقا ١٣:٦-٩. في المثل المرويّ جاء صاحب الكرم ثلاث سنين متعاقبة متوقعا أن يجد ثمرا على تينة في كرمه، وعندما مرت السنوات الثلاث واحدة تلو الأخرى وتبين له أن التينة عقيمة، طلب من الرجل المسؤول عن كرمه أن يقلعها، لأنها كانت تعطل الأرض دون فائدة. في كلا المثَلَيْن، المُمَثَّل والمَرْويّ، يصعب تجنب استنتاج مفاده أن التينة تمثل مدينة أورشليم، التي لم تستجب ليسوع الذي جاءها برسالة من الله ولذلك جلبت على نفسها الدمار. في موضع آخر دوّن لوقا كيف بكى يسوع على عمى المدينة عن رؤية ما هو لسلامتها وتنبأ بخرابها "لأنك لم تعرفي زمان افتقادك" (لو ١٩:٤١-٤٤). ونظرا إلى أن مرقس أدرك أن حادثة لعن التينة تُبَلِّغ الرسالة نفسها، فقد سجلها، ثم سجلها متى.

---

[1] Reprinted in W. M. Christie, *Palestine Calling*, (London, 1939), pp. 118-120.

الفصل الثامن والخمسون

الإيمان الذي ينقل الجبال

"لأني الحق أقول لكم، من قال لهذا الجبل، ' انتقل وانطرح في البحر' ، ولا يشك في قلبه، بل يؤمن أن ما يقوله يكون فمهما قال يكون له" (مر ١١:٢٣)

"لو كان لكم ايمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذه الجميزة انقلعي وانغرسي في البحر فتطيعكم." (لو١٧:٦)

"الحق اقول لكم، لو كان لكم ايمان مثل حبة خردل، لكنتم تقولون لهذا الجبل، ' انتقل من هنا إلى هناك' ، فينتقل ؛ ولا يكون شئ غير ممكن لديكم" (مت ١٧:٢٠)

من بين هذه الأقوال، أوالصيغ المتنوعة لقول أصلي، يؤكد الإمكانات غير المحدودة المتاحة أمام الإيمان، جاءت صيغة مرقس (وعلى غرارها ما جاء في متى ٢١:٢١) ضمن إطار حياتي هو الأسبوع المقدس ومكان قريب من أورشليم؛ قد تكون صيغة لوقا من مجموعة Q، وفي هذه الحال تجمَعُ الصيغة الواردة في متى ١٧:٢٠ (التي هي تفصيل لكلمات يسوع الموجهة إلى التلاميذ بعد شفاء الصبي المصاب بالصرع الذي كان بانتظار يسوع عند أسفل جبل التجلي) بين أجزاء من مرقس وأجزاء من Q.

مهما يكن من أمر، فإن يسوع يوضح قوة الإيمان عن طريق تشبيهات من العالم الطبيعي. فإذا وُجِد الإيمان، أي إيمان على الإطلاق، ولو بمقدار لا يزيد عن حبة خردل، أمكنه أن يحقق العجائب: فكر في كِبَر النبات الذي ينشأ عن شئ في صغر حبة الخردل. يتحدث مزمور ٤٦:٢ بلسان حال المؤمنين والمؤمنات بالله الذين لا يزعزعهم اضطراب الطبيعة العنيف مجازيا أو فعليا لأن الله ملجأهم وقوتهم، فيقول: "لانخشى ولو تزحزحت الأرض ولو انقلبت الجبال إلى قلب البحار". ربما

كان يسوع يستخدم تعابير معينة على نحو مجازي ليصف ما يحققه الإيمان المقتدر من مفاعيل لا تُقَدَّر.

ولكن ربما كان في صيغة الكلمات كما أوردها مرقس نقطة أوضح . ففي هذه الرواية وُجِهت الكلمات إلى التلاميذ بعد حادثة لعن التينة. قد لا يبدو أنه توجد رابطة قوية بين تلك الحادثة وبين الدرس المتعلق بقوة الإيمان. إلا أن المكان الذي قيلت فيه الكلمات بحسب ما روى مرقس يؤمن الرابطة المطلوبة. لقد قيلت في الصباح، فيما اتخذ يسوع وتلاميذه طريقهم من بيت عنيا إلى أورشليم، مجتازين في جبل الزيتون. وهكذا يكون "هذا الجبلُ" في روايةَ مرقس جبلَ الزيتون.

وبحسب التوقع السائد لحلول وقت النهاية، كان جبل الزيتون يلعب دورا خاصا؛ إذ سيكون مسرحا لزلزال عنيف في يوم الرب. وقد قال أحد الأنبياء(مشيراً إلى اليوم الذي يقوم فيه إله اسرائيل بعمله الأخير ضد أعداء شعبه)، "وتقف قدماه في ذلك اليوم على جبل الزيتون الذي قدام أورشليم من الشرق فينشق جبل الزيتون من وسطه نحوالشرق ونحوالغرب واديا عظيما جدا؛ وينتقل نصف الجبل نحو الشمال ونصفه نحوالجنوب" (زكريا ١٤:٤). فلو كان هذا الأمر، ونبوات العهد القديم المرتبطة به، في ذهن يسوع وهو في طريقه عبر جبل الزيتون، فربما كان قصده، "لو كان لكم إيمان كاف بالله، لجاء يوم الرب بأسرع مما تظنون." (من الواجب الإقرار بالفضل من جهة هذا الاقتراح لعمل قام به الأستاذ ويليام مانسن William Manson ، ونشر في عام ١٩٤٣.[1])

[1] W. Manson, *Jesus the Messiah* (London 1943) , pp. 29f. , 39f.

وأنا لا أقول لكم

"وأنا لا أقول لكم بأي سلطة أعمل هذه الأعمال" (مرقس ١١:٣٣، ث ع ج ؛ مت ٢١:٢٧؛ لوقا ٢٠:٨)

لماذا رفض يسوع أن يعطي جوابا مباشرا للذين سألوه عن سبب قيامه بالأعمال التي قام بها؟

حدث ذلك خلال الأسبوع المقدس، بينما كان يسوع يسير في أفنية الهيكل في أورشليم، حيث جاء إليه بعض الممثلين عن السنهدرين، وهو محكمة إسرائيل العليا (وكان يتكون من رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ، كما يخبرنا مرقس في الآية٢٧)، وسألوه، "بأي سلطة تعمل هذه الأعمال، أو من أعطاك هذه السلطة لتعملها؟" ولم يقصدوا بـ "هذه الأعمال" تعليمه في الدار الخارجية للهيكل بقدر ما قصدوا تطهيره للهيكل، الذي جرى في اليوم السابق. بأي حق وضع نهاية للشراء والبيع ضمن نطاق الهيكل، أو بأي حق منع "كل من يحمل بضاعة أن يمر من داخل الهيكل" - أي أن يستخدموا الدار الخارجية كقادومية في رحلاتهم القصيرة لقضاء أشغالهم؟ ربما كان كثيرون من القادة الدينيين يتفقون معه في عدم جواز تحويل المنطقة المقدسة إلى سوق، لكن قوة الشرطة التابعة للهيكل كانت هي المسؤولة عن الحفاظ على قدسيته: فمن فوّض يسوع ليقوم بما قام به؟

كان تطهيره للهيكل عملا لو حدث في أزمنة العهد القديم لاعتُرِف به أنه عمل نبوي – أي ذلك النوع من العمل الذي كان النبي أحيانا يستخدمه ليثبت رسالته المنطوقة ليجعل الناس المحيطين به يفهمونها. لقد احتج يسوع على ما كان يحدث في الهيكل لأنه حال دون تحقيق الغاية من الهيكل وهي أن يكون "بيت صلاة لجميع

الأمم" (قارن إش ٥٦:٧) . لم يكن مسموحا للأمم أن يدخلوا الديار الداخلية، لكن كان بإمكانهم أن يدخلوا الدار الخارجية ويقتربوا إلى الله الحي الحقيقي ويسجدوا له، كما فعل أولئك "اليونانيون" الذين، وفقا ليوحنا ١٢:٢٠، صعدوا ليسجدوا في عيد الفصح. بسبب هذا كانت الدار الخارجية تدعى أحيانا "دار الأمم". لكن الأمم مُنِعوا من استعماله على الوجه الصحيح لأن الحيز الذي فيه شُغِل بمقاعد بيع السلع وما شاكلها. كان أحد أنبياء العهد القديم المتأخرين قد تنبأ بأنه عندما يصعد ممثلو جميع الأمم إلى أورشليم ليسجدوا "لا يكون بعد تجار في بيت الرب"(زكريا ١٤:٢١ ، ت ع ج). لقد تعمد يسوع بعمله النبوي أن يعزز هذه الأمثولة.

لكن بأي سلطة قام يسوع بهذا العمل النبوي؟ بأي سلطة أدى أي واحد من الأنبياء القدماء عمله النبوي؟ بسلطة الله، الذي باسمه كلموا الشعب. وهكذا، عندما سئل يسوع، "من أعطاك هذا السلطان؟" كان الجواب الحقيقي "الله". فلماذا لم يقل ذلك؟ لأن سائليه ما كانوا ليصدقوه. لقد امتحنهم أولا بسؤال آخر، ليرى ما إذا كانوا قادرين على تمييز السلطان الإلهي إذا رأوه. وإذ ذكّرهم بخدمة يوحنا المعمدان، سألهم عما إذا كانت "من السماء (أي من الله) أم من الناس". هذا السؤال وضعهم في مأزق: "فجادل بعضهم بعضا، إن قلنا "من السماء"، يقول "فلماذا لم تؤمنوا به؟" ولكن هل نقول، "من الناس"؟' ـ فكانوا يخافون الشعب، لأن الجميع اعتقدوا أن يوحنا كان نبيا حقيقيا." هل استطاعوا أن يميزوا السلطان الإلهي كما عبرت عنه أعمال يوحنا وتعليمه؟ إذا كانوا قد استطاعوا، فربما كان متوقعا أن يميزوه عندما تَبَيَّنَ في أفعال وكلمات يسوع. لكنهم أقروا بأنهم غير قادرين على أن يقولوا ماذا كان مصدر سلطان يوحنا. ولهذا قال لهم يسوع بالحقيقة، "إذا كنتم غير قادرين على تمييز السلطان الإلهي عندما ترونه في طور العمل، فلن تقتنعكم بحضوره أي حجة مهما كانت قوية. إذا كنتم لا تستطيعون أن تقولوا لي بأي سلطان عَمِدَ يوحنا، فلن أقول

لكم بأي سلطان أعمل هذه الأعمال." بعض الناس يطلبون سلطانا يدعم الحق نفسه، ناسين أن الحق هو أعظم سلطان (راجع ص ٩٨ ـ ٩٩).

الفصل الستون

أعطوا لقيصر

"أعطوا ما لقيصر لقيصر، وما لله لله" (مرقس ١٢:١٧)

لا يبدو هذا القول لكثيرين من قراء الأناجيل قولا صعبا بخاصة. فهم يدفعون الضرائب للدولة ويقدمون دعما ماليا للكنيسة ولمختلف أشكال النشاط الديني والعمل الخيري، ويرون أن هذا يتفق جدا مع القصد من كلمات يسوع. إلا أن آخرين يجدون في هذه الكلمات مادة للنقاش، ويجادلون بالقول إن معناها ليس واضحا أبدا، أو أنه، إذا كان واضحا، يختلف كل الاختلاف عما يفهم منها عادة. مهمتنا الأولى هي النظر في الإطار الذي قيلت فيه هذه الكلمات. ومتى فعلنا ذلك أمكننا أن نتحقق من أن بعض من سمعوها شعروا بأنها تشكل بالحقيقة قولا صعبا.

روى مرقس، وحذا حذوه متى (٢٢:١٥-٢٢) ولوقا (٢٠:١٩-٢٦)، أن وفدا من الفريسيين والهيرودسيين جاء إلى يسوع بينما كان يعلم في أفنية الهيكل خلال زيارته الأخيرة إلى أورشليم، وبعد أن عبروا عن ثقتهم بأنه سيعطيهم جوابا صريحا، دون خوف أو محاباة، سألوه عما إذا كان دفع الضرائب لقيصر أمرا جائزا أم لا. وعنوا بكلمة "جائز" أنه "يتفق مع شريعة الله، التي هي أساس حياة اسرائيل الجماعية". يقول مرقس إن الذين سألوه رسموا خطة "لكي يصطادوه بكلمة" (مرقس ١٢:١٣)؛ ويوضح لوقا هذا بتعابير لا لبس فيها: يقول، كان قصدهم "أن يمسكوه بكلمة حتى يسلموه إلى حكم الوالي وسلطانه" (لوقا ٢٠:٢٠). كان الوالي أو الحاكم الروماني لليهودية ممثل القيصر، فأي تقصير من جانبه في دفع الضرائب للقيصر كان سيجلب له أشد العقاب.

كان السؤال، بالحقيقة سؤالا حساساً. بعد موت هيرودس الكبير، ملك اليهود، عام ٤ م قسم الرومان مملكته إلى ثلاثة أقسام، وأعطوا قسما لكل واحد من أبنائه. فحكم هيرودس أنتيباس الجليل، حيث عاش يسوع معظم حياته، ودام حكمه حتى عام ٣٩ م . أما اليهودية، وهي القسم الجنوبي، فأعطيت مع أورشليم عاصمتها إلى أرخيلاوس (قارن متى ٢٢:٢). كان أبناء هيرودس يستوفون الضرائب من رعاياهم، كما فعل هيرودس أبوهم. ولم يكن الملوك الذين حملوا لقب هيرودس محبوبين، لكنهم كانوا يهوداً من حيث وضعهم الديني، لذلك لم تقف في طريق دفع الضرائب لهم أي مصاعب دينية. لكن حكم أرخيلاوس لليهودية كان حكما ظالما، حتى أن الامبراطور الروماني عزله من منصبه بعد تسع سنوات ليحبط حركة عصيان، وأعاد تنظيم اليهودية وجعلها مقاطعة رومانية، تحكم من قبل حاكم روماني يعينه القيصر نفسه. ومنذ ذلك الحين توجب على سكان اليهودية أن يدفعوا ضرائبهم إلى الامبراطور الروماني قيصر. وقد أُجرِيَ إحصاءٌ للسكان في عام ٦ م لتحديد مقدار الجزية التي يجب أن تدفعها المقاطعة الجديدة.

خضع اليهود حقبا طويلة من تاريخهم لحكام من الأمم حكموهم حكما مطلقا، ولكن لم يسبق قط أن علمهم نبي أو معلم ديني أن قيامهم بدفع الضريبة لأولئك الحكام كان أمرا خاطئا. بعكس ذلك، علمهم الأنبياء أنهم إذا وقعوا تحت سيطرة الأمم، كان هذا بسماح من الله، ووجب عليهم أن يسلموا بالإرادة الإلهية بدفعهم الضريبة إلى حكامهم الأجانب. ولكن في الوقت الذي جرى فيه الإحصاء تقريبا عام ٦ م بدأ ينتشر تعليم جديد، مفاده أن الله وحده هو ملك إسرائيل، ولذلك كان إقرار شعبه بأي حاكم أممي بدفع الضريبة له خيانة لله. كان يهوذا الجليلي، المعلم الأكبر لهذا التعليم الجديد، وهو الذي قاد حركة عصيان ضد الرومان (قارن أعمال ٣٧:٥). سُحِقَ العصيان، لكن مبادئه ظلت حية، واستمرت قضية الموافقة على دفع الضرائب لقيصر موضوعا للنقاش اللاهوتي. كان من المتفق عليه بعامة أن اليهود

في بلدان الشتات، الذين عاشوا على أرض أممية، يتوجب عليهم أن يدفعوا الضرائب بما يتفق مع قوانين المناطق التي عاشوا فيها. لكن أرض إسرائيل كانت أرض الله؛ وكان هذا أمرا معترفا به من قبل سكانها عندما كانوا يقدمون عشر منتوجها لأجل صيانة الهيكل في أورشليم. لكن الضرائب التي طالب بها الامبراطور الروماني كانت أيضا من نتاج أرض الله. فهل كان يحق لشعب الله، الذي يعيش على أرض الله، أن يعطي نسبة من نتاجها إلى حاكم وثني؟ عندما صيغ السؤال بهذه التعابير كان الجواب الواضح برأي كثيرين هو "لا".

فماذا كان يسوع سيقول؟ أثناء إقامة يسوع في الجليل لم يطرح السؤال: كانت الضرائب في تلك المنطقة تدفع إلى رئيس ربع يهودي. ولكنه عندما زار اليهودية، جاء إلى مكان يعد فيه السؤال ملحاً. ومهما كان جوابه، فكان سيستحيل تجنب إغضاب السائلين. فلو قال إنه ما كان جائزا دفعُ الجزية لقيصر، لسمع الحاكم الروماني بقوله ولعرض يسوع نفسه لتهمة التحريض على العصيان. ولو قال إنه كان أمرا جائزا لأثار غيظ الذين آمنوا بمثاليات يهوذا الجليلي، ولاعتقد كثيرون بأن يسوع لم يكن وطنيا. وكان هذا سيؤدي إلى فقدانه الكثيرمن تابعيه في اليهودية.

قال يسوع: "إيتوني بدينار لأنظره." كان الدينار عملة رومانية؛ وكانت الضرائب الرومانية تدفع بالعملة الرومانية. ولما أخذ الدينار سألهم، "صورة من هذه؟ واسم من؟" أجابوا ، طبعا، "قيصر". قال يسوع ، العملة التي تحمل صورة قيصر هي بكل جلاء عملة قيصر؛ فليُعطَ قيصرُ عملتُه. إن الفعل المترجم "يعطي" يفيد معنى رد شئ لصاحبه.

هل كان يلمح إلى أن استعمال عملة قيصر كان إقرارا ضمنيا بسيادة قيصر؟ ربما. كان بعض اليهود على درجة من الأرثوذكسية إلى حد أنهم ما كانوا يقبلون ان ينظروا إلى، بلْهَ أن يمسكوا بـ ، قطعة نقد تحمل صورة انسان. ولماذا ؟ لأنها تخالف الوصية الثانية من الوصايا العشر، التي حظرت صنع "صورة أي شئ مما

في السماء من فوق، أو ما في الأرض من تحت، أوما في الماء من تحت الأرض" (خر ٢٠:٤). لم يشارك يسوع في هذا الموقف بالضرورة ــ لم يُعِر المال اهتماما كبيرا ـ لكن ربما كان في كلماته تضمين لقي التقدير من قبل الفريسيين الذين كانوا بين السائلين: هذه النقود لم تكن مناسبة ليستعملها الذين كانوا من كثيري الشكوك والوساوس بشأن حفظ شريعة الله، وينبغي أن تعود من حيث أتت. كان الاستخدام الأمثل لنقود قيصر هو لدفع الجزية لقيصر. إذا كان هذا ما أراده قيصر، فليأخذه؛ مطالب الله لم تنتهك باستعمال نقود قيصر على هذا النحو. الأمر المهم كان اكتشاف ماذا كانت مطالب الله، والعمل على تلبيتها. مرة أخرى شدد يسوع بصورة أساسية على طلب ملكوت الله وبره.

لقد ميز بعض المفسرين مزيدا من التعابير الملتبسة البارعة في جواب يسوع، وكأنه، على سبيل المثال، ضَمّن في "ما لله" نتاج أرض الله وعنى أنه لا يجوز أن يذهب شئ منها إلى قيصر، حتى ولو حُوّل إلى نقود رومانية . لكن هذا النوع من التفسير يجعل مسألة تقديم الدينار له بجملتها عديمة الهدف. ومن المؤكد أن جوابه ما كان ليرضي أولئك الذين اعتقدوا بأن دفع سكان اليهودية جزية لقيصر أمر خاطئ. وإذا كان بعض الواقفين متأثرين بكيفية دخوله إلى أورشليم قبل بضعة أيام وكانوا يتوقعون أن يقوم بإعلان الاستقلال، فلا بد أنهم أصيبوا بخيبة أمل. بالحقيقة، يبدو أن الحماس له في أورشليم قد قل كثيرا في آخر الأسبوع المقدس عما كان عليه في بدايته. من جهة أخرى ، إذا رجا السائلون أن يعرض نفسه للخطر بجوابه لهم، فقد أصيبوا هم أيضا بالخيبة. فهو لم يتجنب فقط المعضلة التي ارادوا أن يطوقوه بها، لكنه حولها بحيث أكد من جديد على الموضوع المركزي في خدمته.

لا تَدْعوا أحداً أباً

"ولا تَدعوا أحداً أباً على الأرض ، لأن أباكم واحد الذي في السموات (مت ٢٣:٩)

في معرض انتقاده للكتبة، ضمن حديثه الذي ورد في متى ٢٣، تكلم يسوع مستنكرا رغبتهم في ألقاب الشرف: "يحبـون ... التحيات فـي الأسـواق، وأن يدعوهـم النـاس سيدي سيدي rabbi " (متى ٢٣:٧). ثم التفت إلـى تلاميذه وطلـب منهـم ألا يكونـوا هكـذا: "أمـا أنتم فـلا تُدعَـوْا سيدي، لأن معلمكـم واحـد، وأنتـم جميعـاً إخـوة" (متـى ٢٣:٨). كانت "سيدي[راباي]" لقبا يدل على الاحترام يعطيـه تلميـذ يهـودي لمعلمـه، وكان كل معلم معروف يعرف لدى العامة بأنه راباي فلان. ودعي يسـوع رابـاي – يا معلم من قبل تلاميذه ومن قبل آخرين؛ ومنح هذا اللقب علـى سـبيل المجاملـة أو علامة على الاحترام. لكن دلالة هذه الكلمة، بحسب متـى، كـان مشـكوكا فيهـا: ففـي إنجيله يدعو يسوعَ رابـاي تلميذٌ واحـد فقـط هـو يهوذا الاسـخريوطي، ويفعـل ذلـك مرتين: مرة على مائدة العشاء، عندما استجاب لإعلان يسوع عن حضور خائن فـي الجماعة بقوله، "هل أنا هو يـا سيدي؟" (متـى ٢٦:٢٥)، ومـرة فـي جثسيماني حيـن كانت عبارة "السلام يا سيدي!" التي رافقت قبلته ليسوع علامة لجند الهيكل علـى أن يسوع هو الشخص المطلوب القبض عليـه (متـى ٢٦:٤٩). هـذا الموقـف مـن لقـب "راباي" يمكن أن يلقي بعض الضوء علـى الإطـار الـذي عمـل متـى ضمنـه والجـدل اللاهوتي الذي انخرط فيه.

قال يسوع لتلاميذه إذاً، ارفضوا كل ألقاب المجاملة: لكم معلم واحد، وأنتم جميعـا أفراد أسرة واحدة. إن أفراد الأسرة لا يخاطب بعضهم بعضا بالألقاب الرسمية، حتى إذا كان بعضها يدل على لقب امتياز. عندما يُمنَـح جـون سـميث John Smith رتبـة

فارس، فإن إخوته، الذين خاطبوه حتى الآن بـ "جون"، لا يبدأون بمخاطبتـه مواجهـة "سير جون"، مع أن الآخرين يمكن أن يفعلوا ذلك على الوجه الصحيح. إنـه مـا زال "جون" بالنسبة لهم.

لكن ماذا بشأن لا تَدْعوا أحداً أبا ؟ هل عنى يسـوع أن علـى تابعيـه ألا يخـاطبوا آباءهم بطريقة تعترف بعلاقتهم الخاصة ؟ ربما يظن بعضهم أن هذا فقط هو ما عناه يسوع، وذلك في ضوء حقيقة أنه لم يرد عنه قط أنه خاطب مريم بـ "أمي". لكـن هـذا بعيد الاحتمال: فهو يتحدث عن ألقاب التبجيل بين تلاميذه. ومن غير المحتمل كذلـك أنه عنـى "لا تدعـوا أحـدا ' أبـا ' سـوى اللـه وحـده." وذلـك لسـببين أولهمـا، أن مـن الطبيعـي أن قـراء متـى الذيـن يتكلمـون اليونانيـة مـا كـانوا سـيفهمون كلماتـه بهـذا المعنى؛ وثانيهما هو أن الغاية كلها من مخاطبة الله بـ "أبّـا" هي أن هذه الكلمة كانت الكلمة البيتية العادية التي يخاطَبُ بها الأبُ في الأسرة، والاحتفاظ بـ "أبّـا" كلقـب للـه وحده من شأنه أن يلغي دلالتها (راجع ص ١٤١). لكن يجوز كل الجواز أن يكـون المعنى الذي قصده يسوع هو: بـالمعنى الروحـي اللـه وحـده هـو أبوكـم؛ فـلا تعطـوا للآخرين الوصف الذي، بهذا المعنى، يخص الله وحده دون سواه. كان يسوع معلما لتلاميذه، وكانوا يدعونه "يا معلـم"، لكنهم لـم يدعـوه أبـدا "الآب"؛ فهـذا كـان وصـف يسوع لله.

لكن ألم يتكلم بولس عن نفسه بوصفه أبا للمهتدين على يده، نظـراً إلـى أنـه، كمـا قال، إصار "أباهم في المسيح يسوع بالإنجيل"حسب RSV] (١كو ٤:١٥)؟ بلى، لكنه كان يستخدم تشبيها روحيا، ولم يكن يَدَّعي لقبا. أوَ لم يكن بولس، في إصراره علـى سلطانه "كرسول ليسوع المسيح؟" يخالف على الأقل روح تحذيـر يسـوع لتلاميـذه ؟ كلا لم يفعل ذلك، لأنه هنا أيضا لم يكن يدعي لقبا بل كان يدعم حقيقة: بالحقيقة لقد كُلِّف بولس وأُرسِل من قبل الرب المقام، ومن ذلك استمد كل سلطان تكلم به. علـى

غرار ذلك إن كان أحد يقوم بعمل الأسقف (مثلا) أو الراعي، فإن مخاطبته بـ "أسقف فلان" أو "الراعي فلان" هو ببساطة إقرار بالخدمة التي يؤديها.

بعض المسيحيين كما نعلم، قد فسروا كلمات يسوع هذه على نحو حرفي مبالغ فيه إلى حد أنهم يُحجِمون حتى عن استعمال كلمة "سيد Mister" الديموقراطية جدا، ربما لأنها مشتقة من كلمة "Master"، إما غير مستخدمين أي لقب على الإطلاق أو مفضلين شيئا تبادليا مثل "صديق" أو "أخ". وآخرون، معتبرين (بحق على الأرجح) أن استخدام هذه الألقاب التبجيلية في الحياة الدينية هو ما يستنكره يسوع، يرفضون استخدام اللقب "محترم The Reverend" للخادم، محلين محله "سيدMr" (وهو لائق تماما) أو واضعين إياه (أثناء الكتابة) ضمن قوسين (وهذه حماقة) أو حتى ضمن معترضتين (وهذا أمر مُهين). لكن، وكما هوالحال مع كثير من وصايا يسوع، يمكن أن تنفذ هذه الوصية بطريقة متكلفة أو تافهة تدمر روح تعليمه. إذا كان هناك كاهن كاثوليكي في مكان ما معروف لدى كل الجماعة باسم الأب جونز Father Jones، فسأكون ببساطة بليدا إذا أصررت على مناداته بشئ آخر. وإذا فكرت في ما هو المقصود بمخاطبتي له بـ: الأب جونز، فسوف استنتج على الأرجح أنه ليس أبي *انا* بأي معنى لكنه دون شك أب حقيقي في الله لجماعة كنيسته. كلمة "أب Father" بهذا المعنى مرادفة لكلمة "راع Pastor"؛ التعبير الأول يرى الجماعة كأسرة والتعبير الأخير يراها كقطيع من الأغنام.

عندما وصل أسقف جديد إلى أسقفية diocese في انكلترا منذ بضع سنوات، أمكنه بسرعة أن يعرّف الناس بأنه لا يرغب في أن ينادى بـ " سيدي My Lord ". يمكن القول ، إن هذا كان إذعانا أصيلا لروح كلمات يسوع هذه.

يا أولاد الأفاعي

"أيها الحيات أولاد الأفاعي ، كيف تهربون من دينونة جهنم" (متى ٢٣:٣٣)

هذا القول مقتبس من أصحاح في إنجيل متى يعرض سلسلة من الويلات أنذر يسوع بها الكتبة والفريسيين ـ أوربما نقول سلسلة من المراثي قالها عليهم. يمكن أن تعد هذه السلسلة كتوسع لمرقس ١٢:٣٨-٤٠، حيث حُذِّرَ الناس الذين كانوا يصغون إلى يسوع وهو يعلم في أفنية الهيكل في أورشليم خلال الأسبوع المقدس؛ حُذِّروا من "الكتبة، الذين يحبون المشي بالطيالسة، والتحيات في الأسواق، والمجالس الأولى في المجامع والمتكآت الأولى في الولائم، الذين يأكلون بيوت الأرامل ولعلة يطيلون الصلوات. هؤلاء يأخذون دينونة أعظم."

عُرف عن الكتبة أنهم شُرّاح الشريعة. كان معظمهم ـ ولا سيما معظم الذين يرد ذكرهم في الأناجيل ـ ينتمون إلى حزب الفريسيين. وكان الفريسيون يرجعون بنسبهم الروحي إلى المجموعات التقية التي قاومت، في أيام المكابيين، كل الإغواءات لجعل إيمانهم وتطبيقهم مشابهين للطرق الوثنية، وفضلوا الاستشهاد على التنكر لإرثهم الديني. وقدَّر عددهم في القرن الأول الميلادي بحوالى ٦٠٠٠ فرد. لقد تجمعوا في رابطات أو أخويات، مشجعين بعضهم بعضا على الدفاع عن الشريعة وتطبيقها. لم تتضمن الشريعة أحكام العهد القديم المكتوبة فحسب، بل تفسير وتطبيق تلك الأحكام أيضا ـ أي ما وصفه مرقس بـ "تقليد الشيوخ" (مر ٧:٣). كانوا شديدي الاهتمام بالطهارة الطقسية. وهذا الاهتمام منعهم من الاختلاط بالأمم، وحتى بأقرانهم اليهود الذين لم يكونوا مهتمين جدا بتطبيق قوانين الطهارة نظيرهم. وكانوا يعلقون أهمية عظيمة على تعشير المحاصيل (أي، دفع عشرة

بالمائة من عائدات كل المنتوج إلى خزانة الهيكل) ــ ليس عشر الحبوب والخمر وزيت الزيتون فحسب بل عشر عشب الحقل أيضا. وما كانوا ليقبلوا تناول أي طعام، سواء في بيوتهم أو في بيوت الآخرين، إلا إذا تأكدوا من أن هذا الطعام قد عُشِّر.

ولم يكونوا قادرين، من وجهة نظرهم، أن يتمالكوا أنفسهم عن النظر إلى يسوع بصفته مهملا خطرا، سواء من حيث حريتُه بصفته مطلقَ السلطان، التي بموجبها استغنى عن شريعة السبت وقوانين الطعام أو من حيث استعدادُه لمخالطة الناس الذين كانوا موضع شبهة ولمجالستهم في الواقع حول موائد الطعام. وكان من المحتم أن يتصادم وإياهم؛ إن نزاعه معهم يوضح، في الواقع، القول الذي مفاده، إن من يلي الأفضل مرتبة هو العدو الأسوأ للأفضل.

إن أسلوب الفريسيين في الحياة يكون ملائما ليقلده الناس الذين ليس لديهم دافع أنبل من رغبتهم في أن يشتهروا بين عامة الناس بالتقوى. إن التقليد الرابي يوضح هذه الحقيقة: لقد أحصيت سبعة أنماط من الفريسيين، وأحدها فقط، وهو نمط من أصبح فريسيا بدافع محبته لله، هو الذي يظفر بالإطراء المفرط.[1] إن صورة الفريسي كما يرسمها العهد الجديد هي عموما صورة غير محببة، وهذا بارز في الأناجيل أكثر منه في أعمال الرسل. فلا يوصفون في أعمال الرسل كأشخاص غير ودودين تجاه اليهود المسيحيين في أورشليم الذين كانوا يحفظون الشريعة: كان الفريقان يشتركان (بالمفارقة مع الصدوقيين)، في أنهما يؤمنان بقيامة الموتى.

إن جمع الويلات أو المراثي المتعلقة بالفريسيين في متى ٢٣ يعكس على الأرجح الموقف الذي كتب فيه هذا الإنجيل، في أواخر القرن الأول، حين انخرط الفريسيون واليهود المسيحيون في جدل لاهوتي فيما بينهم. هذا وفر فرصة، لجمْع الانتقادات، من كل حدب وصوب، التي كان يسوع قد وجهها إلى الفريسيين، ولنسْجها معا في

---

[1] Palestinian Talmud, tractate *Berakot*, 9.7.

خطبة واحـدة تتكرر فيها هذه اللازمـة (كمـا تترجم عـادة) "ويـل لكـم، أيهـا الكتبـة والفريسيون المراؤون!" لم يكن الفريسيون بحد ذاتهم مرائيـن، ولـم يقل يسـوع إنهـم كانوا كذلك؛ ما كان يسوع ليشهد على قريبه شهادة زور. إن كلمـة "مرائـي" بحسـب استعمال العهد الجديد تعني "ممثل في مسـرحية" ؛ إنهـا تشير إلـى أسـلوب الشـخص الذي يقـوم بـدور هـو مجرد دور مفترض للمناسبة ولا يعبر عـن ذاتـه الحقيقيـة. "المراءون" في هذا الشجب المتكرر، إذاً، هم أولئك الذين ينهمكون فـي لعبـة كونهـم كتبة وفريسيين، إنهم الذين "يعظون ولا يطبقون" (مت ٣:٢٣)، إنهم الذين يتظاهرون بالأعمال والأقوال المميزة للكتبة والفريسيين دون أن يكـون دافعهـم المحبـة الحقيقيـة لله. ربما رفض الفريسي الأصيل المصادقة على كثير مما قاله يسوع وفعلـه، ولكـن إذا كان فريسيا أصيلا، فإنه ما كان ممثـلا فـي مسـرحية. إذاً ربمـا أمكننـا أن نـترجم اللازمـة المتكررة فـي متـى ٢٣ كمـا يلـي "أسفاً عليكـم، أيهـا الكتبـة والفريسـيون المتظاهرون!" ـ أسفا عليكم، لأنكم تجلبون على أنفسكم دينونة مخيفة.

لكن ماذا بشأن "أولاد الأفاعي"؟ استخدم يوحنا المعمدان هذا التعبير حينما رأى الجموع قادمـة إليه لتصغي إلـى مناداتـه بالدينونـة ودعوتـه إلـى التوبـة: "يـا أولاد الأفاعي! من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي؟" (لوقا ٧:٣). لقد شبههم بالأفـاعي التي تهرب بأسرع ما يمكن خارج نطاق نـار الهشيم المقتربـة منهـا. فـي متـى ٧:٣ يوجه يوحنا هذه الكلمات إلى الفريسيين والصدوقيين الذين كـانوا بيـن مـن سـمعوا خطابه. إن استخدام يسوع للصورة المجازية نفسها يمكن أن يبلـغ إنـذارا لا يقدر أن ينجو منه أولئك الذين لم ينتبهوا إلـى الدينونـة الوشيكة ــ لا يقدرون أن ينجـوا مـن "دينونة جهنم" (إذا ترجمت حرفيا). وإذا سـأل سـائل كيف جلبوا علـى أنفسـهم هذه الدينونة من غير أن يعوها، كان الجواب الذي يوحي بـه السياق فـي متـى هـو أنهـم ببعدهم عن الواقعية كانوا يؤخرون، ولا يساعدون، الآخرين في اتبـاع طريق البر.

(في مت ١٢: ٢٤ أولئك الذين اتهموا يسوع بأنه يخرج الشياطين بقوة بعلزبول ـ يُخاطَبون أيضا بـ "يا أولاد الأفاعي!")

أخيرا، يشير متى نفسه على ما يبدو إلى أن هذا القول الصعب، مع سياقه، يجب أن يفهم كمرثاة وليس بالأحرى كشجب تام. لأنه في ختام الحديث، بعد القول بأن دم الشهداء في جميع الأجيال سوف يطلب من ذلك الجيل، يورد متّى المرثاة على أورشليم ("يا أورشليم، يا أورشليم ...") التي يوردها لوقا في مرحلة أبكر من هذه المرحلة من خدمة يسوع. من السهل رؤية السبب الذي جعل لوقا يوردها في تلك المرحلة: لقد حُذِّر يسوعُ في الجليل من أن هيرودس أنتيباس يريد قتله، ويجيب يسوع بأن هيرودس لن يستطيع ذلك، لأن أورشليم هي المكان الملائم لقتل كل نبي (لوقا ١٣: ٣١-٣٣). ثم يأتي القول "يا أورشليم، يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء ... " (الآيتان ٣٤-٣٥). في الواقع، ستكون المرثاة ملائمة من حيث *الترتيب الزمني للأحداث* لو قيلت في ختام زيارته قبل الأخيرة لأورشليم، لأنها تختم بالكلمات: "سوف لن تروني حتى تقولوا 'مبارك الآتي باسم الرب' " (لوقا ١٣: ٣٥؛ متى ٢٣: ٣٩). قد يعني هذا ببساطة، "لن تروني حتى وقت الاحتفال". (يشبِّه ت. و. مانسون ذلك بشخصين يفترقان اليوم قائلين، "حين نلتقي ثانية سنرنم 'هلم بنا معشر المؤمنين' " أي، "حين نلتقي ثانية سيكون وقت عيد الميلاد"[2].) لكن لوقا ومتى يضعان المرثاة في سياقين يناسبانها *موضوعيا*؛ وإذ يضعها متى على الخصوص حيث هي (متى ٢٣: ٣٧-٣٩)، فهو ينقل بعضا من الحزن الذي شعر به يسوع عندما وجد من الضروري أن يقول ما قاله بشأن أولئك الذين كان يُنتظر منهم أن يكونوا مؤتمنين لكنهم بالحقيقة كانوا يقودون تابعيهم إلى الكارثة.

---

2 T.W.Manson, "the Cleansing of the Temple", *Bulletin of the John Rylands Library* 33 (1950 - 51), p.279, n. 1.
(إلا أنه قبل الإطار الذي ورد فيه لوقا ١٣: ٣٥ وافترض أن يسوع كان يودع أهل الجليل مؤقتا قائلا لهم إنه سوف يراهم في الجليل في المرة القادمة.)

لا يمضي هذا الجيل

"الحق الحق أقول لكم لا يمضي هذا الجيل حتى يكون هذا كله [جميع هذه الأمور]" (مر ١٣:٣٠)

حُسِب هذا القول صعبا من قبل الذين فهموه على أنه يشير إلى مجئ المسيح الثاني، أي مجيئه في المجد. لو أكد يسوع فعلا أن هذا الحدث سيجري ضمن حياة الجيل الذي كان حيا وقت قال يسوع هذا الكلام (الذي كان قبل بضعة أيام من اعتقال يسوع و تنفيذ حكم الموت فيه)، لاعتُقِدَ أنه كان مخطئا، ومثل هذا الاستنتاج غير مقبول للكثيرين.

ومع أن هذا القول ليس من المقاطع الأركان التي صنفها ب. و. شميدل ، فقد دافع كثيرون عن أصالته على أساس أنه ما كان لأحد أن يخترع نبوة لم تتم ثم يضعها على لسان يسوع. فإذا نسبت إليه في الإنجيل المُتَناقَل نبوة لم تتم، فهذا أمر ممكن فقط (بحسب مجادلتهم) لأنه نطق بها فعلا. إلا أن القول لم ينسب على نطاق واسع، في أزمنة أكثر حداثة، إلى يسوع التاريخي بل إلى نبي من الأنبياء في الكنيسة الباكرة تكلم باسم يسوع. لقد اعتبر رودولف بولتمان Rudolf Bultmann أن المحادثة الواردة في مرقس ١٣:٥-٢٧ "رؤيا يهودية مع تنقيح مسيحي"، واعتقد أن هذ القول كان سيشكل خاتمة مناسبة لرؤيا كهذه.[1]

إن بعض دارسي العهد الجديد الذين لا يسلّمون بأن يسوع كان يمكن أن يرتكب خطأ مقتنعون مع ذلك بأن الإشارة هي بالحقيقة إلى مجيئه المجيد. فإذا كان ينبغي أن تشير عبارة "هذا كله" إلى الأحداث المؤدية إلى المجئ، وإلى المجئ نفسه،

---

[1] *Synoptic Tradition*, p. 125.

فيجب، كما يقولون، أن يوضع تفسير آخر لعبارة "هذا الجيل". إن الاسم اليوناني *genea* (المترجم هنا "جيل") يحمل معانٍ أخرى في بعض السياقات يجري التدقيق فيها. تستعمل الكلمة أحيانا بمعنى "جنس"، وبناء عليه، ربما كان المقصود، بحسب اقتراحهم، أن الجنس اليهودي، أوحتى الجنس البشري، لن يمضي قبل المجيء الثاني. من الواضح أنه لايمكن التفكير في أن الجنس البشري هو المقصود؛ كل وصف للحدث يتضمن أن البشر سيكونون حاضرين ليشهدوه، وإلا فلن يكون له سياق يعطيه أي دلالة. وليس هناك مزيد مما يمكن قوله لدعم الفكرة القائلة إن الجنس اليهودي هو المقصود؛ لا توجد أي إشارة في أي مكان من العهد الجديد إلى أن الجنس اليهودي سينقرض قبل نهاية العالم. مهما يكن من أمر، ما القصد من نبوّة غامضة كهذه؟ القصد هو بمثابة القول، "في وقت ما في المستقبل غير المحدد كل هذه الأشياء سوف تحدث."

إن عبارة "هذا الجيل" تتكرر في الكتاب المقدس، وفي كل مرة تستخدم فيها تحمل المعنى العادي، وهو الناس الذين ينتمون، كما نقول، إلى مجموعة من الأفراد لها عمر واحد تقريبا. إحدى المحاولات اليائسة للربط بين الإقرار بهذه الحقيقة وبين الإشارة إلى المجئ الثاني في النص الذي ندرسه، وفي الوقت نفسه تنأى بيسوع عن أن يكون مخطئا في تنبؤه، هو أن نعتبر أن "هذا الجيل" لا تعني "الجيل الذي على قيد الحياة الآن" بل "الجيل الذي سيكون حيا في الوقت الذي أتحدث عنه". فيكون المعنى: "الجيل الذي يكون على الأرض عندما تبدأ هذه الأشياء بالحدوث سيكون على الأرض عندما تكتمل هذه الأشياء: كل هذه الأشياء سوف تحدث ضمن مدة حياة جيل واحد على الأرض."[٢]

هل هذا مرجح بأية حال؟ لا أظن ذلك. عندما تواجهنا مشكلة فهم قول صعب، فالإجراء المأمون هو أن نسأل السؤال التالي:"ماذا كان هذا القول سيعني للذين

---

[2] Cf. G.H.Lang, *The Revelation of Jesus Christ* (London, 1945), pp.70, 387.

سمعوه أولا؟" ولا يوجد سوى جواب واحد لهذا السؤال فيما يتعلق بالقول الصعب الذي نحن بصدده. كان يوسع سامعي يسوع أن يفهموا أن ما يعنيه هو أن "جميع هذه الأمور"ستجري في جيلهم هم. فلا تعني كلمة "جيل" دائما في عبارة "هذا الجيل" الناس الأحياء في زمن معين فحسب؛ بل إن العبارة نفسها تعني دوما "الجيل الذي يحيا الآن". لقد تكلم يسوع عن "هذا الجيل" بهذا المعنى عدة مرات، وبعبارات غير إطرائية. بالحقيقة إن استعماله للعبارة يعكس استعمالها في ما سجله العهد القديم عن تيهانات الإسرائيليين في البرية. إن جيل الإسرائيليين الذي غادر مصر لم يبق على قيد الحياة ليدخل كنعان؛ لقد مات في البرية ـ أي أن جميع البالغين (باستثناء رجلين) ماتوا في البرية. ولماذا ماتوا؟ لأنهم رفضوا قبول كلمة الله التي بلّغهم إياها موسى. ولذلك قيل عنهم "هذا الجيل الشرير" (تث ١:٣٥)، "جيل أعوج ملتو" (تث ٣٢:٥).

على غرار ذلك دعي الجيل الذي خدمه يسوع "جيلا شريرا" (لو ١١:٢٩)، "جيلا فاسقا خاطئا" (مر ٨:٣٨)، بسبب عدم إيمانه وعدم استجابته. قال يسوع: "رجال نينوى سيقومون في الدين مع هذا الجيل ويدينونه؛ لأنهم تابوا بمناداة يونان، وهوذا أعظم من يونان ههنا" (لو ١١:٣٢؛ راجع ص ٩٩). بالحقيقة لقد بَزَّ "هذا الجيل" السجلَ التعيسَ لأسلافه بحيث أن كل سيناتهم ستُفتقد فيه: "نعم أقول لكم إنه يطلب من هذا الجيل" (لو ١١:٥١). إن عبارة "هذا الجيل" بهذا المعنى الحرفي وردت كثيرا على لسان يسوع مما لا يسمح لنا بافتراض أنها اتخذت فجأة معنى مختلفا في القول الذي ندرسه الآن. بالإضافة إلى ذلك، لو كان جيل آخر الزمان هو المقصود، لكان الأمر الطبيعي في معرض الإشارة إليه أن يقال "*ذلك* الجيل" بدلا من "هذا الجيل".

• دم جميع الأنبياء (لوقا ١١:٥٠)

ولكن ما هي "جميع هذه الأمور" التي ستحدث قبل أن يمضي "هذا الجيل"؟ كان يسوع يتكلم ردا على سؤال وجهه إليه أربعة من تلاميذه. كانوا يزورون أورشليم بمناسبة الفصح، وكان التلاميذ متأثرين من العظمة الهندسية للهيكل، الذي جرى مؤخرا ترميمه وتوسيعه على يد هيرودس. قال له واحد منهم: "يا معلم انظر ما أروعَ هذه الحجارة وما أروع هذه الأبنية !" أجاب يسوع، "أتنظر هذه الأبنية العظيمة؟ لن يُترَكَ حجر على حجر، لا يُنقَض." وأثار هذا فضولهم، فبينما كانوا معه على جبل الزيتون، المطل على منطقة الهيكل، اغتنم اربعة منهم الفرصة وسألوه، "قل لنا متى يكون هذا؟ وما هي العلامة عندما يتم جميع هذا؟" (مرقس ١٣:١-٤).

إن "جميع هذه الأمور" في سؤال التلاميذ هي دمار الهيكل والأحداث الملازمة له. يبدو من المنطقي اعتبار القول الصعب، ملخصاً لجواب سؤالهم. إذا كان الأمر كذلك، فإن "جميع هذه الأمور" لها المعنى نفسه في السؤال والجواب. فيكون معنى القول الصعب "لن يمضي هذا الجيل حتى" يكون الهيكل قد دمر تماما. من المعروف جيدا أن الهيكل قد دمر فعلا على يد الرومان بقيادة أمير التاج تيطس في آب عام ٧٠ م ، ليس بعد مرور أكثر من أربعين سنة على كلام يسوع. وأربعون سنة ليست حقبة أطول من أن تدعى مدة حياة جيل على الأرض؛ بالحقيقة، إن أربعين سنة هي مدة حياة الجيل التقليدية بحسب مجموع مفردات الكتاب المقدس. هكذا كان الحال دون شك بالنسبة إلى "الجيل الشرير" أثناء التيهانات في البرية: يقول الله، "أربعين سنة طويلة مقتُ هذا الجيل"، (مزمور ٩٥:١٠، كما ورد في كتاب الصلاة *) .

لكن إذا كان هذا هو المقصود بالقول، فلماذا اعتُقِد بأنه يتنبأ بحدوث المجئ الأخير خلال حياة ذلك الجيل؟ لأنه في سياق المحادثة التي تقع بين الآية ٤ والآية

---

* كتاب الصلاة الذي تستعمله الكنيسة الانكليكانية. (المترجم)

٣٠ من مرقس ١٣، يُنسَج موضوع بحث آخر مع التنبؤ بالاضطراب المؤدي إلى كارثة ٧٠ م . هناك، بخاصة التنبؤ عن "ابن الانسان آتيا في سحب السماء بقوة ومجد عظيم" (راجع ص ٢٥٣) وإرساله لملائكته "ليجمعوا مختاريه من الأربع الرياح، من أقصى الأرض إلى أقصى السموات " (الايات ٢٦-٢٧) . لقد حسب بعض المفسرين هذا الكلام وصفا مغرقا في المجاز للدينونة الإلهية التي رأى كثيرون من المسيحيين، وليس المسيحيين فقط، أنها تتمثل في محاصرة الرومان لأورشليم وتدميرها؛ لكن من الصعب موافقتهم في هذا الرأي.

يرجح أن يكون مرقس قد كتب إنجيله قبل عام ٧٠ م بأربع أو خمس سنين. وعندما كتب، كان سقوط الهيكل ومجئ ابن الانسان كلاهما يكمنان على السواء في المستقبل، ولم يكن لديه وسيلة لمعرفة ما إذا كان سيكون بين هذين الحدثين فاصل زمني كبير. ومع ذلك، فهو يحفظ في السياق نفسه قولا آخر ليسوع يتعلق بزمن وقوع حدث مستقبلي: "أما ذلك اليوم أو تلك الساعة فلا يعلم بهما أحد، ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلا الآب" (مر ١٣:٣٢). هذا القول أدرجه شميدل Schmiedel ضمن قائمة النصوص الأركان التي وضعها، على أساس أن قولا يعترف فيه يسوع بجهله (حتى من ناحية واحدة فقط) ما كان بالإمكان أن يُختَرَع أو يعزى إليه من قبل الكنيسة الباكرة. لكن ما هو اليوم أو الساعة اللذين يشير إليهما؟ من المؤكد أنهما ليسا يوم أو ساعة تدمير الهيكل: ما يؤكده النص جملة، وليس فقط القول الصعب الوارد في الآية ٣٠، بشأن ذلك الحدث، هو يقينيته وقربه. إن الحدث الذي لا يعرف توقيته سوى الآب لا يمكن أن يكون شيئا آخر غير مجئ ابن الانسان، الموصوف في الآية ٢٦.

بينما يعيد لوقا كتابة مادة الحديث الوارد في مرقس ١٣:٥-٣٠، يضع مزيدا من التأكيد على مصير مدينة أورشليم ومصير الهيكل أيضا: "تكون أورشليم مدوسة من الأمم حتى تكمل أزمنة الأمم" (لو ٢١:٢٤). ولا يشار إلى متى ستكمل "أزمنة الأمم"

(مدة سيطرة الأمم على المدينة المقدسة). ولكن هذا القول، مع أنه خاص بلوقا في سجل الإنجيل، فهو ليس من اختراع لوقا: إنه يظهر ثانية في الرؤيا، وفي جزء منه دوّن على الأرجح قبل بقية أجزاء سفر الرؤيا ثم دمج بها لاحقا. قيل ليوحنا، إن الدار الخارجية للهيكل "أعطيت للأمم وسيدوسون المدينة المقدسة اثنين وأربعين شهراً " (رؤ ١١:٢). هذا نطق نبوي أُبلِغ إلى يوحنا بوساطة صوت من السماء، لكن كان له الأصل نفسه الذي للكلمات المدونة في لوقا ٢١:٢٤.

استطاع متى، الذي كتب إنجيله عقب دمار الهيكل بقليل على الأرجح، أن يرى،الفاصل الزمني بين ذلك الحدث وبين مجئ ابن الانسان، وهو مالم يستطع مرقس بالطبع أن يراه. بحسب متى كان أحد الحدثين قد وقع، بينما الآخر كان لا يزال في المستقبل. إنه يصوغ السؤال الذي وجهه التلاميذ ليسوع بكلمات أخرى بحيث يشير إلى كلا الحدثين بإشارتين متميزتين وواضحتين. يتنبأ يسوع، كما في مرقس، بأنه لن يُترك حجر على حجر من حجارة الهيكل، ويقول التلاميذ، "قل لنا (أ) متى يكون هذا، و(ب) ما هي علامة مجيئك وانقضاء الدهر؟" (مت ٣:٢٤). ثم، في نهاية المحادثة التالية، يرد يسوع على سؤالهم بشقّيْه بالقول (أ) "لن يمضي هذا الجيل حتى يكون *هذا كله*" (مت ٣٤:٢٤) بينما (ب) فيما يتعلق بمجيئه و"انقضاء الدهر"، يقول لهم إن "*ذلك* اليوم وتلك الساعة لا يعلم بهما أحد ولا ملائكة السموات، ولا الابن، إلا الآب" (مت ٣٦:٢٤). إن التمييز بين النبوتين واضح في متى، الذي كان أبكرُ الحدثين المتنبأ عنهما بنظره حدثا من الماضي؛ ولكنه كان أمراً مفهوما ضمنا في مرقس، ولوأنه لم يكن واضحا كما هو واضح في متى.

الفصل الرابع والستون

هناك تجتمع العقبان

"حيثما يكون الجسد ، فهناك تجتمع العقبان eagles " (متى ٢٤:٢٨؛ لو ١٧:٣٧ (RSV

ثمة فرق طفيف بين صيغتي هذا القول لا يظهر في اللغة الانكليزية للترجمة القياسية المنقحة RSV (المقتبسة أعلاه): إن الكلمة اليونانية في إنجيل متى المترجمة "جسد" تعني بخاصة جثة، بينما يستخدم لوقا الكلمة الأعم لـ "جسد"، حيا أو ميتا، مع أن الجسد الميت هو المشار إليه ضمنا في السياق الحالي.

يعطي القول انطباعا بأنه قول مَثَلي proverbial يطبق (كما تطبق الأقوال المثلية عادة) على موقف ملائم. لكن هل الطيور الجوارح المذكورة في القول هي حقا عقبان eagles ؟ ألا يحتمل أن نكون توقعنا إشارة إلى النسور vultures ؟ نعم بالحقيقة، ولكن هناك نقطتان يجب توضيحهما.

أولا، إن الكلمة العبرية المترجمة عادة "عقاب" eagle في العهد القديم تبدو أنها تشير أحيانا إلى النسر vulture. لقد أُمِر شعبُ يهوذا في ميخا١:١٦ "وسعي قرْعتك كالعقاب eagle" [كالنسر، بحسب ترجمة فاندايك ـــ بستاني] ؛ ولكن النسر، وليس العقاب، هو الأقرع. هذا الاستخدام الاتفاقي من قبل متى ولوقا للكلمة اليونانية المقابلة لـ "عقاب" بمعنى "نسر" كانت له سابقة. ففي الأماكن التي يبدو فيها أن كلمة عقاب العبرية تعني "نسرا"، استُخدِمت في الترجمة اليونانية للعهد القديم الكلمةُ اليونانية المقابلة لـ "عقاب" eagle .

ثانيا، وحتى إذا كان القول المثَلي (كما هو مرجح) يشير بالأصل إلى النسور، فإن التغيير إلى "عقبان" ربما كان قد جرى عن عمد، إن لم يكن في الأرامية التي تكلم

بها يسوع، ففي الترجمة اليونانية لكلماته التي يعتمد عليها إنجيلا متى ولوقا. إن عبارة "حيث تكون الجثة فهناك تجتمع النسور" تعني بالحقيقة، "حيث يوجد موقف جاهز للدينونة، فهناك تحل الدينونة." لكن الموقف الذي يشير إليه السياق هو مدينة أورشليم، التي حُكِم عليها بالخراب بسبب عدم استعدادها للإصغاء إلى رسالة السلام التي جاء بها يسوع إليها. ومنفذو هذه الدينونة المحددة كانوا القوات الفيلقية الرومانية. وكان العُقَابُ علمَ فيلق روماني ، وهذا ربما يفسر سبب اختيار كلمة "عقبان" eagles هنا.

إن ت. و. مانسون T. W. Manson الذي يفضل ترجمة "نسور" هنا ولا يرى أي إشارة إلى العقبان الحربية الرومانية ، يعتقد أن غاية القول هي السرعة التي بها تكتشف النسور وجود الجيفة carrion وتنقض عليها أسرابا لتزدردها.[1] هكذا ستقع الدينونة بسرعة "يوم يُظهَر ابن الانسان" (لوقا ١٧:٣٠).

إن القول، بحسب ما ورد في إنجيل لوقا وليس بحسب ما ورد في إنجيل متى، هو جواب يسوع عن السؤال الذي سأله التلاميذ. كان قد أخبرهم منذ قليل، كيف أن الدينونة، في ذلك اليوم، سوف تمسك شخصا وتتجاوز الآخر، فتفصل اثنتين نائمتين في الفراش نفسه أو تفصل امرأتين تطحنان على رحى واحدة (إحداهما تدير الحجر العلوي والأخرى تصب القمح). قال التلاميذ، "أين يارب؟" وربما عنوا بذلك، "أين ستقع هذه الدينونة ؟" أجاب يسوع، "حيث يتطلب الموقف ذلك."

من بين عدة أمثلة من نوع القول المَثَلي proverbial الموضح بهذا القول يمكن أن نخص بالذكر ما ورد في أيوب ٣٩:٢٧-٣٠:

أو بأمرك يحلق العقاب eagle
ويعلي وكره.

---

[1] *The Sayings*, p. 147.

يسكن الصخر ويجعل بيته

في سن الصخر والمعقل.

من هناك يتحسس قوته [فريسته prey] ؛

تبصره عيناه من بعيد.

فراخه تحسو الدم ؛

وحيثما تكنِ القتلى، فهناك هو.

لا أعرفكن

"أخيرا جاءت بقية العذارى أيضا، قائلات،: يا سيد ياسيد افتح لنا." فأجاب وقال، ' الحق أقول لكن إني ما أعرفكن" (مت ٢٥:١١-١٢)

إن صورة الناس الذين يَصِلون بعدما أُغلِق الباب ويكتشفون أنه يستحيل عليهم الدخول تظهر في مكان آخر في تعليم يسوع. تحدث يسوع في لوقا ١٣:٢٥-٢٨ عن هؤلاء الناس، الذين حالما يرون أن الباب قد أوصد دونهم، يحتجون على سيد البيت، "أكلنا قدامك وشربنا وعلّمتَ في شوارعنا." مع ذلك لا يُسمَح لهم بالدخول؛ إنهم يُقصَون عن ملكوت الله. إن روايةَ متى للموعظةَ على الجبل تتضمن شيئا مشابها للمقطع الوارد في لوقا؛ ففي روايةَ متى يُبرِزْ الذين أوصد دونهم الباب ما يمكن أن يعتبر أوراقا ثبوتيةً أقوى تؤهلهم للدخول: "أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة؟" (مت ٧:٢٢) ــ ولكن كل ذلك دون جدوى.

إن إطار الصورة الأكثر تذكرا هو في مَثَل العذارى العشر، كما يدعى تقليديا. لكن العنصر المثير للشفقة الملازم للمتأخرين في المجئ الذين يجدون الباب موصدا في وجههم التقطه تنيسون Tennyson وعبر عنه في أغنية "متأخرون، متأخرون، متأخرون جدا! والليل حالك ويبعث على القشعريرة !" التي غنتها لـ:غينيفير Guinevere فتاة صغيرة في دير الراهبات حيث التجأت الملكة. حقا، في المشهد الذي يمكن أن يصادف في واقع الحياة، والذي وصف في المثل، كانت خيبة العذارى شديدة، لكنهن لم يتحملن خسارة لا تعوض: لقد فاتتهن وليمة العرس،

بالحقيقة، لكن ستكون هناك ولائم أعراس أخرى، وسيتذكرن أن يأخذن مؤونة كافية من الزيت في مرة أخرى. ولكن الخسارة تكون أكثر خطورة عند تطبيق المثل.

هذا المثل واحد من ثلاثة أمثال ألحقها متى بروايته لمحادثة يسوع على جبل الزيتون ـ وهي المحادثة الي تبلغ أوجها بالمجئ المجيد لابن الانسان.

كان في القرية عرس. وتبدو قصة العرس دون ذكر العروس غريبة جدا بنظرنا، ولكن العادات تختلف باختلاف الأزمنة وباختلاف البلدان. من الممكن أنها ذكرت، ولكن إذا ذكرت، فقد جاء ذكرها بصورة عابرة: جاء في مت ١:٢٥ بحسب بعض المخطوطات أن العذارى العشر "ذهبن للقاء العريس و *العروس*". لا يبدو أن العذارى العشر كن وصيفات العروس، ولا حتى ضيفات تلقين دعوة خاصة؛ كن فتيات من القرية قررن أن يشكلن مسيرة بمشاعل للاحتفال بالعريس ومرافقته إلى البيت الذي كانت ستقام فيه الوليمة. لقد عرفن أنهن، إذا فعلن ذلك، سيكون لهن مكان في الوليمة، وهكذا يمكنهن أن يشاركن في الطعام والشراب. حتى يومنا هذا توجد أماكن في العالم حيث يكون العرس مناسبة عامة يشترك فيها الجيران، وكل من يأتي يلقى ترحيبا ويأكل ويشرب.

لم يعلن عن وقت بدء رحلة العريس إلى العشاء، وانقضى النهار ببطء. ولا بأس في ذلك: فمسيرة بالمشاعل في الظلام أكثر وقعا في النفوس. كانت "المشاعل" أعمدة طويلة من الخشب تربط بأعلاها مصابيح زيت، وكانت الفتيات الأكثر فطنة قد أخذن معهن مؤونة من زيت الزيتون لاستخدامه إذا نفد زيت المصابيح. وعندما انقضى المساء ولما يأت العريس استسلمن للنوم الواحدة تلو الأخرى. إلا أن مصابيحهن ظلت مضاءة، بانتظار الصيحة التي تعلن قدوم العريس. فجأة أطلقت الصيحة: "هوذا العريس مقبل!" وهممن بالانضمام إلى موكبه، ولكن بينما كنّ يصلحن فتيل مصابيحهن، وجدت خمس منهن أن مصابيحهن قد انطفأت، ولم يكن لديهن زيت احتياطي. لم يكن بوسع الأخريات أن يعرنهن أي قدر من زيتهن، لأنه

لن يتبقى لديهن ما يكفي لبقية الرحلة. وهكذا كان على العذارى الجاهلات أن يذهبن ويبتعن بعض الزيت، وما كان ذلك بالأمر السهل في منتصف الليل؛ مع ذلك استطعن بسبب الإلحاح تدبير بعض الزيت. لكنهن تأخرن كثيرا عن الانضمام إلى الموكب، وعندما وصلن إلى البيت، لم يستطعن الدخول. طرقن باب الدار ونادين البواب، "يا سيد ! يا سيد ! افتح لنا." ولكن الجواب الذي تلقينه لم يتعد هذه الكلمات، "لا يمكنكن الدخول؛ فأنا لا أعرفكن." وهكذا كان عليهن أن يعدن إلى بيوتهن في الظلام، متعبات خائبات، لأنهن لم يكنّ مستعدات.

كان الزيت زيتا جيدا، ما دام متوفرا؛ ولكن الزيت الذي استخدم بالأمس لن يستطيع أن يُبقِيَ مصابيح اليوم مشتعلة. وهكذا ربما أمكننا أن نتعلم ألا نتكل حصرا على خبرات الماضي؛ إنها لن تكفي لحاجات الحاضر. يجب أن ننال نعمة يومية للحاجة اليومية. الدرس الواضح المقترن بهذا المثل هو: "اسهروا، لأنكم لا تعلمون اليوم ولا الساعة" (مت ٢٥:١٣). الأشكال المتأخرة من النص (ترجمة بستاني ـ فانديك) تضيف الكلمات التالية، "التي يأتي فيها ابن الانسان". لا شك أن هذه الكلمات متضمنة في سياق المثل، ولكن حقيقة أن البشير لم يضمنها في النص توحي بأن للمثل تطبيقا أعم. اسهروا، لأن وقت الامتحان قد يأتي دون أي إنذار. فاستعدوا لمقاومة هذا الإغراء (مهما كانت الصيغة التي يتخذها)؛ كونوا مستعدين لمواجهة هذه الأزمة؛ كونوا مستعدين للإمساك بهذه الفرصة. قد يحتاج أحدهم مساعدة؛ فكونوا مستعدين لتقديمها له، "لأنكم لا تعلمون اليوم ولا الساعة" التي تأتي فيها الدعوة.

هذا هو جسدي ... هذا هو دمي

وفيما هم يأكلون أخذ يسوع خبزا وبارك وكسر وأعطاهم وقال، "خذوا كلوا هذا هو جسدي." ثم أخذ الكأس وشكر وأعطاهم فشربوا منها كلهم. وقال لهم، "هذا هو دمي الذي للعهد الجديد، الذي يسفك من أجل كثيرين" (مر ١٤:٢٢-٢٤)

لم يقصد يسوع أن تكون كلمات التأسيس التي قالها في العشاء الأخير قولا صعبا؛ ولكنها قد تتدرج ضمن أقواله الصعبة إذا راعينا النزاعات والانقسامات التي ولدها تفسيرها.

إن صيغة كلمات التأسيس كما أوردها مرقس واقتبست في أعلى هذا الكلام، ليست أبكر بيان عنها في العهد الجديد. لقد أوردها بولس في١ كو ١١:٢٣-٢٥، التي كتبت في عام ٥٥ م. وبها ذكّر المهتدين على يده في كورنثوس أنه "سلّم" هذا البيان إليهم شفاها (يفترض أنه فعل ذلك عندما جاء إلى مدينتهم ليكرز بالإنجيل في عام ٥٠ م)، ويقول إنه هو نفسه "تلقى" هذا البيان "من الرب" حتى قبل ذلك (على ما يرجح بعد اهتدائه بقليل)؛ أي أنه تلقاه بالنقل عبر مجموعة من الأفراد (قليلة العدد دون شك)، أولهم نقل عن يسوع نفسه، ومنه استمدوا سلطانهم. توجد خلافات في الكلمات بين صيغة بولس وصيغة مرقس، ربما تعكس التنوعات في الاستعمال بين كنائس الجيل الأول من المسيحيين، ولكننا لسنا معنيين هنا بهذه الاختلافات؛ الأمر الأكثر أهمية هو أن نفكر في المعنى المشترك بين الصيغتين.

من المرجح أن العشاء الأخير كان وجبة فصح. وربما مارس يسوع وتلاميذه الفصح (بهذه المناسبة، إن لم يكن في مناسبات أخرى) في اليوم السابق ليوم العيد الرسمي الذي حددته سلطات الهيكل الدينية في أورشليم. كان الإسرائيليون يحتفلون

بذكرى نجاتهم من مصر طوال عدة قرون قبل ذلك، وكان يوضع على المائدة خبز غير مختمر، وخمر أحمر، وكذلك أطعمة أخرى. في القصة التفسيرية التي كانت تسبق الوجبة، كان يقال عن الخبز إنه "خبز المشقة الذي أكله آباؤنا عندما خرجوا من مصر" (قارن تث ١٦:٣). إن شخصا يفكر تفكيرا حرفيا قد يقول إن الخبز الذي كان على المائدة لم يكن بالحقيقة الخبز الذي أكله جيل الخروج: فذلك الخبز لم يعد متوفرا. لكن بحسب إيمان الآكلين *كان* الخبز نفسه: وكانوا يشجعون على دمج أنفسهم بجيل الخروج، لأنه جاء في التعليمات المرافقة لممارسة الفصح، "في كل جيل يجب أن يعتبر المرء نفسه وكأنه قد خرج من مصر".

في بداية الوجبة بعد أن يكون رأس العائلة قد كسر الخبز وقدم الشكر لأجله بلغة ما زالت تستخدم اليوم: "مبارك أنت، يا رب إلهنا، ملك الكون، يا من أخرجت خبزا من الأرض." ولكن يسوع في العشاء الأخير، كرأس لـ "عائلته" بعد أن شكر من أجل الخبز، أضاف كلمات أعطت الخبز دلالة جديدة، قال يسوع لتلاميذه، "خذوا، هذا هو جسدي." وتتابع صيغة بولس، "... جسدي المكسور لأجلكم؛ اصنعوا هذا لذكري". كانت وجبة الفصح تذكارا للنجاة العظيمة في وقت الخروج؛ والآن أسس تذكار جديد في ضوء نجاة جديدة أعظم على وشك أن تنجز. ولو قال أي شخص حرفي التفكير ، "ولكن الخبز الذي أخذه عن المائدة لا يمكن أن يكون جسده؛ كان بوسع التلاميذ أن يروا جسده الحي أمام أعينهم"، لكان الجواب مرة أخرى، إن الخبز بحسب إيمان الآكلين هو جسد الرب؛ فهم بالإيمان، بأكلهم خبز التذكار، يشتركون في حياته.

في نهاية الوجبة، عندما قيلت البركة الختامية أو "كلمة الشكر"، كان أفراد الأسرة يتقاسمون كأسا من الخمر. كانت هذه الكأس تدعى "كأس البركة"، كانت الكأس الثالثة من بين أربع كؤوس موضوعة على المائدة. وعندما بارك يسوع وأعطى هذه الكأس لأصحابه، دون أن يشرب هو منها، قال لهم، "هذا هو دم عهدي،

المسفوك عن كثيرين." (تقول صيغة بولس، "هذه هي العهد الجديد بدمي الذي يسفك عنكم؛ اصنعوا هذا، كلما شربتم لذكري").

عندما قرأ موسى، عند أسفل جبل سيناء، ناموس الله للإسرائيليين الذين خرجوا من مصر وتعهدوا بحفظه، فإن بعض دم الذبائح رش على المذبح الذي (يمثل حضور الله) وبعضه على الشعب، وتكلم موسى عنه باعتباره "دم العهد الذي قطعه الرب معكم بحسب جميع هذه الكلمات"(خر ٢٤:٣-٨). ولا بد أن كلمات يسوع عنت للتلاميذ، الذين كانت قصتا الفصح والخروج حيتين في أذهانهم في ذلك الوقت، أن عهدا جديدا كان على وشك أن يؤسس بدلا من العهد الذي دخل فيه آباؤهم في زمن موسى ـ والأهم من ذلك أنه سيؤسس بموت يسوع لأجل شعبه. إذاً، إن كانوا عندما يأخذون الخبز التذكاري يشتركون بالإيمان في حياة من مات وقام، فكذلك عندما يأخذون الكأس يعلنون ويتبنون بالإيمان "اهتمامهم بدم المخلص". وبعملهم هذا، يدخلون بالخبرة إلى معنى كلماته التي قالها عند التأسيس ويعرفون أنهم بوساطته أعضاء في جماعة عهد الله.

ينقل متى (٢٦:٢٦-٢٩) صيغة الكلمات التي أوردها مرقس، ويضيف، شارحاً، عبارة تفسيرية هي "لمغفرة الخطايا" التي جاءت بعد عبارة "يسفك عن كثيرين". وفي لوقا ٢٢:١٧-٢٠ نجد (بحسب المعلومات التي في الهامش أو التذييلات) صيغتين، أطول وأقصر؛ الصيغة الأطول شديدة الشبه بصيغة بولس.

إن رواية لوقا بخاصة مهمة لأنه البشير الوحيد الذي يروي عن يسوع قوله، "اصنعوا هذا لذكري" (لو ٢٢:١٩). بحسب إنجيل لوقا تضاف هذه الكلمات إلى تلك التي تقال عند تناول الخبز (بحسب رواية بولس تقال عند إعطاء الخبز والكأس). لا يمكن الاستنتاج من رواية مرقس (ومن رواية متى) سوى أن هذا ليس إلا أكلا وشربا مرة وإلى الأبد؛ يوضح لوقا أن الأكل والشرب قصد بهما أن يكررا.

بحسب البشيرين الثلاثة، قال يسوع، فيما أعطى الخبز والكأس لتلاميذه، "الحق أقول لكم إني لا أشرب بعد من نتاج الكرمة إلى ذلك اليوم حينما أشربه جديدا في ملكوت الله" ــ أو كلمات بنفس المعنى (مر ١٤:٢٥؛ قارن مت ٢٦:٢٩؛ لو ٢٢:١٨). كان سيصوم إلى أن يوطد ملكوت الله؛ ثم تبدأ الوليمة السماوية. ولكن عندما قام من الأموات ، عرّف تلاميذه بنفسه "عند كسر الخبز" (لو ٢٤:٣٥)؛ وقد روى بطرس في بيت كرنيليوس كيف أنه ورفاقه "أكلوا وشربوا معه بعد قيامته من الأموات" (أع ١٠:٤١). هذا يوحي بأن الملكوت الذي تحدث عنه عند العشاء الأخير قد حضر الآن بمعنى ما (بحسب لغة مرقس ٩:١ "جاء بقوة"): لقد دُشّن، حتى وإن كان اكتماله سيتم في المستقبل. وربّما يكتمل يستمر شعبه في "صنع هذا" ــ أخذ الخبز والخمر ــ كذكر له، وفيما يفعلون ذلك يتحققون بوعي حضوره معهم.

الفصل السابع والستون

من ليس له فليشترِ سيفا

"لكن الآن ... من ليس له سيف فليبع ثوبه ويشترِ سيفا" (لوقا ٢٢:٣٦)

هذا قول صعب من حيث أنــه يصعب التوفيق بينه وبين تعليم يسوع العام بشأن العنف: ما كان لأتباعه أن يسلكوا سبيل العنف. يعتقد على نطاق واسع أنه لم يكن المقصود أن يُتخَذ هذا القول حرفيا، ولكن إذا كان هذا الرأي صحيحا، فماذا قُصِد أن يفهم منه؟

ورد القول في إنجيل لوقا فقط. ورواه لوقا كجزء من محادثة جرت بين يسوع وبين تلاميذه أثناء العشاء الأخير. ذكَّرهم يسوع بمناسبة سابقة عندما أرسلهم في جولة إرسالية وأمرهم بألا يأخذوا كيسا (للمال) ولا مزودا (للزاد) ولا أحذية. من المفترض، إنه كان بوسعهم أن يتوقعوا تأمين حاجاتهم من قبل ميسوري الحال الذين يصادفونهم خلال الجولة (لو ١٠:٤-٧). لكن منذ الآن ستكون الأمور مختلفة: سوف يمانع الناس في تقديم الضيافة لهم، لأنهم قد يقعون في مشكلة إذا فعلوا ذلك. في المناسبة السابقة، كما أقر التلاميذ الآن، لم يعوزهم شيء. "لكن الآن"، كما قال لهم يسوع "من له كيس فليأخذه، ومزود كذلك" ـ فسيكون عليهم أن يعولوا أنفسهم. والأهم من ذلك "من ليس له سيف، فليبع ثوبه ويشترِ سيفا". إذا كان هذا مدهشا، فالأمر الأكثر مثارا للدهشة هو السبب الذي يعطيه لهذا التغيير في سياسته: "لأني أقول لكم إنه ينبغي أن يتمَّ فيَّ أيضا هذا المكتوب، 'وأحصي مع أثمة'، لأن ما هو من جهتي له انقضاء."

من المشكوك فيه ما إذا كان التلاميذ فهموا ما فكر فيه يسوع هنا، لكنهم اعتقدوا أنهم أدركوا القصد من كلامه بشأن السيف. لا حاجةَ للقلق بهذا الشأن: قالوا له، "يا رب، هنا سيفان." فأجابهم ، "يكفي" أو، ربما قال "كفى".

لم يقصد لوقا مطلقا أن يَفهمَ قراؤه كلمات يسوع حرفيا. وروى لاحقا كيف أن أحد التلاميذ، بعد ذلك ببضع ساعات، أثناء إلقاء القبض على يسوع، استل سيفا ــ أحد السيفين على الأرجح اللذَيْن أبرزوهما على مائدة العشاء ــ وضرب به أذن عبد رئيس الكهنة فقطعها. لكن يسوع قال، "كفى، لا تزيدوا !" (ت ع ج) ولمس إذن الرجل وأبرأها (لوقا ٢٢:٤٩-٥١).

فما الذي عناه بإشارته إلى بيع المرء ثوبه ليشتري سيفا؟ لقد كان هو نفسه على وشك أن يحكم عليه كمجرم، فينطبق عليه ما قيل عن عبد الرب في إشعياء ٥٣:١٢، "وأحصي مع أثمة". إن الذين كانوا رفاقه حتى الآن سوف يجدون انفسهم يعاملون كخارجين على القانون؛ لن يستطيعوا من الآن فصاعدا أن يعتمدوا على إحسان أقرانهم الإسرائيليين المتعاطفين معهم. سيكون الكيس والمزود ضروريين الآن. يخبرنا يوسيفوس عن الأسينيين أنهم عندما كانوا يذهبون في سفر لم تكن بهم حاجة إلى أخذ زادهم معهم، لأنهم عرفوا أن حاجاتهم ستلبى من إخوانهم الأعضاء في الرتبة نفسها، لكنهم على أي حال كانوا يحملون أسلحة لحماية أنفسهم من قطاع الطريق.[1]

لكن يسوع لا يتخيل أن قطاع الطرق هم الناس الذين سيحتاج تلاميذه إلى حماية منهم: سوف يُجمَع التلاميذُ من قبل السلطات مع قطاع الطرق دون تمييز، ويمكن أيضا أن يقوموا بدورهم على نحو ملائم ويحملوا الأسلحة، كما فعل قطاع الطريق. ونظرا إلى أنهم فهموا القول حرفيا، فقد أظهروا أنهم كانوا قد توقعوا نصيحته: لقد كان لديهم فعلا سيفان. هذا يُظهِرُ بصورة عرضية كم كانوا بعيدين عن الشبه

---

[1] Josephus, *Jewish War* 2.125.

بعصبة من العصاة الغيورين: فمثل هـذه العصبـة لا بـد أنهـا كـانت مجهـزة بصـورة أكثر كفاءة. والكلمات التي ختم بها يسوع محادثته لم تعني أنه يكفي سيفان؛ فـلا بـد أنهما كانا بصورة مضحكة غير كافيين لمواجهة العصبة التي جـاءت لإلقـاء القبـض على يسوع، مسلحة بسيوف وعصي. لقد عنى يسوع "كفى ولا تزيدوا !" ـ لقد أساؤا فهم سخريته، وقد آن الأوان للكف عن مناقشة الموضوع. لقد ترجم ت. و. مانسـون كلمات يسوع، "حسـنا، حسنا". فبالمغـايرة مـع الأيـام التـي شـاركوا فيهـا فـي شـعبية معلمهم، "هم الآن محاطون بأعداء قساة جدا بحيث لن يساعدهم امتلاكهم سـيفين فـي مواجهة الموقف."[2]

هذا النص لا يقول، بصورة مباشرة، شيئا عما إذا كانت مسألة المقاومـة المسـلحة للظلم والشر أمرا يمكن تبريره. إنه ببساطة طريقة حيوية لوصف التغيير الكـامل الذي طـرأ علـى مـزاج الشـعب اليهودي وموقفـه عمـا كانـا عليـه فـي أيـام بعثـة التلاميذ. لقد فهم التلاميذ القول فهما حرفيا فلـم يدركـوا غايتـه؛ لكـن لا يجـوز أن نرى في هذا سببا يدعونا إلى الاقتداء بهم.[3]

[2] T. W. Manson, *Ethics and the Gospel* (London , 1960), p. 90.

[3] *The Sayings* , p. 341.

لماذا جئت ؟

فقال له يسوع ، " يا صاحب، لماذا جئت ؟ " (مت ٢٦:٥٠)

قال يسوع هذه الكلمات، ليهوذا الاسخريوطي عندما تلقى قبلة الخائن منه في جثسيماني، كما جاءت في ترجمة بستاني ـ فاندايك . ولا شك أنها جاءت نتيجة ترجمة سيئة. الترجمة البديلة كما جاءت في ت ع ج أفضل: "افعل ما جئت له ياصاحبي !" وهذا ما يقوله النص في NIV .

متّى وحده من بين كتبة العهد الجديد يستخدم الكلمة اليونانية المترجمة "صاحب"؛ يمكن أن تترجم هذه الكلمة "رفيق"، "زميل"، "مساعد". يهوذا هو الشخص الوحيد الذي خاطبه يسوع بهذه الطريقة. تستخدم صيغة النداء نفسها في مثلين: من قبل صاحب الكرم مخاطبا العامل الذي احتج على السخاء الذي دفع به للعمال الذين استأجرهم في وقت متأخر(مت ٢٠:١٣؛ راجع ص ٢٠٢) ومن قبل الملك الذي أقام وليمة عرس لابنه مخاطبا الرجل الذي جاء من دون لباس العرس (متى ٢٢:١٢؛ راجع ص ٢١١). كان من المناسب بخاصة أن يقول يسوع هذه الكلمات مخاطبا رجلا، كان قد جلس معه إلى المائدة، منذ ساعة أو ساعتين، وراح "يغمس يده في الصحفة" معه (متى ٢٦:٢٣).

أما بقية الجملة فيمكن أن تترجم حرفيا، "ما أنت بسببه هنا". وتبدو في محل مفعول به لفعل الأمر "افعل". فتكون العبارة الرئيسية بصيغة الأمر كـ "افعل". لقد اكتشفت العبارة منقوشة على بضعة كؤوس تعود إلى زمن العهد الجديد، كانت ملائمة للاستعمال في حفلات الشراب، حيث الفعل الرئيسي المتوفر هو "تشجع" أو

"متع نفسك".[1] النقش الكامل يعني "متع نفسك؛ لهذا أنت هنا." يستخدم متى العبارة بطريقة مهيبة جدا، وبالحقيقة في إطار ماساوي؛ لكن معناه يوضح بالنقش. يقول يسوع بالحقيقة ليهوذا، "أنت تعلم الغاية من وجودك هنا ؛ فهيا حققها !"

هناك اقتراح آخر هو أن العبارة يمكن أن تكون تعجبية، كأن يسوع يقول، "يا له من أمر ما جئت من أجله يا صاحب !" لكن الأفضل أن تفهم كعبارة وصفية، وأن تترجم الكلمات، "يا صاحب، افعل ما جئت لتفعله."

---

[1] Cf. A. Deissmann, *Light from the Ancient East*, second edition(London, 1927), pp. 125-131.

سوف تبصرون ابن الانسان

فساله رئيس الكهنة أيضا وقال له: "أأنت المسيح ابن المبارك؟" فقال له يسوع ، "أنا هو؛ وسوف تبصرون ابن الانسان جالسا عن يمين القوة، وآتيا في سحاب السماء"

(مرقس ١٤:٦١-٦٢؛ قارن مت ٢٦:٦٣-٦٤؛ لو ٢٢:٦٧-٧٠)

بعد اعتقال يسوع في جثسيماني، اقتيد إلى محكمة لاستجوابه، برئاسة رئيس الكهنة. وبحسب رواية مرقس ، في البداية جرت محاولة لإدانته بتهمة التكلم ضد هيكل أورشليم. لم يكن انتهاك قدسية الهيكل، سواء بالفعل أو بالقول، جريمة عقوبتها الموت فحسب؛ بل كان هو النوع الوحيد من الجرائم الذي أجازت الحكومة الرومانية للمحكمة العليا اليهودية حرية التصرف بإصدار حكم بعقوبة بشأنه وتنفيذ ذلك الحكم. فبعد سنتين أو ثلاث، عندما نجحت المحكمة العليا في إثبات تهمة مماثلة على استفانوس، لم تكن هناك حاجة لرفع القضية إلى بيلاطس قبل أن ينفذ حكم الإعدام. أما في المناسبة الحالية فلم يكن بالإمكان إدانة يسوع بهذه التهمة لأن شاهدَيْ الادعاء قدما أدلة متعارضة.

ثم طلب رئيس الكهنة، بمبادرة منه على ما يبدو، من يسوع أن يقول للمحكمة إن كان هو المسيّا، ابن الله. (استخدم "المبارك" بديلا عن اسم الله.) كان المسيا مؤهلا ليوصف بأنه ابن الله، إذا كان هو الشخص الذي يخاطبه الله في مزمور ٧:٢ بالكلمات التالية "أنت ابني"، أو الشخص الذي يصرخ إلى الله في مزمور ٢٦:٨٩، "أبي أنت". لم يكن يسوع على وشك أن يشير تلقائيا إلى نفسه بصفته المسيّا. لكنه رد على سؤال رئيس الكهنة "أنا هو". أما كيف فهم متى ولوقا هذا الجواب فيمكن أن يلاحظ من نقلهما له: "أنت قلت" (متى ٢٦:٦٤) أو "أنت تقول

إني أنا هو" (لوقا ٢٢:٧٠). أي ، أنه إذا كان لزاما على يسوع أن يعطي جوابا على سؤال رئيس الكهنة، فلا يمكن أن يكون الجواب سوى "نعم"، لكن لم يختر يسوع الكلمات بل اختارها رئيس الكهنة. إلا أن الكلمات التى قيلت بعد ذلك كانت من اختيار يسوع. وكأنه كان يقول، "إذا كان 'المسيح' (أي، 'المسيا' أو 'الممسوح') هو التعبير الذي تصر على استخدامه، فإنه لا يتبقى لي خيار سوى أن أقول 'نعم'، ولكن لو كان لي أن أختار تعابيري الخاصة، لقلت إنكم سوف تبصرون ابن الانسان جالسا عن يمين القدير وآتيا في سحب السماء." (كلمة "القوة" التي نطق بها يسوع تعني تقريبا ما نعنيه عندما نقول "القدير"، أي مثل كلمة "المبارك" التي نطق بها رئيس الكهنة، كبديل عن الاسم الإلهي.)

فما الذي يعنيه هذا القول، ولماذا حُسب تجديفا من قبل رئيس الكهنة؟ إنه يعني، باختصار، أنه في حين يقف ابن الانسان، يسوع نفسه، الآن أمام قضاته مذلولا ودون صديق، سوف يبصرونه ذات يوم وقد تبرأ من قبل الله. قال يسوع هذا بلغة رمزية، لكن مصدر لغته الرمزية كتابيّ. لقد ذكرنا من قبل مجئ ابن الانسان في سحب السماء (راجع ص ٢٣٥)؛ هذه اللغة تُستنتج من دانيال ٧:١٣-١٤، حيث يظهر في رؤيا "شبه ابن انسان" آتيا "في سحب السماء" ليُقرّب أمام الله ("القديم الأيام") ولينال منه سلطانا أبديا على العالم. إن الذي يوصف أنه "مثْلُ ابن انسان" شخص بشري، يحل محل تعاقب الشخصيات الشبيهة بالحيوانات التي كانت من قبل تمارس السيطرة على العالم. إن الذي قوبلت ادعاءاته بمثل هذا القدر الضئيل من الاحترام من قبل قضاته سوف يعترف به رغم ذلك باعتباره الربَّ المطلق السلطان في قلوب الرجال والنساء في شتى أرجاء العالم. والأهم من ذلك هو أن ادعاءاته سوف تقر من قبل الله: سوف يُرى ابن الانسان جالسا "عن يمين القدير". هذا التعبير مأخوذ من مزمور ١١٠:١، الذي يسجل نطقا إلهيا خاطب بالتأكيد حاكم سلالة داود: "اجلس عن يميني، حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك." إن المتهم الواقف الآن

في قفص المحكمة سوف يُرى أنه قد أصبح، بتعيين إلهي، ربا للكون — وهذا في مستقبل ليس ببعيد، بل فورا. بحسب رواية لوقا، *"منذ الآن"*، يكون ابن الانسان جالسا عن يمين قوة الله" (لو ٢٢:٦٩؛ راجع ص ١٥٩). (يحذف لوقا العبارة التي تتحدث عن سحاب السماء.) في رواية متى "*من الآن* ، تبصرون ابن الانسان جالسا عن يمين القوة، وآتيا على سحاب السماء." عن يمين الله كان مكان التعظيم الأسمى؛ وكانت السحب مركبة المجد الإلهي.

إن عبد الرب في العهد القديم، الذي احتُقِر مرة ورُفِض من قبل الناس، نودي به من قبل الله باعتباره " يتعالى ويرتقي ويتسامى جدا" (إش ٥٢:١٣–٥٣:٣)؛ هذا الدور تحقق في العهد الجديد بيسوع، الذي أطاع حتى الموت، وعلاوة على ذلك موت الصليب، وبناء على ذلك "رفّعه الله" و وهبه "اسما فوق كل اسم"، لكي يعترف به كل لسان باعتباره ربا (في ٢:٦–١١). هذا القلب للأدوار هو ما يعلنه جواب يسوع لرئيس الكهنة.

لماذا اعتُبِر جوابه تجديفيا؟ ليس بسبب موافقته على أنه كان المسيا: ربما كان ذلك خطرا من الوجهة السياسية وربما أمكن تفسيره من قبل الإدارة الرومانية على أنه تحريضي (كما كان بالحقيقة)، لكن ذلك ما كان لينتهك حرمة امتيازات الله؛ وما كان الادعاء بأنه ابن الله *بهذا* المعنى ليفعل ذلك أيضا. لكن اللغة التي راح يتحدث بها بمحض اختياره بدت أنها انتهاك للمجد الذي يخص الله وحده. لقد اعتُقِد أنه هنا كان يكمن التجديف. لنترك لأحداث التاريخ لكي تقرر مسألة ما إذا كان كلامه تجديفا أم تعبيرا عن الإيمان بالله.

الفصل السبعون

لماذا تركتني؟

وفي الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم، "إلوي إلوي لما شبقتني؟" الذي تفسيره، "إلهي إلهي لماذا تركتني؟" (مر ١٥:٣٤؛ قارن مت ٢٧:٤٦)

هذا أصعب الأقوال الصعبة. إنه آخر قول لفظه يسوع بوضوح وهو على الصليب كما دونه مرقس ومتى؛ وقد رويا أنه بعد ذلك بوقت وجيز وبصراخ عظيم (لم تحدد فحواه) أسلم الروح.

لقد أورد ب. و. شميدل P.W. Schmiedel هذا القول كواحد من بضعة نصوص "موثوقة على نحو جازم" يمكن أن تستخدم كـ "أعمدة ــ أساس لحياة يسوع من الوجهة العلمية" على أساس أنه لا يمكن ان يكون نتاجا لعبادة يسوع في الكنيسة. ما كان لأحد أن يخترعه؛ كان قضية صلبة سلم بها التقليد بحيث كان على البشير إما أن ينقلها كما هي أو يهملها دون ذكر.

من الحكمة ألا يجعل القول أساسا لإعادة بناء المشاعر الباطنية التي اختبرها يسوع على الصليب. لقد طُرِحَ السؤال "لماذا؟"، لكنه بقي من دون جواب. ومع ذلك، هناك بعض اللاهوتيين وعلماء النفس، الذين أخذوا على عاتقهم تقديم الجواب الذي لم يعطه السجل الإنجيلي: لا يجوز أن نحذو حذوهم. لكن ينبغي أن يقال هذا على الأقل: إذا كان هذا القول صعبا على قارئ الأناجيل، فقد كان أصعب قول على ربنا نفسه. إن التأكيدات التي استند إليها بالإيمان رجال الله ونساء الله في أزمنة العهد القديم لم تكن له. قال أحد كتاب المزامير (مزمور ٣٤:١٩)، "كثيرة هي بلايا الصدِّيق، ومن جميعها ينجيه الرب"، أما في حال يسوع فلم تَبْدُ أي نجاة.

يبدو مؤكدا أن الكلمات اقتبست من مطلع مزمور ٢٢. أما الحجج المؤيدة لعكس ذلك فهي غير مقنعة. الكلمات ليست مقتبسة من النص العبري، بل من ترجمة تفسيرية آرامية. (مقابل الصيغة الآرامية *إلوي*، "إلهي"، الواردة في مرقس، ترد في متى الصيغة العبرية *إيلي*. إن أي محاولة لتحديد اللفظ الدقيق لا بد أن تأخذ بالحسبان أن بعض الواقفين ظنوا أن يسوع كان ينادي إيليا ليأتي ويخلصه.) وفي حين أن مزمور ٢٢ يبدأ بصرخة اليأس التام، فهو تعبير عن الإيمان والشكر؛ ومعونة الله التي طال انتظارها بل صار ميؤوسا منها، تجيء اخيرا. لذلك اعتقد أحيانا أنه في حين روي عن يسوع أنه كان يتلو صرخة اليأس التي جاءت في مطلع المزمور، فقد تلا بالحقيقة المزمور كله (وإن بصورة غير مسموعة) تعبيرا عن الإيمان.

لا يمكن إثبات هذا الرأي، لكن يبدو أن أحد كتبة العهد الجديد قد اعتقد هكذا ــ وهو كاتب الرسالة إلى العبرانيين. اقتبس هذا الكاتب مقاطع أخرى من مزمور ٢٢ عدا عن الصرخة الافتتاحية وعزاها إلى يسوع. فهو يقول على الخصوص إن يسوع "قدم صلوات وتضرعات، بصراخ ودموع، للقادر أن يخلصه من الموت، وسُمِع له لأجل تقواه؛ مع كونه ابنا تعلم الطاعة مما تألم به، وإذ كُمِّل صار سبب خلاص للذين يطيعونه" (عب ٥:٧–٩).

بهذه الكلمات يؤيدُ كاتبُ الرسالة إلى العبرانيين، على أساس الآلام التي عاناها يسوع، إقرارَ مزمور ٢٢:٢٤: الله "لم يحتقر أو يرذل مسكنة المسكين؛ ولم يحجب وجهه عنه، بل عند صراخه إليه استمع". لكنه عندما يقول إن صلاة يسوع "إلى القادر أن يخلصه من الموت" استجيبت، لا يعني أن يسوع أنقذ من الموت؛ إنه يعني أن يسوع بعد أن مات، "أقيم أيضا من الأموات" ليحيا من الآن فصاعدا "بقوة حياة لا تزول [لايمكن تدميرها]" (عب ١٣:٢٠؛ ٧:١٦).

الكاتب نفسه يعرض يسوع في موته كذبيحة لله طوعية ومقبولة. إن قيام الشهداء بتقديم أنفسهم للتكفير عن خطايا الآخرين لم يكن لها سابقة في إسرائيل. وبدلا من أن يمتلئ قلب يسوع بالغيظ المرير على أولئك الذين عاملوه معاملة بغيضة، فإنه بموته قدم حياته لله كفارة عن خطاياهم، وعن خطايا العالم. ألم يقل مرة أن "ابن الانسان جاء ... ليبذل نفسه فدية عن كثيرين" (مر ١٠:٤٥)؟ لكنه الآن قام بذلك بفعالية قصوى بدخوله حقا في الوحشة الناجمة عن ترك الله له التي هي من نصيب الخطاة ـــ إذ صار "خطية لأجلنا"، كما عبر بولس عن ذلك في (٢كو ٥:٢١). "بموته صار له كل ما جعلته الخطية لنا ـــ كل ما في الخطية عدا خطأيتها sinfulness."[1]

وكما قال كاتب الرسالة إلى العبرانيين، "تعلم يسوع الطاعة مما تألم به"، بمعنى أنه بآلامه تعلم ثمن طاعته القلبية لأبيه. وقبوله الصليب توّج طاعته ولم يكن قط أكثر مرضاة للآب مما كان في فعل التكريس الكامل هذا: إلا أن ذلك لا يقلل من حقيقة خبرة ترك الآب له. لكن هذه الحقيقة جعلته أكثر كفاءة كمخلص ونصير لشعبه. إنه ليس زائرا من عالم آخر، يتجنب الانخراط الأكثر مما يجب في عالمنا؛ لقد ورط نفسه توريطا كاملا في نصيب الانسان. ليس هناك عمق للترك عرفه البشر إلا وسبره؛ بهذه الوسيلة "كُمِّلَ" ـ أي، صار مؤهلا تماما ليكون المعين المتعاطف مع شعبه في ساعة الشدة القصوى. فإذا شعروا بأنهم يريدون أن يصرخوا إلى الله، "لماذا تركتني؟"، أمكنهم أن يفكروا في أنه قد صرخ تلك الصرخة. وعندما يصرخون من الأعماق إلى الله، فإن الذي صرخ من الأعماق في يوم الجمعة العظيمة يعرف ما هو شعورهم. ولكن يوجد هذا الفرق: إنه الآن معهم ليقوّيهم ـ ولم يكن هناك أحد ليقويه.

---

[1] J. Denney, *The Death of Christ*, sixth edition (London, 1907), p. 160.

فهرس الشواهد الكتابية

عهد قديم/جديد	صفحة	عهد قديم/جديد	صفحة
تكوين ١:٢٧	٥٩	لاويين ١٨:٥	١٧٧
٢:٢-٣	٣٢	١٩:١٨	٧٦.٧٣
٢:٢٤	٥٩	٢٢:٢٦-٢٨	٧٧
٣:١٥	١٣٨	٢٤:٨-٩	٣٢
٤:٢٤	٧٨	عدد ١١:٤-٩	٢١
١٩:٢٦	١٦٨	٢٠:١٠	٥٠
٢٢:١	٨٣	تثنية ١:٣٥	٢٣٢
خروج ٧:٨-٢٤	٩٦	٥:١٢-١٥	٣٢
١٦:١٣-٣٦	٢١	٦:٥	٧٣
٢٠:٤	٢٢٢	١٦:٣	٢٤٣
٢٠:٧	٦٦	٢١:١٥	١٢٣
٢٠:٨-١١	٣٢	٢٢:١٣-٢١	٥٧
٢٠:١٤	٥٢	٢٤:١-٤	٥٨.٥٦
٢٠:١٧	٥٢	٣٢:٥	٢٣٢
٢١:٢٤	٦٨	١ اصموئيل ٢١:١-٦	٣١
٢٤-٣-٨	٢٤٤	٢ صموئيل ١١:٢	٥٤
٣١:١٤	٣٢	١ ملوك ١٧:١	٩٦
لاويين ٢:١٣	٣٨	١ ملوك ١٩:١٩-٢١	١٦٧
		١ أخبار ٢١:١	١٥١

عهد قديم/جديد	صفحة	عهد قديم/جديد	صفحة
أيوب ٦:١-٧:٢	١٣٧	إشعياء ٥:٣٥-٦	١١٥
٩:١٥-١٠	٤٠	٤٠-٥٥	١٠٧
٦:٣٠	١٤٧	٩:٤٠	١٥٩
٢٧:٣٩-٣٠	٢٣٧	١:٤٢-٤	١٥١
مزامير ١:٤	١٢٦	١:٤٢	١٥١
٢:٧	٢٥١	١:٥١	١٤٤
١٦:١٠	٩٩	١٣:٥٢-١٢:٥٣	٢٥٣،١٥٢
٢٢:١	٢٥٥	١٢:٥٣	٢٤٧،١٣١
٢٢:٢٤	٢٥٦	٧:٥٦	٢١٧
٣٤:١٩	٢٥٤	١:٦١	١١٥
٤٠:٨	٤٥	إرميا ٤:٢٩	١٤٦
٤٦:٢	٢١٤	دانيال ٤:٢٧	١٨٢
٨٩:٢٦	٢٥١	٧:١٣-١٤	٢٥٢،٢٦
٩١:١٣	١٣٩	هوشع ٦:٦	٤٦
٩٥:١٠	٢٣٤	يونان ٢:٦	٩٩
١١٠:١	٢٥٢،١٥٨	٤:٢	٧٩
أمثال ٢٥:٢١-٢٢	٧٤	٤:٩	٤٩
جامعة ٥:٤-٥	٦٧	ميخا ١:١٦	٢٣٦
إشعياء ٦:٩-١٠	١٠٢،١٠١	٦:٨	٤٧
٨:١٣-١٥	١٥٣	٧:٦	١٣٣
١٤:١٢	١٣٦	٧:١٨	٧٨
٢٢:٢٢	١٤٧	زكريا ٣:١-٥	١٣٧

عهد قديم/جديد	صفحة	عهد قديم/جديد	صفحة
زكريا ٤:١٤	٢١٥	٣٣:٥	٦٦
٢١:١٤	٢١٧	٣٤:٥	٦٦
ملاخي ١٦:٢	٥٦	٣٧:٥	٦٧
١:٣	١١٦	٣٨:٥	٦٨
أبوكريفا		٣٩:٥	٦٨
٤ مكابيين ١٣:١٤-١٥	١٧٠	٤٣:٥	٧٣
متي ٢٢:٢	٢٢٠	٤٤:٥	٧٣
٧:٣	٢٢٨	٤٥:٥	٧٦
١١:٣	١٢٥	٤٧:٥	٧٥
١٢:٣	١٢٥،١١٤	٤٨:٥	٧٥
١٥:٣	١٣٠	١١:٦	١٨٨
١:٤	٨٣	١٢:٦	٨٠
١٠:٤	١٥٢	١٣:٦	٨٢
٩:٥	١٣٣	١٥-١٤:٦	٨٠
١٣:٥	٣٦	٢١-١٩:٦	١٧٩
١٤:٥	٣٧	٢٤:٦	١٨٨
٢٠-١٧:٥	٤١	٣٣:٦	١٧٩
١٨:٥	٤٣	١:٧	٨٨
٢٠:٥	٤٤	٢:٧	٨٨
٢٢:٥	٤٨	٥-٣:٧	١٨٦،٨٨
٢٨:٥	٥٢	٦:٧	٨٧
٢٩:٥	٥٤	١٤-١٣:٧	١١٩
٣٢:٥	٦٠		

عهد قديم/جديد	صفحة	عهد قديم/جديد	صفحة
١٤:٧	١٨٧	٣٧:١٠	١٢٣
٢١:٧	٢١١	٦-٢:١١	١١٥
٢٢:٧	٢٣٩	١١:١١	١١٤
٢٦:٧	٥٠	١٢:١١	١١٨
١١:٨	٢٠٤	١٣:١١	١١٨
١٣-٥:٨	١٠٦	٢٧:١١	١٣٩
٢٠:٨	١٦٢	٣٠-٢٩:١١	٤٤
٢٢:٨	١٦٥	٢٤:١٢	٢٢٩
٨:٩	٢٧	٣٠:١٢	١٦٠
١٣:٩	٤٦،٢٩	٣٢-٣١:١٢	٩٠
٢٤:٩	٣٤	٤٠-٣٨:١٢	٢٢٦،٩٥
١٥-٥:١٠	١٠٩	٤٠:١٢	٩٩
٦-٥:١٠	١٠٥	٤١:١٢	٩٨
٢٣-٥:١٠	١٠٩	١٣:١٣	١٠٠
٢٣-١٦:١٠	١٠٩	٤٦-٤٥:١٣	٨٧
١٨-١٧:١٠	١٠٩	٣٣-١٣:١٤	٢٠
٢٠:١٠	٩٢	٣١-٢٨:١٤	١٤٤
٢٢-٢١:١٠	١٦٩	٣:١٥	٤٤
٢٣:١٠	١٠٧،١٠٨،١١٠	٢٠-١٧:١٥	٤٦
٢٨:١٠	١٦٩	٢٨-٢١:١٥	١١١
٣١-٢٩:١٠	١٧١	٢٤:١٥	١١١،١٠٥
٣٤:١٠	١٣٣	٢٨:١٥	١١٢
٣٥:١٠	١٣٣		

عهد قديم/جديد	صفحة	عهد قديم/جديد	صفحة
١٦:١-٤	٩٥	٢٠:١٤-١٥	١٩٩
١٦:١٨-١٩	١٤٢	٢١:٢١	٢١٤
١٦:٢٣	١٥٢	٢١:٢٧	٢١٦
١٦:٢٨	١٥٩	٢١:٢٨-٣٢	٢٠٥
١٧:١-٨	١٥٨	٢٢:١-١٠	٢١٠
١٧:٢٠	٢١٤	٢٢:١٢	٢٤٩،٢١٠
١٨:٨-٩	٥٥	٢٢:١٤	٢٠٦
١٨:١٧	١٠٦	٢٢:١٥-٢٢	٢١٩
١٨:١٨	١٤٨	٢٢:٣٦-٤٠	٧٣
١٨:٢١-٢٢	٧٨	٢٣	٢٢٧
١٨:٢٣-٣٥	٨١	٢٣:٣	٢٢٨
١٨:٣٥	٧٨	٢٣:٤	٤٤
١٩:٣	٥٧	٢٣:٧-٨	٢٢٣
١٩:٩	٦٠	٢٣:٩	٢٢٣
١٩:١١	٦٣	٢٣:١٦-٢٢	٦٦
١٩:١٢	١٢٤،٦٣	٢٣:١٧	٥٠
١٩:١٦-١٧	١٧٥	٢٣:٢٣	٤٦
١٩:٢١	١٧٧	٢٣:٢٦	١٨٢
١٩:٢٤	١٨٤	٢٣:٣٣	٢٢٦
١٩:٣٠	٢٠٣	٢٣:٣٧-٣٩	٢٢٩
٢٠:١٦	٢٠٣،٢٠٤،٢٠٦	٢٣:٣٩	٢٢٩
٢٠:١٣	٢٤٩	٢٤:٣	٢٣٥

عهد قديم/جديد	صفحة	عهد قديم/جديد	صفحة
١٤:٢٤	١١٠،١٠٦	١١:١	١٥١،١٤٠
٢٨:٢٤	٢٣٦	١٢:١	٨٣
٣٤:٢٤	٢٣٥	١٥-١٤:١	١٥٧
٣٦:٢٤	٢٣٥	٥:٢	٢٥
١٣-١:٢٥	٢٤٠	١٠:٢	٢٥
٣-٢:٢٥	٥٠	١٧:٢	٢٩،٢٨
١٢-١١:٢٥	٢٣٩	٢٢:٢	٣٩
١٣:٢٥	٢٤١	٢٨-٢٧:٢	٣١
٤١:٢٥	١٩٥	٢٨:٢	٢٦
٢٣:٢٦	٢٤٩	٢١:٣	١٣٤
٢٥:٢٦	٢٢٣	٢٢:٣	٩٠
٢٩:٢٦	٢٤٥	٢٩-٢٨:٣	٨٩
٢٩-٢٦:٢٦	٢٤٤	٣٠:٣	٩١
٤٩:٢٦	٢٢٣	٣٥:٣	٦٤
٥٠:٢٦	٢٤٩	١٢-١١:٤	١٠٠
٦٤-٦٣:٢٦	٢٥١	١٢:٤	١٠٢
٤٦:٢٧	٢٥٤	٣٩:٥	٣٤
١٢:٢٨	٩١	١٣-٧:٦	١٠٥
١٨:٢٨	١٣٩	٥٢-٣١:٦	٢٠
١٩:٢٨	١٠٦	٣٤:٦	١٠٥
مرقس ٤:١	١٢٩	٥٢-٥١:٦	٢١
١١-١٠:١	١٣٠	٣:٧	١٢٦

عهد قديم/جديد	صفحة	عهد قديم/جديد	صفحة
١٣-٩:٧	١٢٢،٤٤	١٢-١١:١٠	٥٦
٩:٧	٤٤	١٨:١٠	١٧٥
١٣-١٠:٧	٤٦	٢١:١٠	١٧٧
١٩:٧	٤٦	٢٤:١٠	١٨٧
٢٧:٧	١١١	٢٥:١٠	١٨٤
١٢:٨	٩٧،٩٥	٢٨:١٠	١٨٤
٢٩:٨	١٤٣	٣٠-٢٩:١٠	١٢٤
٣١:٨	١٥٢	٣١:١٠	٢٠٣
٣٣:٨	١٥٢،١٥٠	٣٨:١٠	١٢٩
٣٤:٨	١٥٤	٤٥:١٠	٢٥٦،٢٢
٣٥:٨	١٥٦	١٤:١١	٢١٢
٣٨:٨	٢٣٢،٩٢	٢١-٢٠:١١	٢١٢
١:٩	٢٤٥،١٥٧،١٣١	٢٣:١١	٢١٤
٨-٢:٩	١٥٩	٣٣:١١	٢١٦
٩:٩	١٥٩	١٣:١٢	٢١٩
٣٨:٩	١٦١	١٧:١٢	٢١٩
٣٩:٩	١٦١	٤-١:١٣	٢٣٣
٤٠:٩	١٦٠	٢٧-٥:١٣	٢٣٠
٤٨-٤٣:٩	٥٥،٣٧،١٧	٣٠-٥:١٣	٢٣٤
٤٩:٩	٣٧	١٠-٩:١٣	١٠٩
٥٠:٩	٣٦	١٠:١٣	١١٠
٩-٢:١٠	٥٨	١١:١٣	٩١

عهد قديم/جديد	صفحة	عهد قديم/جديد	صفحة
٢٧-٢٦:١٣	٢٣٤	٢٨:٧	١١٤
٣٠:١٣	٢٣٤،٢٣٠	٣٤:٧	٢٨
٣٢:١٣	٢٣٤	٥٠-٣٦:٧	٨١
٢٤-٢٢:١٤	٢٤٢	٣٩:٧	٢٨
٢٥:١٤	٢٤٥	٣:٨	١٧٨
٣٨:١٤	٨٥	١٠:٨	١٠٠
٦٢-٦١:١٤	٢٥١	٥٣-٥٢:٨	٣٤
٣٤:١٥	٢٥٤	٦-١:٩	١٠٥
لوقا ١٧:١	١٢٩	٢:٩	١٦٥
١٤:٢	١٣٣	١٧-١٠:٩	٢٠
٧:٣	٢٢٨	٢٣:٩	١٥٥
١٦:٣	١٢٥	٣٦-٢٨:٩	١٥٩
١٧:٣	١٢٥،١١٤	٥٠:٩	١٦٠
١٤:٤	٨٣	٥٨:٩	١٦٢
٣٢:٥	٢٩	٦٠:٩	١٦٥،١٦٤
٣٩:٥	٣٩	٦٢:٩	١٦٧
١:٦	٣١	٧-٤:١٠	٢٤٦
٢٨:٦	٧٤	٩:١٠	١٦٥
٣٦:٦	٧٦	١٨:١٠	١٣٦
٤٢-٤١:٦	١٨٦	١٩:١٠	١٣٨
١٠-٢:٧	١٠٦	٢٢:١٠	١٣٩
٢٣:١٩:٧	١١٥	٢٤-٢٣:١٠	١١٧

عهد قديم/جديد	صفحة	عهد قديم/جديد	صفحة
٢٩:١٠	٧٦	٥٠:١٢	١٢٨
٤:١١	٨٢.٧٩	٥٣-٥١:١٢	١٢٦
٢٦-١٤:١١	٩٢	٥١:١٢	١٣٣
٢٠:١١	١٥٧.٩٧.٩١	٥٣:١٢	١٣٣
٢٣:١١	١٦٠	٩-٦:١٣	٢١٣
٣٠-٢٩:١١	٩٥	٢٣:١٣	٢٠٨
٢٩:١١	٢٣٢	٢٤:١٣	١١٩
٣٢:١١	٢٣٢.٩٨	٢٨-٢٥:١٣	٢٣٩
٤١:١١	١٨١	٢٩-٢٨:١٣	١٠٦
٥٠:١١	٢٣٢	٣٠:١٣	٢٠٤.٢٠٣
٥١:١١	٢٣٢	٣٣-٣١:١٣	٢٢٩
٥-٤:١٢	١٦٩	٣٢:١٣	١٦٣
٧-٦:١٢	١٧١	٣٥-٣٤:١٣	٢٢٩
٩-٨:١٢	٩٢	٢٤-١٦:١٤	٢١٠
١٠:١٢	٩٢.٨٩	٢٦:١٤	١٢٢
١٢-١١:١٢	٩٢	٣٥:١٤	٣٦
١٥:١٢	١٨٩	٢:١٥	٢٩
٢١-١٦:١٢	١٨٧	٧:١٥	١٧٤.٢٩
٣٤-٣٣:١٢	١٧٨	٢٨-٢٥:١٥	١٧٢
٣٣:١٢	١٨١	٨:١٦	١٩١
٤٤-٤٢:١٢	١٩٧	٩:١٦	١٩٠
٤٩:١٢	١٢٥	١٣:١٦	١٨٨

عهد قديم/جديد	صفحة	عهد قديم/جديد	صفحة
١٧-١٦:١٦	٤٣	٢٠:٢٠	٢١٩
١٦:١٦	١١٨	١٥:٢١	٩٢
١٨:١٦	٦١	٢٤:٢١	٢٣٥
٢٣:١٦	١٩٣	٢٠-١٧:٢٢	٢٤٤
٢٦:١٦	١٩٣	١٩:٢٢	٢٤٤
٣١:١٦	١٩٤	٣٢-٣١:٢٢	٩٤
٦:١٧	٢١٤	٣٢:٢٢	١٥٣
٣٧-٢٢:١٧	١٩٧	٣٦:٢٢	٢٤٦
٢٤:١٧	١٩٧	٥١-٤٩:٢٢	٢٤٧
٣٠:١٧	٢٣٧	٧٠-٦٧:٢٢	٢٥١
٣٢:١٧	١٦٨	٦٩:٢٢	٢٥٣.٦٩
٣٧:١٧	٢٣٦	٧٠:٢٢	٢٥٢
٥-١:١٨	١٩٦	٩:٢٣	٨٨
٨:١٨	١٩٦	٥١-٥٠:٢٣	٧١
١٣:١٨	٢٠١	٣٥:٢٤	٢٤٥
١٩:١٨	١٧٥	يوحنا ٤١:١	١٤٥
٢٥:١٨	١٨٤	٤٢:١	١٤٦
٨:١٩	١٧٩	٢:٣	٩٧
٢٧-١١:١٩	١٩٨	١٥:٤	٢٢
٤٤-٤١:١٩	٢١٤،١٣٤	٢٧:٥	٢٦
٨:٢٠	٢١٦	٢١-١:٦	٢٠
٢٦-١٩:٢٠	٢١٩	١٥:٦	١٤٦

عهد قديم/جديد	صفحة	عهد قديم/جديد	صفحة
٣٤-٢٧:٦	٢١	٩،٣:٥	٩٤
٣٥:٦	٢٢	٣٧:٥	٢٢٠
٥١:٦	٢٢	٦٠-٥٥:٧	١٦٩
٥٢:٦	٢٢	٢٥-٥:٨	١٠٧
٥٣:٦	٢٠	٤٨-٣٤:١٠	١٤٨
٥٦-٥٤:٦	٢٣	٤١:١٠	٢٤٥
٦٠:٦	٢٠	٢:١٢	١٥٥
٦٣:٦	٢٣	٣٥:١٣	٩٩
٥:٧	١٣٤	٩-٨:١٥	١٤٨
٣٩:٧	١٣١	٢٨:١٥	١٤٨
١١:١١	٣٤	١١:٢٦	٩٢
١١-١٠:١٢	١٩٥	٢٧-٢٦:٢٨	١٠٢
٢٠:١٢	٢١٧	رومية ٤-٣:١	١٥٨
٣٢-٢٠:١٢	١٠٧	١٦:١	٢٠٤،١٠٧
٣١:١٢	١٣٧	١٣:٢	٢٠٧
٤٠:١٢	١٠٢	١٩،١٥:٥	٢٠٩
٢:١٦	١٦٩	٤:٨	٢٠٨،٤٧
اعمال ٢-١:١	١٣٢	٤:١٠	٤١
٢٦-١٥:١	١٤٧	٨:١١	١٠٢
٤١-١٤:٢	١٤٨	٢٧-٢٥:١١	١١٠
٢٧:٢	٩٩	٢١:١٢	٧٤
١١-١:٥	١٤٨	٤-٣:١٣	٧١

عهد قديم/جديد	صفحة
١٩-١٨:١٥	١٣٢
٢٠-١٩:١٦	١٣٨،٧١
١ كورنثوس ١٢:١	١٤٦
١٥:٤	٢٢٤
٥-٣:٥	١٤٨
٧،٢:٧	٦٥
١٦-١٠:٧	٦٢
١٦-١٢:٧	١٣٥
٥:٩	١٢٤
١٣:١٠	٨٤
٢٥-٢٣:١١	٢٤٢
٣:١٣	١٧٨
٤:١٥	١٩٥
٧:١٥	١٣٤
٣١:١٥	١٥٥
٤٥:١٥	٢٧
٢ كورنثوس ٤:١٠-١١	١٥٥
١٩:٥	١٣٣
٢١:٥	٢٥٦
غلاطية ٢:٦-٩	١١٠
أفسس ٢٦:٤	٤٩
٣٢:٤	٨٠

عهد قديم/جديد	صفحة
٥:٥	١٨٩
١٥:٦	١٣٣
فيلبي ٢:٦-١١	٢٥٣
٣:٨-١٠	١٥٦
كولوسي ٣:٧	٣٧
٤:٦	٣٧
١ تيموثاوس ١:١٣	٩٢
١:١٥	٢٨
٣:١٦	١٥٨
٥:٥	١٨٩
٥:٨	١٢٤
٦:١٠	١٩١
٢ تيموثاوس ٤:٦،١٨	١٦٩
عبرانيين ٥:٧-٩	٢٥٥
٦:٤-٦	٩٣
٧:١٦	٢٥٥
١٠:٧،٩	٤٦
١١:٣٩	١١٦
١٣:٢٠	٢٥٥
يعقوب ١:٢،١٢	٨٣
١:١٣	٨٢،٨٣
١:٢٢	٢٠٨

عهد قديم/جديد		صفحة
	١٢:٥	٦٧
١بطرس	٦:١-٧	٨٣،٣٧
١يوحنا	٧:١	٩٠
	١٨:٣	٧٣
	٦:٥	١٣١
رؤيا	٢:١١	٢٣٥
	٩:١٢	١٣٧
	١٠:١٢	١٥١

استـــدراك

رقم الصفحة	الخطـــأ	الصـــواب
٢٤	راجع صفحة ٢٤٤-٢٤٧	راجع صفحة ٢٤٣-٢٤٦
٢٤	راجع صفحة ٢٦ر٢٥٣	راجع صفحة ٢٦ر٢٥٢
٢٦	راجع صفحة ٢٥٣	راجع صفحة ٢٥٢
٢٩	راجع صفحة ١٧٤	راجع صفحة ١٧٣
٤٣	راجع صفحة ١٢٠	راجع صفحة ١١٩
٦٢	راجع صفحة ١٣٦	راجع صفحة ١٣٥
٧٠	راجع صفحة ١٧٨	راجع صفحة ١٧٧
٧٥	راجع صفحة ١٧٨	راجع صفحة ١٧٧
٩٤	راجع صفحة ١٤٩	راجع صفحة ١٤٨
١٠٦	راجع صفحة ١٠٥	راجع صفحة ١٠٤
١٠٧	راجع صفحة ١٠٩	راجع صفحة ١٠٨
١٠٧	راجع صفحة ١١٢	راجع صفحة ١١١
١١٣	راجع صفحة ١٠٧	راجع صفحة ١٠٦
١١٤	راجع صفحة ١٢٧	راجع صفحة ١٢٦
١٢٢	راجع صفحة ١٧٨	راجع صفحة ١٧٧
١٢٣	راجع صفحة ١٥٥	راجع صفحة ١٥٤
١٢٥	راجع صفحة ١٢٩	راجع صفحة ١٢٨
١٢٦	راجع صفحة ١٥٥	راجع صفحة ١٥٤
١٣١	راجع صفحة ١٥٨	راجع صفحة ١٥٧
١٣٧	راجع صفحة ١٥٢	راجع صفحة ١٥١
١٥٠	راجع صفحة ١٤٦	راجع صفحة ١٤٥
١٥١	راجع صفحة ١٣٨	راجع صفحة ١٣٧
١٥٦	راجع صفحة ١٢٥	راجع صفحة ١٢٤
١٥٧	راجع صفحة ٢٣١	راجع صفحة ٢٣٠
١٥٧	راجع صفحة ١٣٢	راجع صفحة ١٣١
١٥٨	راجع صفحة ٢٥٤	راجع صفحة ٢٥٣

رقم الصفحة	الخطـــأ	الصـــواب
١٧٢	راجع صفحة ٢٠١	راجع صفحة ٢٠٠
١٨٧	راجع صفحة ١٩٠	راجع صفحة ١٨٩
١٩٤	راجع صفحة ٩٨	راجع صفحة ٩٧
٢٠٣	راجع صفحة ١٨٥-١٨٨	راجع صفحة ١٨٤-١٨٧
٢٠٤	راجع صفحة ١٠٦-١٠٧	راجع صفحة ١٠٥-١٠٦
٢٠٤	راجع صفحة ٢٠١	راجع صفحة ٢٠٠
٢١٨	راجع صفحة ٩٨-٩٩	راجع صفحة ٩٧-٩٨
٢٢٤	راجع صفحة ١٤١	راجع صفحة ١٤٠
٢٣٢	راجع صفحة ٩٩	راجع صفحة ٩٨
٢٣٤	راجع صفحة ٢٥٣	راجع صفحة ٢٥٢
٢٤٩	راجع صفحة ٢٠٢	راجع صفحة ٢٠١
٢٤٩	راجع صفحة ٢١١	راجع صفحة ٢١٠
٢٥٢	راجع صفحة ٢٣٥	راجع صفحة ٢٣٤
٢٥٤	راجع صفحة ١٥٩	راجع صفحة ١٥٨
٥٦	كلمات سقطت من السطر الثالث من اسفل الصفحة	ان يفعل هذا علي أساس ..

ينظر بعض المؤمنين لبعض أقوال يسوع المسجلة فى
الأناجيل نظرة نقدية، باعتبارها غير منطقية أو تبدو متناقضة مع غيرها .
ولكن الذى يتأمل بعمق فى هذه الأقوال لا يجد صعوبة فى ذلك،
لأن يسوع جاء بثورة جديدة على كل المفاهيم البشرية فى علاقات
البشر بعضهم مع البعض أو مع الله، ولذا بدت أقواله صعبة .

وهذا الكتاب يطرح هذه الأقوال ، ويناقشها فى إطارات تفسيرية
مختلفة ليوضح المعنى الحقيقى الذى قصده يسوع .

Bibliotheca Alexandrina
0257074